فكر علمي . . . ثقافة تقدمية

الثقافة الجديدة

349
2012

مقالات

حاكم الربيعي
فلاح كاظم الخواجة
مجيد مسعود
ماجد زيدان الربيعي
عادل مطلوب
مصباح كمال

طاولة مستديرة

حول التعليم الجامعي في العراق

نصوص قديمة

اجتماع مؤتمر الحزب الأول

نصوص مترجمة

رشيد غويلب

حوارات

حوار مع الروائي حنون مجيد

ادب وفن

البروفسور مهدي مرتضى... وداعا!
عبد الجبار عبود الحلفي
نبيل عبد الأمير الربيعي
سلمان الجبوري
عبد الستار نور علي
جواد وادي
سلام حريه
قاسم العزاوي
هلال حميد
وحيد غانم

الثقافة الجديدة

فكر علمي- ثقافة تقدمية

تأسست عام 1953

349

اغلق تحرير العدد في 15 آذار 2012

المواد المنشورة تعبّر عن آراء اصحابها

السعر : 2000 دينار

الاشتراك السنوي : (6أعداد) : 50 دولار أو ما يعادلها و 100 دولار للمؤسسات.
ايميل رئيس هيئة التحرير:
thakafajadida@hotmail.com
ايميل سكرتارية هيئة التحرير :
thakafajadida4u@gmail.com
عنوان الموقع على شبكة الانترنت :
http://www.althakafaaljadeda.com
عنوان المجلة : بغداد – شارع ابو نؤاس، والرجاء إرسال المطبوعات الجديدة على هذا العنوان.
رقم الايداع في المكتبة الوطنية :781
يمكن تحويل مبالغ الاشتراك على الحساب المصرفي للمجلة :

ALJADID
Lloyds TSB Bank plc
Sort Code 30-93-89
Account No: 1871659
UK

ترجو هيئة التحرير المساهمين في المجلة مراعاة ما يأتي في ما يرسلون للنشر:
*أن تكون المقالة مستوفية لشروط النشر من حيث وضوح التعبير وسلامة اللغة.
* ألا يتجاوز حجم المادة 4000 كلمة.
* ان تكون المادة معدة أصلا للمجلة، لذا نعتذر عن نشر أية مادة تكون قد نشرت قبل ذلك في أماكن أخرى.
* يفضل ان تكون المادة مطبوعة على الكومبيوتر ومرسلة عبر البريد الألكتروني أو على قرص مدمج. أما المكتوبة باليد فنرجو إرسال نسختها الأصلية. وارتباطاً بالتغيرات التي اعتمدتها هيئة التحرير، فيما يتعلق بالتصميم الداخلي، نرجو ان ترسل مع المقال أو الدراسة نبذة مختصرة عن حياة الكاتب أو الكاتبة بحدود 50 كلمة إضافة الى صورة شخصية لنشرها مع المقال أو الدراسة.
* لاتعاد المادة غير المرشحة للنشر، وتتولى المجلة إعلام صاحبها بذلك.
* بالنسبة للمادة المرسلة عبر البريد الألكتروني، تلتزم المجلة بإعلام كاتبها عن صلاحيتها للنشر وذلك خلال شهر واحد من تاريخ وصولها.
* للمجلة حق إعداد أو اختصار التعقيبات التي تردها.

دار الرواد المزدهرة للطباعة والنشر والاعلان

محتويات العدد

5- **كلمة العدد**

مقالات

8- الاقتصاد السياسي للحراك الشعبي في بعض الدول العربية..... حاكم الربيعي
19- توقعات ومحددات أولية لإنتاج وتصدير النفط العراقي للسنوات **2012–2025** ..... فلاح كاظم الخواجة
25- نحو تصحيح حساب تكاليف إنتاج النفط وما في حكمه من مواد قابلة للنضوب..... مجيد مسعود
31- موقف الحزب الشيوعي العراقي من الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .....ماجد زيدان الربيعي
38- من الحكومة إلى الحوكمة الالكترونية – المراحل والمفاهيم.....عادل مطلوب
45- الإسكان والتأمين في العراق تعقيب على طاولة مستديرة حول الإسكان في العراق.....مصباح كمال

طاولة مستديرة

52- التعليم الجامعي في العراق... الواقع الراهن وأسس التغيير

نصوص قديمة

72- اجتماع مؤتمر الحزب الأول (كونفرنس) للحزب الشيوعي العراقي

نصوص مترجمة

90- أي اشتراكية في القرن الحادي والعشرين؟ رؤية حزب اليسار الالماني..... ترجمة: رشيد غويلب

حوارات

98- حوار مع القاص والروائي حنون مجيد.....حاوره: سعدون هليل

ادب وفن

107- البروفسور مهدي مرتضى... وداعا! هيئة تحرير مجلة (الثقافة الجديدة)

مقالات

110- إشكالية التجنيس وخلخلة النص دراسة في نص (رغوة السحاب) لمحمود عبد الوهاب....عبد الجبار عبود الحلفي

115- جان دمّو... الشاعر الذي خرج للحياة من رحم النبيذ.....نبيل عبد الأمير الربيعي

شعر

122- قصيدتان .....سلمان الجبوري

125- الرواية الثالثة.....عبد الستار نورعلي

129- نشيد الفواخت .....جواد وادي

قصص قصيرة

134- زهرة الخشخاش .....سلام حربه

138- قصص قصيرة جدا .....قاسم العزاوي

140- الاســـم .....تشيزارى بافيزى ترجمة:هلال حميد

143- أمْغَدَر .....وحيد غانم

لوحة الغلاف الاول : للفنانة عفيفة لعيبي
ولوحة الغلاف الاخير: للفنان كاظم حيدر

ك
الملتقد

عام على اندلاع الانتفاضات الشعبية - بعض الدروس

قبل عدة اسابيع مرت الذكرى الاولى لاندلاع الانتفاضات الشعبية في العديد من البلدان العربية. وذات مرة قال لينين: " قد تمرّ عقود لا يقع فيها شيء يذكر، وقد تأتي أسابيع تقع فيها عقود". والواقع أن ما حدث خلال الأسابيع الاولى من عام ٢٠١١ يدلل على صحة هذه الكلام فقد كانت تلك الاسابيع عاصفة بكل ما تعنيه الكلمة.

وبالملموس شهدنا خلال هذه الفترة القصيرة حدوث ثلاثة "زلازل" كبرى، حيث تمت الإطاحة بالرئيسين المصري والتونسي وبـ " قائد الثورة " الليبي معمر القذافي، تلتهما العديد من " الهزات الارتدادية " وما زالت المعركة مندلعة في العديد من البلدان. و ما زال مرجل التغيير يغلي في بلدان عربية أخرى من بينها بلادنا التي شهدت تظاهرات واسعة في ٢٠١١/٢/٢٥ وما تلاها، فيما " يقاتل " أكثر من رئيس للبقاء في السلطة، الأمر الذي يعد تعبيرا عن أزمات بنيوية عميقة.

اتخذت تلك الانتفاضات والحراك المجتمعي الذي اندلع مظاهرا وأبعاداً مختلفة، واعتملت داخلهما وبسببهما تناقضات متنوعة، وترتب عليهما تداعيات ونتائج تستحق وقفة؛ تستهدف بلورة أهم خلاصاتها.

واليوم وبعد مرور عام واحد على لحظة اندلاع الحراك المجتمعي والانتفاضات الشعبية التي تعمدت بالدم في العديد من البلدان يمكن بلورة الدروس التالية.

أول هذه الدروس، أن نظم الاستبداد مهما طال أمد هيمنتها، هي ضد المجرى الموضوعي للتاريخ ولابد أن تحل اللحظة التي يتوجب عليها مغادرة مسرح التاريخ الى غير رجعة بعد أن تستنفذ طاقتها على ممانعة ديناميات التطور الموضوعي وحركة المجتمع. لهذا الدروس اهمية خاصة في بلادنا التي عانت من الدكتاتورية لعدة عقود وها قد مرت ٩ اعوام على رحيل تلك الدكتاتورية ولكن ما زالت عملية بناء الديمقراطية تعاني من استعصاءات مستمرة، ويتم قضم العديد من الحريات الفردية والجماعية وتتغول السلطة وقواها المتنفذة على المجتمع المدني للهيمنة مجددا على المجتمع المدني وإخضاعه لمنطق هيمنتها، الامر الذي يعني ان معركة الديمقراطية والحريات ما زلت تنتصب بقوة كمهمة اساسية لا تقبل المناورة أو أنصاف الحلول.

الدرس الثاني، جدلية العلاقة بين الديمقراطية الاجتماعية والديمقراطية السياسية وفشل محاولات الفصل بينهما أو تغليب احدهما على الآخر. وأكدت التجربة أن أي نظام ينفرد بالحكم ويتحكم بالسلطة والثروة، ولا يوفر الفرص المتساوية للمشاركة الحقيقية، ويتجاهل احتياجات المواطنين على تنوعها، سيجد دائما من يقاومه. و بيّن مسار الأحداث أن حساسية المتظاهرين من البطالة وعداؤهم للنظام الاقتصادي النيوليبرالي مربوطة بحساسيتهم بأهمية العدالة الاجتماعية

والكرامة والحريات الفردية والجماعية.

الدرس الثالث هو ان التغيير الاجتماعي ليس وليد الصدفة، تهندسه مجموعة من المتآمرين الطامحين للسلطة والهيمنة، بل هو من صناعة الجماهير الطامحة للحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، وهو نتاج عملية تطور تراكمي متواصل ومديد. ويخطأ من يتصور أن ما حدث في العديد من البلدان العربية هو توقيت ذاتي ارادوي لانفجار الأحداث. فالأمر ليس كذلك البتة، فقد شهد العالم في العقود الأخيرة احتجاجات وانتفاضات عديدة.

ويمكن القول ان الموجة الراهنة من الانتفاضات الشعبية التي اجتاحت معظم البلدان العربية منذ اوائل عام ٢٠١١، هي امتداد للموجة الأولى من الانتفاضات التي شهدناها في نهاية سبعينيات القرن المنصرم وثمانينياته. هذه الانتفاضات حدثت بعد البدء بتطبيق وصفة صندوق النقد الدولي الذي فرض ما سمّي بـ " سياسات التصحيح الهيكلي " التي هيئت الارضية لتسهيل نشاط الرأسمال العالمي ورعاية مصالح الشرائح البيروقراطية –الطفيلية – الكومبرادورية في ظل آليات الخصخصة والانفتاح. وقاد ذلك كله الى استشراء ظاهرة الثراء غير المشروع، مقابل تضخم ظاهرة الفساد بكل أنواعه حتى اصبح " مؤسسة " عصية على التفكيك.

الدرس الرابع ويتمثل باختلاف المضامين الأيديولوجية والطبقية للانتفاضات الشعبية مما يعني أن آفاق هذه الانتفاضات –بسبب تركيبتها – تحمل في طياتها العديد من الاحتمالات في ضوء تباين القوى الطبقية والتنظيمية ذات القدرة على التأثير في مجريات الوضع الراهن والمستقبل المنظور. وبينت تجربة الانتخابات الاخيرة التي جرت في العديد من البلدان العربية حقيقة تفتت القوى الديمقراطية وتشتتها يؤدي الى استئثار أطراف وقوى سياسية معينة بثمار الانتفاضات وإعادة إنتاج المنطق القديم في الإقصاء والاحتكار والهيمنة على السلطة. ولعل الفترة القادمة ستبرهن أن "الهجرة" إلى السماء لا تحل مشكلات اجتماعية ولكنها بالمقابل تسبب مشكلات وطنية.

وفيما يتعلق بالأوضاع في بلادنا اليوم فان الازمة البنيوية للنظام المحاصصات الطائفية –القومية تتعمق وتتخذ مديّات جديدة، وهي تتأثر، بهذه الدرجة او تلك، بما ما تشهده المنطقة العربية من انتفاضات وتحركات شعبية. فالمشكلات الاجتماعية الراهنة لا يمكن الاستهانة بها، إذ يوجد في العراق اكثر من ٧ ملايين مواطن تحت خط الفقر، وتبلغ البطالة بمختلف أشكالها، نسب مرتفعة قد تتجاوز ٣٠٪، وتزداد عند الشباب الذين هم اكثر فئات المجتمع تعرضاً لها. وإضافة لذلك فان عمق التفاوتات والاستقطاب الاجتماعيين والفوارق في توزيع الثروة والدخل قي المجتمع العراقي، واشتداد مظاهر هذا التفاوت قد اتخذت اشكالاً صارخة، مما يعني وجود اساس موضوعي للحراك الاجتماعي والحركة الاحتجاجية. وبالمقابل شهدنا خلال الفترة التي تلت اندلاع الانتفاضات الشعبية تصعيدا في ممارسات السلطة ولجوئها الى القمع السافر ضد المشاركين في الاحتجاجات، مقرونا بمحاولاتها الحثيثة للتعتيم على التحركات الجماهيرية.

وفي مواجهة ممارسات السلطة وعسفها هناك ضرورة اليوم لتطوير الحركة الاحتجاجية وتوسيع قاعدة تأثيرها وترقية شعاراتها، و التحلي بالمزيد من اليقظة السياسية، وعدم التراخي او الركون لمتطلبات وشروط السلطة لتدجين الحركة الاحتجاجية او محاولة شقها.

ان الحاجة ملحة اليوم إلى بلورة برنامج شامل يساهم في تغيير ميزان القوى لصالح الطبقات الشعبية والقوى المعنية بالتغيير الديمقراطي الحقيقي، والعمل على توحيد هذه القوى في إطار تيار ديمقراطي عريض وتعبئة الرأي العام الشعبي لتأييده. وننتهز هذه الفرصة لنعبر عن دعمنا وترحيبنا بمبادرة قوى وشخصيات التيار الديمقراطي وما توصل الية المؤتمر الشعبي العام الذي انعقد يوم ٢٠١٢/٣/١٦ من برنامج يمكن ان يشكل محطة مهمة في عمل القوى الديمقراطية. وأبواب مجلة (الثقافة الجديدة) مفتوحة امام الجميع لتدشين نقاش واسع حول البرنامج المذكور، نقاش يساهم في بناء حركة ديمقراطية عريضة يمكن ان تشكل قطبا عابرا لنظام المحاصصات وبديلا واقعيا عنه.

مقـــــالات

الاقتصاد السياسي للحراك الشعبي في بعض الدول العربية

أ.د.حاكم الربيعي

حاكم محسن محمد الربيعي، خريج جامعتي بغداد والمستنصرية وحاصل على شهادة الدكتوراه في فلسفة إدارة الأعمال وشغل منصب مدير الشؤون الإدارية والقانونية بجامعتي الكوفة وبابل ورئيسا لقسم إدارة الأعمال- كلية الإدارة والاقتصاد –جامعة كربلاء لعدة سنوات. له خمسة كتب في حقل الاختصاص، كما نشر أكثر من ٤٨ بحثا واشترك بعدة مؤتمرات عربية ودولية وشارك في مناقشة أطروحات الدكتوراه والماجستير في العديد من الجامعات العراقية. الدكتور الربيعي عضو هيئات تحرير واستشاري في مجلات اختصاصية بعدة جامعات عراقية إضافة الى عضوية الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية وجمعية الاقتصاديين العراقيين، كما شغل رئاسة تحرير المجلة العراقية للعلوم الإدارية و مجلة الإدارة والاقتصاد –التي تصدرها كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة كربلاء.

يتناول البحث الإشارة الى بعض المؤشرات الاقتصادية والسياسية في ست دول عربية حدث فيها هذا الحراك الشعبي ولا يعني ان هذه الدول الست هي فقط تعاني شعوبها من ظلم الحكام وتعسفهم بل هي نموذج لكل الدول العربية وان تباينت في درجة ومستوى هذا التعسف.

أولا: طبيعة الحراك الشعبي

هناك من يسمى هذا الحراك الشعبي بالثورة والثورة بمعناها هي التغيير في الحكم وليس التغيير للحكومات فقط لاسيما بعضها جاوز الاربعين عاما فهل يتغير النظام بمجرد نفي الحاكم وخروجه من السلطة بالتأكيد كلا الا ان هناك من سماها بثورات العرب وان ثورات العرب الجارية هي اولى ثوراتهم ذات المد الشعبي الاجتماعي الجواني مثلها كانت ثورات تحررية ضد الخارجي وبزعامات كاريزمية (1) إلا أن هذا الحراك الشعبي يختلف تماما اذ لم تكن له زعامات كاريزمية بل كانت له قيادات عفوية التقت مع بعضها

نتيجة ما عانته بشكل مشترك من تعسف السلطة بمختلف الاساليب ونحو هدف مشترك هو احداث التغيير املا في احداث التغيير الجوهري الذي ينقل البلدان التي حدث فيها هذا الحراك الى حالة افضل بكل المقاييس من

فئات من البورجوازية الوسطى (3). هذه العناصر الثلاثة هي التي ساهمت في الحراك الشعبي في اغلب الدول العربية التي حدث فيها، اضافة الى المثقفين من تيارات مختلفة، لان واقع الحال في دولهم بحاجة الى التغيير،

جدول (1)

عدد السكان في بعض الدول العربية (الف نسمة)

السنة / الدولة	٢٠٠٠	٢٠٠١	٢٠٠٢	٢٠٠٣	٢٠٠٤	٢٠٠٥	متوسط معدل النمو %
تونس	١٠٠٥٣	١٠١١٦	١٠١٩٠	١٠٢٧٥	١٠٣٦٥	١٠٤٦٢	٠,٧٠
مصر	٦٣٣٠٥	٦٤٥٨٤	٦٥٩٩٢	٦٧٢٥٥	٦٨٦٥٤	٦٩٨٧٣	١,٧٠
ليبيا	٥٢٥١	٥٣٠٨	٥٣٦٣	٥٤١٣	٥٤٦٥	٥٥٣٠	١,٠٥
اليمن	١٧٤٦١	١٨٠٦٩	١٨٧٠٦	١٩٣٥٦	٢٠٠٢٦	٢٠٧١٩	٣,٠٥
سوريا	١٦٤٧٠	١٧٠٥٠	١٧٤٧٦	١٨٠٢١	١٨٥١٣	١٩٠١٤	٢,٤٠
البحرين	٦٧٨	٦٩٤	٧٠٥	٧١٥	٧٢٥	٧٣٤	١,٢٠

المصدر: مستوى الفقر العربي لسنة ٢٠١٠

الناحيتين السياسية والاقتصادية القائمة بما في ذلك عدالة توزيع الثروة والحريات السياسية والاساسية ولكن واقع الحال يشير الى غير ذلك في الوقت الحالي الا ان هناك انتخابات برلمانية جرت في تونس بكل حرية وهذا مؤشر جيد وستجرى ايضا في مصر، لكن الامر الاهم هو ان تكون الحكومات والرؤساء منتخبين انتخابا حرا من قبل الجمهور وبكل حرية وبذلك يكون هناك ابراز لدور الجمهور في اختيار حكامه اذ ان العرب حاولوا صياغة ديمقراطية خاصة بهم،فكانت الفاتورة باهظة التكاليف وقد حان انتقالهم طوعا الى قاعدة تداول السلطة (2) لقد ساهم في هذا الحراك الشعبي عناصر اساسية ثلاثة كما هو الحال في مصر وهذه العناصر هي الشباب المسيس اصلا، والمنظم في شبكات مرتبطة ببعضها، وتلبية اليسار المصري لدعوة الشباب لأنه كان مستعدا لذلك، اضافة الى البورجوازية الليبرالية، أو

ومنذ عشرات السنين ولكن الفرصة كانت لم تحن بعد، وها هي قد حانت لذلك يجب على كل حريص على مصلحة بلده المساهمة في هذا التغيير ولكن دون الاساءة الى الناس ومصالحهم.

ثانيا: المؤشرات الاقتصادية للحراك الشعبي

أ. **السكان والنمو السكاني:** يشير متغير السكان الى ان ازدياد السكان يترتب علية متطلبات ومستلزمات جديدة كالغذاء والخدمات وفرص العمل وسيؤدي ذلك الى احداث مشاكل اقتصادية بسبب الادارات الاقتصادية غير الكفؤة لما متاح من موارد اقتصادية ولاسيما في الدول ذات الموارد النادرة او القليلة او غير المتوفرة أصلا ويوضح الجدول (1) عدد السكان في ست دول عربية وبالتأكيد ان جميع هذه الدول يزداد السكان فيها ولكن نسب النمو السكاني متباينة حيث كانت تونس اقل هذه الدول في

نسب نمو بلغت (0.79) اي اقل من 1٪ وربما يرجع ذلك الى عوامل منها الوعي الثقافي والاجتماعي الذي يساهم أحيانا في خفض الإنجاب. اما البحرين فكانت النسبة (7.02٪) وهي أعلى نسبة لان سكان البحرين هم اصلا عدد قليل يتجاوز المليون بقليل لسنة 2009 والغالبية من العرب والاجانب. وكانت ليبيا ثاني دولة في ارتفاع نسبة النمو السكاني ويعد سكان ليبيا قليلاً ايضا قياسا بمساحة ليبيا حيث بلغ عدد سكانها لعام 2009 بحدود (7.530) مليون نسمة وهي تعد من الدول النفطية، في حين كانت نسبة النمو السكاني بالنسبة لمصر الدولة الاكبر في عدد السكان الذي قد يتجاوز (80) مليون نسبة في الوقت الحاضر الا ان الموارد الاقتصادية فيها قليلة او نادرة

(27) على مستوى العالم (4 اما اليمن فهي الدولة الافقر عربيا وعالميا وكانت نسبة النمو السكاني فيها (3.05٪) رغم قلة الموارد الاقتصادية في هذا البلد.

ب. تطور نسب الفقر وتوزيع الدخل:

يعد الفقر آفة الانسانية وهو اداة مؤدية الى عدمية الانسان لان الانسان الفقير الذي لا يجد قوت يومه يعد انساناً معدماً ويؤدي ذلك الى فقدان رشده وعقلانيته وبالتالي الثورة على الواقع الظالم الذي يحيط به وكان ذلك واحدا من عوامل الحراك الشعبي للجماهير العربية التي حدث فيها ويكشف الجدول (2) نسب خط الفقر الوطني ونسبة الفقر وفق خط الفقر الدولي، ثم الفقر حسب مؤشر جيني لتوزيع الدخل وكما يوضح الجدول أن أعلى نسبة لسنة 2005–2006 كانت في اليمن اذ

جدول (٢)

تطور نسب الفقر وتوزيع الدخل في بعض الدول العربية

الدولة	السنة	نسبة خط الفقر الوطني %	نسبة الفقر وفق خط الفقر الدولي %	مؤشر جنيف لتوزيع الدخل
اليمن	٢٠٠٠ ٢٠٠٥	٤١,٢ ٣٤,٨	٣٥,٥ -	٣٠,٨١ ٤١,٣٠
مصر	٢٠٠٠ ٢٠٠٥	١٦,٧ ١٩,٦	١,٨١ ١,٩٦	٣١,٧٦ ٣٢,٤١
ليبيا	-	-	-	-
اليمن	٢٠٠٥ ٢٠٠٦	٤٤,٨	١٣,٨٢	٣٧,٦٩
سوريا	٢٠٠٦ ٢٠٠٧	١٢,٣	-	٣٣,٨٠
البحرين	٢٠٠٣	١١,٠	٠,٠٠	-

وبالتالي يترتب على زيادة السكان زيادة في المتطلبات ذات الصلة بالحياة الاقتصادية والمعاشية والاجتماعية مما يولد مشاكل قد لا تجد الحل، وهكذا هي الدول العربية جميعا متجانسة في الكثير من المشاكل وكانت سوريا ذات نسبة نمو معتدلة بلغت 2.36٪ لكن سوريا تعد الدولة الاولى على الدول العربية في الناتج الزراعي وتحتل المرتبة

بلغت نسبة الفقر الوطني (34.8٪) أما الدولي فكانت (17.53٪) في حين كانت نسبة مؤشر جيني (37.60) واقل هذه الدول الست هي البحرين بحكم قلة عدد سكانها الذي لايتجاوز المليون وربع المليون. كذلك يلاحظ ان هذه النسب مرتفعة في مصر إذ بلغت النسبة الوطنية (16.7٪) لسنة 2000 و (19.6٪) لسنة 2005 أما النسبة الدولية فكانت (1.81

٪) و (1.99 ٪) لسنة 2000 و2005 على التوالي في حين كان مؤشر جيني (32.76٪) لسنة 2000 و (32.14٪) لسنة 2005 اما ليبيا لاتتوفر بيانات عنها في حين سوريا بلغت النسبة (12.3٪) الوطنية ومؤشر جيني (33.80٪). إن ذلك يؤشر مستوى الفقر في هذه الدول وقد لايرجع ذلك الى الإدارة الاقتصادية للموارد بل بسبب شحة هذه الموارد رغم أن الاستئثار بالموارد المتاحة من لدن السلطات القائمة في هذه الدول والمحيطين بها يؤثر بشكل او آخر على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

جـ – مؤشرات الاكتفاء الذاتي: تواجه اغلب الدول العربية نقصا في الغذاء بسبب نواقص السياسات الغذائية العربية كعزوفها عن الاستثمار الزراعي والاندفاع نحو اسواق المال والقطاع التجاري وإن كانت هناك مشاريع استثمار زراعية فهي ليست بالمستوى المطلوب كما لم تضع الدول العربية مسألة الاكتفاء الذاتي هدفا استراتيجيا يرتبط بأخطار مختلفة في الامد الطويل (5) ولذلك فهي تعاني من نقص الغذاء وتعمل على سد هذا النقص باستيراده من خارج هذه الدول وتبين الجداول (3) و(4) و(5) نسبة الاكتفاء الذاتي. والتي توضح ان اعلى نسبة اكتفاء ذاتي من السلع الغذائية كمتوسط للمدة من 2001–2005 ولمجموعة الحبوب هي سوريا اذ بلغت النسبة (84.15٪) وعلى مستوى القمح والدقيق (111.6٪) تليها مصر ثم تونس واليمن واخر مجموعة هي ليبيا وهكذا هي النسب لبقية فقرات السلع الغذائية وتستمر سوريا في النسبة الاعلى لسنة 2007 اذ بلغت لمجموعة الحبوب (86.84٪) وللقمح والدقيق (133.28٪) تليها مصر وكانت النسبة هي (70.84٪) و(55.59٪) على التوالي ثم تونس واخيرا اليمن وليبيا اللتين تقاربتا بالنسب.

وتباينت هذه الدول في نسبة الاكتفاء الذاتي في بقية فقرات السلع الغذائية وكانت سنة 2008 شهدت تراجعاً بالنسبة لسوريا في مايتعلق بفقرة مجموعة الحبوب اذ كانت النسبة (53.35٪) في حين حافظت مصر على نسبة مقاربة لبقية السنوات وكانت سنة 2008 (72.13٪) اما على مستوى القمح والدقيق فكانت سوريا (103.25٪) ومصر (57.51٪) وتونس (34.64٪) وليبيا (8.53٪) واليمن (7.40٪) اما البحرين فليس لديها اي اكتفاء ذاتي لمجموعة الحبوب

جدول (3)

جدول (٤)
نسبة الاكتفاء الذاتي من السلع الغذائية
(٢٠٠٦)

البيان	تونس	مصر	ليبيا	اليمن	سوريا	البحرين
مجموعة الحبوب (جملة)	٣٩,٣٣	٧٠,٨٤	١٣,٥٢	٩١,٧٥	٨٩,٩٤	
القمح والدقيق	٩٦,٧٦	٥٥,٥٩	٨,٥٢	٧,٧٥	١٣٣,١٨	–
الذرة الشامية		٥٨,٥٣	٠,١٣	١٧,٤٩	١١,١٩	
الأرز		١٢١,٩٠				–
الشعير	45.47	٩٧,٨٣	٧٢,١٩	٤٩,٧٦	٨٩,٦٦	
البطاطس	٧٩,٦٨	١١١,٧١	٩٥,٤٦	١٠٠,٤٩	١٠٥,٤٨	٠,٢٥
جملة البقوليات	٧٦,٧٦	٥٤,٠٥	١٧,٤٦	٨٧,٨٥	–	٠
جملة التمور	١٠٠,٤٨	١٠٢,٣٠	٩٧,٤٢	١٠٠,٣٩	١٣٤,٦٣	٢١,١٨
جملة الفاكهة	١٠٥,٥٣	١٠٣,٨٩	٨٧,٠٥	١٠٨,١٩	١٠٠,٥٤	٣٢,٨٠
السكر	–	٨٩,٣٨	–	–	١٨,٣٠	–
جملة الزيوت والشحوم	٩٣,٣٤	٣١,٧١	٢٧,٦٠	١٩,٨٤	٥٤,٩٤	–
جملة اللحوم	٩٦,٨٦	٨٣,٧٣	٩٣,٣١	٦٩,٤٦	١٠٠,٠٤	٢٧,٢٢
لحوم حمراء	٩٩,٣٧	٧٣,٣٧	٨٩,٩٢	٩١,٠٩	٩٩,٤٨	٩٩,٨٤
لحوم بيضاء	٩٧,٤٦	٩٨,٦٨	٩٦,٩٣	٥٥,٩٤	١٠٠,٩٣	١٨,٢٤
الأسماك	٨٧,٦٦	٨٢,٣٦	٧٦,١٢	١٦٧,٧٧	٤٤,٧٣	١٥٥,٠٢
البيض	٩٩,٤٨	١٠٠,٠٢	٩١,٣٥	٤٩,٨٨	٦٠٠,١	٥٧,١٠
جملة الألبان ومشتقاتها	١٠٤,٣٥	٩٢٥١	٤٦,١١	١٢,١٢	٤٨,١٨	٩,٢٥

المصدر:- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للاحصاءات الزراعية المجلد (٢٩) ٢٠٠٩/الخرطوم السودان

جدول (٤)
نسبة الاكتفاء الذاتي من السلع الغذائية
(٢٠٠٨)

البيان	تونس	مصر	ليبيا	اليمن	سوريا	البحرين
مجموعة الحبوب (جملة)	٣٨,٠٩	٧٢,١٣	١٣,٨٢	٣٠,٢٥	٨٣,٣٢	
القمح والدقيق	٣٤,٦٠	٥٧,٦١	٨,٨٣	٧,٥٠	١٠٣,٦٩	–
الذرة الشامية		٥٩,١٣	٠,٠٣	١٧,١٨	٧١,٨١	–
الأرز		١٣٠,١٦				
الشعير	٣٣,٨٢	٩٧,٢٢	٧٢,٠٤	١٠,٣٠	١٣,٨١	–
البطاطس	٦٨,٩١	١١١,٠٢	٩٥,٢٦	١٠٠,٧٢	١١٤,٩٦	٠,٢٥
جملة البقوليات	٧٦,٠٨	٥٣,٠٢	٢٧,٠٢	٦٤,١٩	١٢٤,٠٩	
جملة التمور	١٠٢,٩٠	١٠١,٤٨	٩٧,١٧	١٠٦,٥٨	١٣٤,١٨	٣٠,٨١
جملة الفاكهة	١٠٨,٩٠	١٠٣,٧٨	٨٧,٠٥	١٠٧,١٨	٩١,١٩	٣٢,٣٨
السكر	–	٨٩,٣٨	–	–	٣١,٤٨	–
جملة الزيوت والشحوم	٧١,٧٠	٢٩,٨٢	٢٧,١٠	٧,٧١	٥٥,٨٠	–
جملة اللحوم	٩٧,٦٣	٨٢,٦٧	٩٣,٣٤	٧١,٨٦	٩٩,٩٣	٢٧,٣٠
لحوم حمراء	٩٦,٠٢	٧٤,٠٥	٨٩,١٢	٩٢,٩٦	٩٨,٧٧	٣٢,٧٠
لحوم بيضاء	٩٩,٨٣	٩٨,٤٢	٩٦,٩٣	٨٥,٠٤	١٠١,٩٥	٢٠,٧٤
الأسماك	٨٠,١٠	٨٢,٣٨	٧٦,١٢	٢٧٦,١٠	٤٥,٧٩	١٥٣,٦١
البيض	٩٩,٨٧	١٠٠,٠٢	٩١,٩٥	٩٤,٨٨	١٠١,٢٥	٥٨,١٣
جملة الألبان ومشتقاتها	٩٤,٨١	٩٢,٦٢	٤٦,٦٤	٢١,١٢	٩٢,٨٥	٧,٤٨

المصدر:- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للاحصاءات الزراعية – المجلد (٢٩) ٢٠٠٩/الخرطوم – السودان

كذلك تفوقت سوريا في فقرة اللحوم الحمراء والبيضاء اما في فقرة الاسماك فكانت اليمن في البداية تشير البيانات الواردة في الجداول الثلاث والتي غطت المدة من 2001–2005 كمتوسط والسنوات 2007 و 2008 الى عدم الاهتمام بالاستثمار الزراعي في الدول العربية والاعتماد على الاستيراد في تغطية النقص في السلع الغذائية مما يتطلب الاهتمام بالاستثمار الزراعي وتوفير الغذاء لان توفير الغذاء هو توفير للأمن الإنساني.

د- مؤشرات الأمن الغذائي: يعد الأمن الغذائي احد مكونات الأمن القومي (6)

ويحظى بالأهمية الاكبر لكونه يتعلق بالإنسان وحاجته للغذاء من أجل البقاء والاستمرار بالحياة وبالتالي فإن نقص الغذاء يعد من المشاكل الاقتصادية والسياسية الكبيرة معا بسبب النتائج التي تترتب على النقص في الغذاء إذ أن الجماهير تطالب حكوماتها بتوفير الغذاء باعتبار الحكومات هي الهيئات الفوقية المسؤولة عن ادارة البلد سياسيا واقتصاديا وبالتالي إدارة واستثمار موارده الاقتصادية المتاحة بما يضمن للشعوب غذائها ومن ثم فان الخلل في هذه المسالة يؤدي الى حدوث المجاعة (7) التي قد تؤدي

جدول (٦)
مؤشرات الأمن الغذائي (٢٠٠٥-٢٠٠٦)

المحور	تونس	مصر	ليبيا	لبنان	سوريا	الجزائر
نسبة الاكتفاء من الحبوب والدقيق	٤٢,٧٦	٧١,٣٠	١٠,٢٢	١٤,٧٨	٨٢,١٥	-
القمح والدقيق	٥١,١٦	٥٩,٢٧	٣,٨٥	١,٩٨	١٦١,٠٩	-
الذرة الشامية	-	٦٠,٦٧	٠,٦٥	١١,٨٥	٥٣,٥٥	-
الأرز	-	١١٧,٢٧	-	-	-	-
الشعير	٤٧,٨٢	٩٦,٠٢	٥٤,٧٠	٩٣,٤٣	٧١,٢٦	-
اجمالي واردات الحبوب والدقيق (طن)	٦٦٥٢,٠٧	٩١٠٦,٨٧	٦٥٧٧,٦٠	٦٩٩٣,٢٩	١٩١٢,٦١	٦١٢٠,٢٦
اجمالي واردات الحبوب والدقيق (مليون دولار)	٢٧٧,٦٠	١٧٦٥,٠٦	٥٧٠,٦٦	٣٤٥,٧١	٢٦٩,٧٠	٤٧,٤٦
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (كغم)	٣٦٦,٥٠	١٣٦,٦٦	١١٤,٣٣	٦٦٠,٥٧	١٦٠,٥٧	١٤٦,٧٦
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (دولار)	٣٩,٣٠	١٩,٣	٩١,٦	١٠,٦	٢٢,٦	١٠,٦
قيمة الواردات الغذائية (مليون دولار)	٧٧٥,٦٩	٣٩٩٠,٤٣	٩٩٩,٧٨	٩٦٣,٤٤	٧٧٣,٣٢	٤٨٠,١٠
نصيب الفرد من الواردات الغذائية (دولار)	٧٨,٨٠	٤٤,٨٧	١٦٠,٤٠	٥٠,٣٤	٤٤,٥٨	٦٠٣,٦٣
قيمة الصادرات من السلع الغذائية (مليون دولار)	٧٤٥,٤٤	٣٤٤٠,٤٠	٨٣١,٤٦	٨٣٠,٦٦	٧٤٩,٧١	٣٩٩,٦٣

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية العربية، المجلد (٢٩)، ٢٠٠٩، الخرطوم - السودان.

جدول (٧)
مؤشرات الأمن الغذائي (٢٠٠٦)

المحور	تونس	مصر	ليبيا	لبنان	سوريا	الجزائر
نسبة الاكتفاء من الحبوب والدقيق	٢٩,٣٢	٦٠,٠٤	١٥,٤٢	٣١,٧٥	٨٦,٦٤	-
القمح والدقيق	٤٦,٧٦	٥٥,٥٩	٤,٥٣	٩,٣٣	١٣٣,٢٠	-
الذرة الشامية	-	٥٨,٠٣	٠,٦٣	١٥,٦٩	١١,١٩	-
الأرز	-	١٢٢,٥٠	-	-	-	-
الشعير	٤٠,١٣	٩٢,٠٣	٢٧,١٩	٩٩,٧٦	٨٩,٦١	-
اجمالي واردات الحبوب والدقيق (طن)	٢٦١١,٥٩	١٠٣٠٨,٠٣	١٧٦٩,٩١	٢٤٣١,٦٨	١٨٤١,٣٦	٥٩,٠٩
اجمالي واردات الحبوب والدقيق (مليون دولار)	١٠٣,٦٠	٣٥٤٥,٥٨	٥٤١,٥٥	٦١٦,٠٢	٣٨٦,٥٦	٣٨,٨٥
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (كغم)	٣١٠,٤٣	١٥٥,٧٢	١٨٣,٠٦	١٠٨,١١	١٠٦,١٥	١٣,٤٠
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (دولار)	١٠,٠٣	٣٨,٣٠	٥٦,٩٠	٥٠,١٥	٢٣,١٠	٩٠,٥٨
قيمة الواردات الغذائية (مليون دولار)	١٦٧٦,٩١	٦٦٤٣,٣٢	١٨٦٦,٦٠	١٨٦٦,١٢	١٢٦٦,٠٦	٦٢٠,٩١
نصيب الفرد من الواردات الغذائية (دولار)	١٦٠,٨٤	٧٠,٦١	٦١,٠٣	٦٦,٠٣	١٠٦,٤٠	٦٧٣,٧١
قيمة الصادرات من السلع الغذائية (مليون دولار)	١٣٦٢,٤٧	١١٤٠,٦٣	٦,٦٧	٣٠٤,٠٦	١٦٦٦,٣٠	٦٨,٦٣

المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية العربية، المجلد (٢٩)، ٢٠٠٩، الخرطوم - السودان.

جدول (5)
مؤشرات الأمن الغذائي ٢٠٠٨

البيـــــان	تونس	مصر	ليبيا	اليمن	سوريا	البحرين
نسبة الاكتفاء من الحبوب و الخبز	٦٠،٠٩	٣٩،١٣	١٣،٤٧	٧٠،٢١	٥٣،٣٥	-
القمح والدقيق	٣٤،٦٤	٥٧،٥١	٨،٥٢	٧،٤	١٠٣،٥٥	-
الذرة الشامية		٥٩،٢٧	٠،٦٢	١٣،١٨	٢١،٨١	
الأرز	-	١٦٠،١٦	-	-	-	-
الشعير	٣٣،٤٢	٩٠،٤٦	٩٠،١٤	١٠٠،٣٤	١١،٧٦	-
إجمالي واردات الحبوب (بالطن) الف طن	٣٠٨٠،٠١	١٠٢٥٠،٣	١٦٦٥،٩٧	٩٨٤٦،٨٠	٢٧٦١،٧٤	٢٤،٩٧
إجمالي واردات الحبوب والدقيق (بالطن) دولار	١١٥٩،٢٦	٣٦٤٥،٨٨	٥١٧،٠٥	٢٣١٣،٠٠	٨٥٢،٥٩	٢٨،٠٥
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (كغم)	٣١٣،٩٥	١٥٤،٧٧	٢٨٣،٩٧	١٤٠،٤٥	١٥٨،٧٠	٢٩،٠٠
نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق (دولار)	١٠١،٠٨	٣٠،٢٠	٨٧،٦٠	٦٦،٦٧	٤٢،٤٦	٤٩،٧٥
قيمة واردات الغذائية (مليون دولار)	١٤٨٣،٤	٦٤٣١،٠٠	١٠٢٨،٠٠	٢٣٦١،٦٢	٢١٥٤،٦٣	٣٤٠،٩٤
نصيب الفرد من واردات الغذائية (دولار)	٢٠١،٥١	١١٠،١٩	٣٤٣،٤٠	١٣٣،٤٠	١٢٩،٦٣	٦٧٣،٧٤
قيمة الصادرات من السلع الغذائية (مليون دولار)	١١١٩،٣٥	٢٢١٦،٢٩	٧،٠١	٣٢٦،٣٥	١٥٣٦،٢٠٩	٦٨،٧٦

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية – المجلد (٢٩) ٢٠٠٩القرطوم – السودان

الى اثارة الجماهير للاحتجاجات والتظاهرات على النظام. وتبين الجداول (6) و(7) و(8) والتي تتضمن بيانات عن مؤشرات الأمن الغذائي (8) وقد تضمنت مؤشرات عن نسبة الاكتفاء من الحبوب واللحوم والاسماك التي اشير اليها عند الحديث عن نسبة الاكتفاء الذاتي. أما هذه المؤشرات التي تشمل على مؤشرات الاكتفاء الذاتي من الحبوب إضافة الى إجمالي الواردات من الحبوب بالقيمة والكمية وتشير البيانات كمتوسط للمدة من (2001–2005) إن أعلى كمية وقيمة لدولة مصر اذ بلغت (9106.87) الف طن بقيمة مقدارها (١٢٨٥,٠٦) مليون دولار وأدنى كمية وقيمة لدولة البحرين والتي كانت (117.36) الف طن و (47.49) مليون دولار وان كانت هذه الدولة تعد صغيرة في عدد

جدول (٩)
هيكل التبويب الوظيفي للإنفاق الجاري

السنوات	الخدمات العامة%					نفقات الأمن والدفاع%				
الدولة	٢٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	٢٠٠٨	٢٠٠٩	١٠٠٥	٢٠٠٦	٢٠٠٧	١٠٠٨	٢٠٠٩
تونس	٢،٠	٨،٠	٦،٠	٦،٠	٦،٢	١٤،٠	١٤،٠	١١،٣	١١،٣	١١،١
مصر	٣٤،٠	٢٧،١	٣١،٧	٢٧،١	٢٩،٤	١٣،٠	١٣،٠	١٤،١	١٢،٧	١٣،٤
ليبيا	٤،٠	٤،٠	٦،٠	٥،٤	-	١٣،٠	١٢،٠	١٧،٦	١١،٣	-
اليمن	١١،٦	٢٤،٤	٢٢،٠	١٨،٥	١٤،٢	٢٣،٠	٢٣،٦	٢٥،٢	٢١،١	٢٣،٣
سوريا	-	-	-	-	-	٤٢،٠	٣٨،٠	٤١،١	٣٩،٨	٤٣،١
البحرين	٢١،٠	٢١،٠	١٥،٣	٢٢،٧	٢٩،٦	٣٤،٠	٣٤،٠	٢٨،٤	٢٧،١	٢٧،٥

المصدر:- تقرير صندوق النقد العربي لسنة ٢٠١٠

سكانها ومساحتها وتباينت الارقام لبقية الدول، كما توضح الجداول (7) و(8) مؤشرات الأمن الغذائي لهذه الدول الست والتي لم تكن بالمستوى المطلوب، و يتضح ذلك من نصيب الفرد من واردات الحبوب والدقيق ككمية وكقيمة وكذلك الواردات الغذائية. وخلاصة ما جاءت به مؤشرات الأمن الغذائي انها كانت متدنية لم تتجاوز (100) دولار للفرد الواحد إلا في البعض من هذه الدول ويشير ذلك الى ان عدم تأمين الغذاء يعد من المشاكل السياسية والاقتصادية الضاغطة على كل الحكومات من شعوبها. وهكذا كانت مشكلة الأمن الغذائي واحدة من اهم الاسباب للحراك الشعبي الذي جاء متأخراً.

هـ – هيكل التبويب الوظيفي للإنفاق الجاري: يبين الجدول (9) هيكل التبويب الوظيفي للإنفاق الجاري وكما هو واضح من الجدول أن نفقات الأمن والدفاع التي تتبناها حكومات الدول الست تفوق نفقات الخدمات العامة. وهذا يعني أن الاهتمام ينصب أساسا على توفير الحماية والامن والدفاع عن الحكام في هذه الدول، ولايمكن القول للدفاع عن بلدانهم من غزوات أو اعتداءات خارجية لأن أكبر قضية للعرب هي القضية الفلسطينية تم التراجع عنها منذ سنين. وتشير البيانات أن أعلى رقم لنفقات الخدمات للدولة التونسية كان (8٪) سنة 2006 تليها سنة 2005 وبنسبة (7٪) بينما تساوت السنوات 2007 و 2009 بنسبة (6٪) أما الإنفاق على الأمن والدفاع كان بنسبة (14٪) لسنتي 2005 و2006 و (11.1٪–11.3٪) للسنوات 2007 و2008. وتميزت مصر عن باقي هذه الدول في نسبة الانفاق على الخدمات فكانت أعلى نسبة انفاق سنة 2005 و2007 وبنسبة (34.0٪) و (31.7٪) على التوالي، وكانت نسب الإنفاق على الأمن والدفاع تشكل تقريبا نصف نسب الخدمات للمدة. اما ليبيا فهي من أقل هذه الدول في الانفاق على الخدمات حيث بلغت النسبة (4٪) لسنتي 2005 و 2006 ثم (6٪) لسنة2007 تراجعت الى (5.4٪) لسنة 2008 ولم تتوفر بيانات سنة 2009 وكان الإنفاق على الأمن والدفاع ثلاثة أضعاف الإنفاق على الخدمات. أما سورية فلا تتوفر بيانات عن الإنفاق على الخدمات في حين كانت نسب الإنفاق على الأمن 42٪، 38٪، 41.1٪، 39.8٪، 43.1٪ للسنوات 2005 و2006 و 2007 و 2008،2009 على التوالي. وخلاصة الرأي أن الإنفاق على الشرطة والأمن والدفاع حظي بنسبة اكبر من الانفاق مقابل نسب إنفاق متدنية على الخدمات العامة ذات الصلة بالمواطن، وهذا الأمر يجعل المواطن في حاجة باستمرار الى الخدمات لعدم تلبيتها لانخفاض الإنفاق أي أن الحكومات تهتم بالأمن والدفاع ولاتهتم بنفس المستوى بالانفاق على الخدمات.

و– الفساد الإداري والمالي: كانت الدول العربية في المرتبة الاخيرة في التقرير الذي نشرته منظمة الشفافية الدولية و يشكل هذا التقرير وما جاء به ما يتعلق بالدول العربية اعنف توبيخ على السياسة المتبعة في هذه الدول من حيث توخي النزاهة ومحاربة

جدول (٩-١)
تدول العربية الست حسب مستوى الشفافية

الدولة	التصنيف
البحرين	٤٨
تونس	٤٩
مصر	٩٨
سوريا	١٠٤
ليبيا	١٤٦
اليمن	١٤٦

المصدر :- تقرير منظمة الشفافية الدولية

الرشوة، وتعد تقارير هذه المنظمة من التقارير التي يعتد بها ودقة معطياتها. ويشير التقرير الى ان استشراء الفساد يؤدي الى تعطيل التنمية المستدامة؛ ويسبب خسائر فادحة، ويؤدي الى زيادة الافقار لان المال العام يذهب الى جيوب الحكام والمحيطين بهم. وتشير الدراسات الى أن العلاقة بين القواعد القانونية وبين الفساد في غاية الاهمية وبمعنى آخر ان التطبيقات السليمة للقوانين التي تحاسب على الفساد تعد اداة مهمة في محاربة الفساد ويبرز مؤشر الفساد لدى الحكومات والبيروقراطيات السائدة وان النظام القانوني الفعال يقلل من الفساد وان العلاقة بينهما معقدة (9).

وقد ساهمت عدة مؤسسات في حساب مؤشر مدركات الفساد لعام 2010 منها مؤسسات اقليمية واخرى دولية، كالبنك الدولي ومعهد تطوير الإدارة في اوروبا، وقد برز تقرير منظمة الشفافية الدولية السنوي لهذه السنة خلاصته في أن ثلاثة ارباع البلدان المصنفة من مجموع 178 بلدا من حيث مستوى الشفافية الموجودة في قطاعها العام يقل مؤشر التصنيف عن خمسة من اصل عشرة اذ تعني الصفر الممنوحة لبلد ما تفشي الفساد فيه على نطاق واسع في حين من نقطة الى عشرة ان البلد المعني اقل فساداً واكثر شفافية مقارنة بالبلدان الاخرى وخلصت المنظمة الى ان النتائج الاجمالية التي ظهرت ان هناك حاجة لبذل جهود كبيرة فيما يخص تعزيز واسناد انظمة حكم رشيدة على الصعيد العالمي ويوضح الجدول (10) الدول الست على مستوى الشفافية.

يلاحظ من الجدول ان البحرين الاقل فسادا بالرغم من ارتفاع التسلسل الى (48) تليها تونس (59) تليها مصر (98) ثم سوريا (128) وتعد كل من ليبيا واليمن التي تساوتا بالمرتبة (146) الاكثر فسادا.

ثالثا: الديمقراطية والحريات الاساسية: تتضمن جميع الدساتير التي تصدر في كل دول العالم الاشارة الى الديمقراطية وضمان الحريات الاساسية ولذلك تجرى في بعض الدول انتخابات اما رئاسية لانتخاب رئيس الدولة او لانتخاب مجلس برلماني يمثل الشعب، وفي الاتجاهين هو اسلوب ديمقراطي ولكن المشكلة الاساسية والتي تواجه الشعوب وتحديدا في الدول النامية ومنها العربية ان ما ينص عليه الدستور على الورق لا يجد سبيله للتطبيق على الارض وكثيرا ما عانت الشعوب ومنها الشعوب العربية من الكبت السياسي والمضايقات الامنية وربما تتمتع بعض الشعوب ببعض الحريات الاساسية الا ان هناك حريات غائبة وتعاني الشعوب من غيابها وابرز هذه الحريات (10):

1-حرية التعبير

2- حرية الاعتقاد

3-حرية الاجتماع وتكوين الجمعيات

وهناك تفاوت كبير في تطبيق هذه المكونات الثلاث اذ تحاسب السلطات ومن خلال اجهزتها الامنية من يمارس هذه الحريات ويتعرض ممارسوها الى السجن والمساءلة القانونية والممارسات الامنية ففي تونس واصلت الحكومة التونسية تجريم منتقدي العائلة المالكة وحوكم بعض المحتجين بسبب التظاهر تحت ادعاءات بتدبير اعمال عنف لإسقاط الحكومة وموس التعذيب معهم وهذا يعني ان حرية التعبير غائبة حيث قامت وزارة الثقافة والاعلام التونسية في كانون الثاني بحجب عدد من المواقع والمدونات ومنتديات النقاش على شبكة الانترنيت وبموجب قانون العقوبات توجه تهم لبعض الاشخاص ويحاسبون حسب قوانينها الصادرة لهذا الغرض كما يمنع الاجتماع وتكوين الجمعيات

وبالتالي فان هذه الحريات تخضع لقيود مشددة اذ يطبق على منتقدي الحكومة عقوبات وإجراءات حسب قانون العقوبات وهناك متابعة مستمرة للصحافة وكانت هناك مراقبة مشددة على البريد الالكتروني والمدونات والصحافة وتعرض الكثير من المواطنين الى الاعتقال بسبب الانتقادات التي توجه الى السلطة على ادائها. كما كانت هناك حالات اختفاء قسري وغيرها من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان التي ارتكبت في عقود السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن العشرين (11).اما في مصر فقد واصلت الحكومة المصرية استخدام الصلاحيات التي يتيحها قانون الطوارئ في اعتقال معارضين ومنتقدين وبقيت مصر خاضعة لقانون الطوارئ منذ عام 1981 جدد عام 2008، كما صدرت احكام بالسجن بعد محاكمات عسكرية ومدنية وابقت السلطات القيود القانونية وغيرها من القيود التي تحد من انشطة الاحزاب السياسية والجمعيات المهنية والنقابات العمالية . كما فرضت السلطات قيوداً على حرية التعبير وعلى وسائل الاعلام وتعرض بعض الصحفيين واصحاب المدونات الذين انتقدوا الحكومة لمضايقات بما في ذلك القبض عليهم ومحاكمتهم بتهمة السب والقذف وكانت الكتب والصحف الأجنبية تخضع للرقابة.

وفي ليبيا ظلت حرية التعبير وحرية التجمع وتكوين الجمعيات تخضع لقيود مشددة ولم تظهر السلطات قدرا يذكر من التسامح تجاه المعارضة وعوقب من انتقد الحكومة في مجال حقوق الانسان واستمر احتجاز معتقلين سابقين . كما استمر تجريم الانشطة التي تعد ممارسة سلمية للحق في حرية التعبير وحرية تكوين الجمعيات بموجب قانون العقوبات والقانون رقم 71 لسنة 1972 وهناك سجناء سياسيين منهم من مات في سجنه.

اما اليمن كغيرها من الدول العربية، مارست وتمارس السلطات اليمنية الاعتقال لآلاف من الاشخاص فيما يتعلق بالاحتجاجات في جنوب اليمن ومناطق اخرى منها مناطق شمالية كما تمارس في اليمن ابشع وسائل التعذيب والقتل ولاسيما لأبناء الجنوب ويسيطر الحزب الحاكم على مقاليد السلطة كما هو الحال في بقية الدول العربية حيث يكون الحزب الحاكم هو حزب السلطة. وزادت الحكومة من سيطرتها على وسائل الاعلام كما تمارس التمييز بين الشمال والجنوب ويشير تقرير المنظمة الدولية الى اساليب التعذيب وغيرها من صنوف المعاملة السيئة في السجون اليمنية –كما صودرت بعض الصحف ومن هذه الصحف صحيفة الايام.

وفي سوريا استمرت حالة الطوارئ منذ عام 1963 وتبعا لذلك بقيت البلاد خاضعة لحالة الطوارئ، كما صدرت احكام جائرة ضد معارضين ومورست معهم اساليب مختلفة وهي حالها حال الدول العربية الاخرى لكن سوريا دولة مواجهه وسيترتب على سقوطها تداعيات كبيرة. لذا يتطلب قيام الحكومة السورية بالإصلاحات السياسية والاقتصادية التي تضمن لسوريا وحدتها وأمنها وسيادتها.

وفي البحرين واصلت الحكومة البحرينية تجريم منتقدي العائلة المالكة وحوكم بعض المتهمين بسبب التظاهر تحت ادعاءات، اغلبها غير حقيقية بتدبير اعمال عنف لإسقاط الحكومة ومورس التعذيب معهم، اما حرية التعبير فهي غائبة. كما حجبت وزارة الثقافة والاعلام في كانون الثاني عدداً من المواقع والمدونات ومنتديات النقاش على شبكة الانترنت وهناك اشخاص وجهت لهم تهم بموجب قانون العقوبات.

رابعا: الخلاصة والاستنتاجات:

يستخلص مما تقدم أن هناك مجموعة من العوامل أو الدوافع التي أدت الى الحراك الشعبي في مجموعة من الدول العربية وإن ظهر هذا الحراك في هذه الدول لايعني أن بقية الدول العربية لن تتعرض الى هذا الحراك وإن قامت بعض الحكومات العربية ببعض الإجراءات ذات الصلة بالمستوى المعيشي للناس، لكنها مازالت مهيأة حيث لم تقتصر الدوافع او العوامل المسببة على الجانب الاقتصادي. بل هناك دوافع سياسية وخنق للحريات وتضييق على الناس وعلى حرية الرأي والتعبير والنشر والتجمعات وتكوين الجمعيات والزج في السجون والعقوبات المتعددة واساليب التعسف التي كانت بأبشع صورها تمارس من قبل الاجهزة الامنية اضافة الى ان عدد السجناء من غير الممكن الحصول عليه ولم يرد ذلك في تقرير منظمة العفو الدولية وبالتالي يمكن بلورة الاستنتاجات الآتية:

1- سوء إدارة الموارد الاقتصادية لكل القطاعات وأبرزها القطاع الصناعي والزراعي وبالتالي اللجوء الى الاستيراد لسد النقص في السلع الغذائية.

2- ازدياد نسب الفقر نتيجة الإدارة غير الكفؤة للموارد الاقتصادية.

3- الاهتمام بالإنفاق على الأمن والدفاع والحماية وإهمال الإنفاق على الخدمات العامة ذات المساس بالناس.

4- كان الإنفاق على توفير السلع الغذائية ليس بالمستوى الذي يوفر حاجة الجماهير الى الغذاء ويتضح ذلك من مؤشرات الأمن الغذائي.

5- سوء توزيع الدخل وبالتالي عدم وجود عدالة في التوزيع.

6- تفشي الفساد الاداري والمالي في معظم الدول العربية والدول الست بالتحديد وان تباينت مستويات هذا الفساد في هذه المجموعة.

7- غياب الديمقراطية الفاعلة وممارسة الكبت السياسي وغياب الحريات وان وجدت فهي مقيدة بشكل او آخر.

8- الممارسات اللاإنسانية تجاه المواطنين من الاجهزة السلطوية بشكل يسيء الى انسانية الانسان وحقوقه وبالتالي إهدار حقوق الإنسان.

الهوامش

(1) د. الطاهر لبيب، أسئلة الثورة، مجلة الطريق – العدد (1) السنة (70) صيف 2011 . بيروت – لبنان.

(2) د. سمير أمين – ثورة مصر ومابعدها – مجلة الطريق – العدد (1) السنة 70 صيف 2011 – بيروت – لبنان.

(3) جاسم خالد السعدون، ربيع العرب – فائت أم دائم –مجلة المستقبل العربي عدد 290 آب 2011 مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان.

(4) د. حاكم محسن محمد، تحليل القدرات التنافسية للاقتصادات العربية بحث غير منشور – 2010 – العراق.

(5) د. محمد سمير مصطفى. الأمن الغذائي والأزمة الغذائية خسائر الواقع وحلول المستقبل، مجلة بحوث اقتصادية عربية، العدد /52، خريف 2010- القاهرة جمهورية مصر العربية

(6) د. محمد سمير مصطفى – مصدر سابق.

(7) د. محمد سمير مصطفى – مصدر سابق.

(8) المنظمة العربية للتنمية الزراعية – الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية مجلد 2009/29 – الخرطوم / السودان.

(9) Thomas Herzfeld and Christophe Weiss, corruption action and legally effectiveness: anempitica' investing European, Journal of political economy, vol.19 , 2003.

(10) تقرير منظمة العفو الدولية – حالة حقوق الانسان في العالم – تقرير 2010.

(11) منظمة العفو الدولية – مصدر سابق.

توقعات ومحددات أولية لإنتاج وتصدير النفط العراقي للسنوات 2012-2025

فلاح كاظم الخواجة / استشاري نفطي

تم خلال جولتي التراخيص الأولى والثانية توقيع (11) عقد خدمة لتأهيل وتطوير عدد من الحقول المنتجة (Brown) وهي الرميلة (حقلان) والزبير وغرب القرنة (1) وحقول ميسان (فكه وأبو غرب والبزركان) و (7) حقول معظمها غير منتجة (Green) وهي مجنون وغرب القرنة (2) والحلفاية والغراف والقيارة ونجمة وبدرة إضافة الى العقد الأول لتطوير حقل الأحدب ليكون العدد الكلي (12) عقدا تغطي زهاء (60) بليون برميل من الاحتياطي بسقوف إنتاجية يصل مجموعها المثبت في العقود الى (12) مليون برميل نفط خام في اليوم بنهاية عام ٢٠١٧، وإذا أضفنا الى ذلك مليون برميل في اليوم تنتج بالجهد الذاتي وفي إقليم كردستان يكون العراق متجها نحو طاقة إنتاج نفطية تصل الى (13) مليون برميل في اليوم. هناك الكثير من الافتراضات لتحقيق هذا الرقم من بينها التأخر في استكمال البنى التحتية اللازمة و التصرف غير الأكيد للمكامن وكيفية استجابتها لحقن الماء اللازم لتصعيد الإنتاج والتعقيدات الإدارية. ومع ذلك فان العراق في طريقه ليكون من كبار المنتجين للهيدروكاربونات عام 2017/ 2018 وقد يكون المنتج الأول في العام 2020.

تم أيضا عام 2011 توقيع عقود لتطوير ثلاث حقول غازية في جولة ثالثة قد تحتوي أيضا على نفط لكن الغاز الحر ليس موضوع هذه المقالة.

العوامل التي تحدد معدلات الإنتاج الفعلية للأعوام 2012 حتى 2025

- استيعاب السوق النفطية في العالم لهكذا معدلات عالية.
- قدرة الدولة العراقية لمعالجة البنية التحتية المدنية لتشمل الأعمال الضخمة (موانئ، جسور، طرق وخدمات).
- قدرة وزارة النفط لتنفيذ خططها الطموحة لتأهيل وتوسيع طاقات الخزن والنقل والتصدير.
- قابلية منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) لإعادة ترتيب حصص أعضائها لتوفر الفرصة للعراق لتصدير نفوطه بهذه المعدلات.
- الخطة الاقتصادية الإستراتيجية للدولة

لاستيعاب وصرف الإيرادات الهائلة المترتبة بما يعزز وحدة العراق.

- خطة الدولة العراقية لتصعيد التصنيع الداخلي في التصفية والبتروكيمياويات والأسمدة والصناعة كثيفة الطاقة كالسمنت والألمنيوم والحديد والصلب.
- الوضع الجيوسياسي في الشرق الأوسط.

الطلب العالمي على النفط وحصة أوبك

يبدو إن هناك شبه اتفاق بين بيوتات الخبرة بان من المتوقع إن يكون الطلب العالمي على النفط الخام بحدود (90) مليون برميل في اليوم في العام 2020 وهذا يتطلب زهاء (21) مليون برميل في اليوم من الإنتاج الجديد من النفوط الاعتيادية ويشمل ذلك الزيادة الفعلية على الطلب البالغة بحدود (11) مليون برميل في اليوم عن المعدلات الحالية و (10) مليون برميل لتعويض التناقص الفعلي في إنتاج الحقول الحالية عالميا (بحدود 5٪ كمعدل). كما يرتفع المطلوب من الإنتاج الجديد الى (33.5)، (43.5) مليون برميل في اليوم في العام 2025 والعام 2030 على التوالي في ضوء نفس الاعتبارات.

أما الطلب على نفوط أوبك فمن المتوقع إن يرتفع الى (40.5) مليون برميل في اليوم في عام 2020 و (43.5) مليون برميل في اليوم عام (2025) وبذلك فان الزيادة المطلوبة ستكون بحدود (7) مليون برميل في اليوم في العام 2020 و (10) مليون برميل في اليوم في عام 2025.

إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التناقص المتوقع في الطاقة الإنتاجية للبعض من دول أوبك وحيث أن الإنتاج في الحقول العراقية يعد الأرخص من بين دول أوبك، فان حصة العراق من الزيادة تتراوح مابين (5) الى (10) مليون برميل عام 2020 ترتفع تدريجيا في العقد الثالث من هذا القرن (2020 لغاية 2030) وربما قد تصل الى (12) مليون برميل في اليوم في العام2025.

أما بالنسبة للطاقة الإنتاجية الفائضة لدول أوبك التي تتجاوز حاليا (6) مليون برميل يوميا فربما تتجه نحو الانخفاض الى النصف بدء من عام 2014.

توقعات الطاقة الإنتاجية للعراق

2012	2013	2014	2015	2016
3.3	4.0	4.5	5.5	7.0

المتوقع أن تكون معدلات الإنتاج لغاية 2016 كما يلي بملايين البراميل يوميا:

وهذه الأرقام مبنية على تحقيق السقوف الإنتاجية في الحقول ضمن جولة التراخيص الأولى والجهد الذاتي لشركات الاستخراج في الوزارة إضافة الى الإنتاج الإضافي ضمن الحد الأدنى لبرامج العمل في الحقول السبعة المشمولة بجولة التراخيص الثانية والإنتاج من إقليم كردستان بافتراض بان زهاء 10-15٪ من الطاقة ستكون احتياطيا للمرونة وتغطية الظروف الطارئة.

أما ماهو المتوقع في الأعوام بعد عام 2016 ولغاية عام 2025 فهناك بديلان:

البديل الأول: يفترض بقاء السقوف الإنتاجية في جولتي التراخيص وهذا يعني زيادة تتجاوز الـ (4.5) مليون برميل في اليوم لتصل الطاقة الإنتاجية الى مايقرب من (12) مليون برميل / اليوم في عام 2017 أو عام 2018 ولغاية عام 2025.

البديل الثاني: تدرس وزارة النفط حاليا تخفيض السقوف الإنتاجية مقابل تمديد فترة إدامة سقوف الإنتاج لـ 10-15 سنة. وعندما

تنجح المفاوضات لتحقيق ذلك والمتوقع أن لا تكون سهلة. سيكون بإمكان العراق تحقيق طاقة إنتاجية مستدامة تتراوح مابين (8 الى 9) مليون برميل في اليوم اعتبارا من العام 2017/2018 لغاية العام 2025.

الاستهلاك الداخلي

خلال نفس الفترة. تتواصل نشاطات وزارة النفط للتأهيل الكامل للمصافي العاملة ليرتفع استهلاكها الى (0.9) مليون برميل في اليوم أوائل العام 2013 وإكمال أربعة مصاف جديدة في كربلاء، ميسان، الناصرية و كركوك باستهلاك يصل الـ (0.9) مليون برميل في اليوم في العام 2016/2017 وبافتراض أن إقليم كردستان ستكتمل المصافي المخططة أو تحت الإنشاء فيه سوف تستهلك (0.2) مليون برميل في اليوم يصل مجموع استهلاك المصافي (0.9+0.9+0.2=2) مليون برميل من النفط الخام يوميا.

أما بالنسبة للوقود المطلوب لقطاع الكهرباء فالمتوقع أن يكون ذلك من الغاز. وهذا متوفر، والمشتقات من المصافي وكذلك ماتحتاجه مصانع البتروكيمياويات والاسمدة والحديد والصلب والألمنيوم والسمنت مما قد يتطلب مصفى آخر بسعة تقدر ب (0.2) مليون برميل في اليوم ليصل النفط الخام المطلوب في العام 2018 وما بعدها (2.2) مليون برميل في اليوم.

الطاقة التصديرية

البديل الأول: حيث الطاقة الإنتاجية المستدامة المتوقعة مابين الأعوام 2017/ 2018 و لغاية 2025 ستكون بحدود 12 مليون برميل في اليوم و بافتراض إبقاء 12.5٪ من الطاقة الكلية فائضة للمرونة (1.5) مع 2.2 مليون برميل في اليوم للاستهلاك الداخلي تصبح الطاقة الإنتاجية المستدامة للتصدير هي:

(8.3) = 2.2 – 1.5 – 12مليون برميل في اليوم وهذه تقرب من أربعة أضعاف (3.7) الطاقة التصديرية الحالية (2.2).

البديل الثاني: بافتراض كون الطاقة الإنتاجية المستدامة بحدود (9) مليون برميل في اليوم مع 11٪ طاقة فائضة (1) مليون برميل في اليوم يصبح ما متاح للتصدير 9–1–2.2=(5.8) و لنقل (6) مليون برميل في اليوم: الرقم السحري الذي يعادل ثلاث أضعاف (2.7) الطاقة الحالية تقريبا.

كيف ستتعامل السوق النفطية وأوبك مع هذين البديلين؟

1– من الواضح أن البديل الثاني هو الأقرب الى توقعات بيوتات الخبرة كوكالة الطاقة العالمية (EIA) والبنك الألماني (DB) كما انه الأسهل للتنفيذ عراقيا لما يتطلبه البديل الأول من زيادة هائلة في منشآت التصدير و النقل، إضافة الى أنه من المستبعد أن يتسبب في انخفاض سعر برميل النفط الخام المؤمل أن يبقى فوق عتبة المائة دولار خلال الفترة الممتدة لعام 2025 تأمينا لمتطلبات الاستغلال الاقتصادي للمكامن غير التقليدية واستعادة ديناميكية الاقتصاد العالمي وبذلك يكون البديل الأول الأصعب للتقبل للحفاظ على أسعار مجزية وحصة معقولة للعراق ضمن أوبك.

2– أما بالنسبة لحصة العراق في الإنتاج ضمن أوبك فهناك الكثير من الحقائق الموضوعية بجانب زيادة حصته التي لم يتمكن من تحقيقها منذ 1990 بسبب الحروب والحصار القاسي من بينها:

– كانت حصة كل من العراق و إيران في العام 1989 (3.14) مليون برميل في اليوم لكن الإنتاج الفعلي للعراق انخفض بشكل حاد خلال الفترة اللاحقة.

– إن الحصة المحتسبة لإيران حاليا بحدود (4.14) مليون برميل في اليوم وحيث أن قرار أوبك هو حصة متساوية للعراق وإيران وان من غير المتوقع أن يصل العراق الى هذا الرقم الإنتاجي إلا في النصف الأول من العام 2014 فمن المنطقي أن يستطيع العراق بالأساليب الدبلوماسية أن تكون حصته هكذا.

قابلية للزيادة تعويضا عن الكثير من عقدين من الإنتاج المنخفض المفروض.

– توضح المخططات (1.2.3) الطاقة الإنتاجية و التصديرية الفعليتين خلال السنوات الممتدة من العام 1960 لغاية العام 2007 و السنوات الممتدة من العام 1980 لغاية العام 2007 وهي مستخلصة من الجداول الرسمية لأوبك وكما يلي:

● المخطط (1) يقارن ماصدره العراق من النفط الخام مع صادرات الدول الرئيسة في أوبك. يتوضح منها بأنه رغم أن العراق كان من أوائل المنتجين فان صادراته. باستثناء النصف الثاني من عقد السبعينات في القرن الماضي. اتجهت بانخفاض واضح وهو مايعكسه المخطط (2).

● أما المخطط (3) فيقارن تصدير كل من العراق وإيران منذ العام 1989 عندما تساوت حصة البلدين.

– هناك سوابق للموضوع أهمها أن الطاقة الإنتاجية لروسيا انخفضت إلى النصف بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (4–5) مليون برميل في اليوم. لكن روسيا تنتج الآن أكثر من ضعف ذلك والسوق احتاجت هذا المعدل بسعر يزيد على المائة دولار برميل.

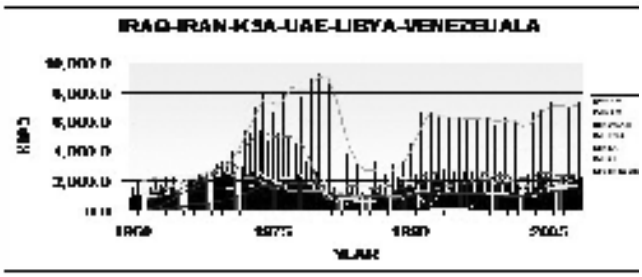

المخطط (1)

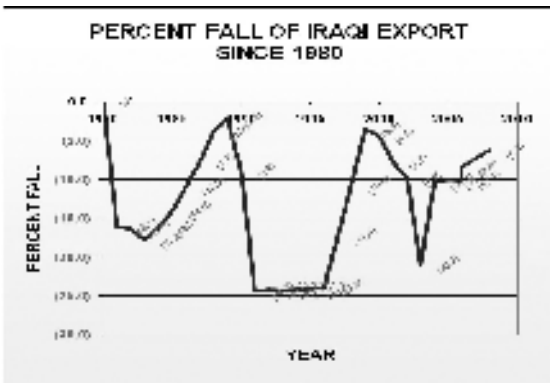

المخطط (2)

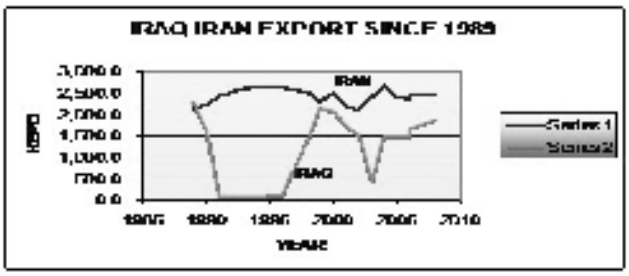

المخطط (3)

– على العراق أن يسدد الكلف الهائلة لأعمال تطوير حقوله وبناه التحتية الى الشركات المستثمرة المتعاقدة مما يتطلب معدلات إنتاجية عالية.

– لابد أن لدى الشركات النفطية الكبرى المتعاقدة مع العراق توقعات عالية للطلب على النفط الخام مع توقعات منخفضة للنفط الخام سهل الاستخراج مع كلف اقل في العراق وألا لم هذا التسابق على النفط العراقي؟؟ خاصة وان كلف تطوير وإنتاج النفوط غير التقليدية لاتعتبر اقتصادية بسعر برميل نفط خام يقل عن 85 دولار!.

منشآت التصدير واتجاهاته

لا تتضمن العقود الموقعة توسيع الطاقات التصديرية بأي اتجاه مما يتطلب من الدولة تأهيل المنشات الحالية وإجراء مايلزم لتوسيع هذه الطاقات واتجاهاتها لتحقيق المرونة المطلوبة بسبب ما قد يتعرض له اتجاه معين من إشكالات علما بان هذه المرونة تتطلب أن تكون منشآت التصدير والخزن والنقل بما لايقل عن 30–50٪ عن طاقة التصدير الفعلية، أي أن تكون بحدود (15) مليون برميل في اليوم في حالة البديل الأول و(12) مليون برميل في اليوم في البديل الثاني. وآيا كان البديل المختار فينبغي استكمال المنشات والأنابيب و الخزانات في العام 2018.

إن الطاقة الحالية محددة عند استكمال أعمال التأهيل بـ (4.8) مليون برميل في اليوم وهذه لاتكفي لتصدير الإنتاج المخطط من الحقول المنتجة (جولة التراخيص الأولى). أما الحقول المتعاقد عليها ضمن جولة التراخيص الثانية فليس لها أصلا خطوط أنابيب الى محطات التصدير الحالية وهي في وضع سيء لايمكن الاعتماد عليه.. ولذلك تعاقدت وزارة النفط لزيادة طاقات الخزن وميناءي التصدير البحريين في الخليج لتصل الى زهاء (7) مليون برميل في اليوم خلال:

1– بناء أربعة موانئ عائمة (SMB: Single Moring Buoys) بطاقة إجمالية تصل الى (3.6) مليون برميل في اليوم يتوقع إن يبدأ التصدير من أولها أوائل شباط هذا العام. فضلا عن ذلك فان الوزارة تدرس حاليا تصعيد عدد هذه الموانئ الى خمسة أي بطاقة (4.5) مليون برميل في اليوم.

2– نصب أنبوب بحري جديد لكل من ميناءي التصدير: البصرة وخور العمية مع إعادة تأهيل الميناءين لطاقتهما الأصلية.

3– إعادة مستودعات الخزن المدمرة في الفاو ومضاعفة طاقتهما مع منشآت الضخ اللازمة مع توسيع طاقات الخزن في مستودعات الخزن في الرميلة والطوبة والزبير.

في نفس الوقت فقد تعاقدت الوزارة مع شركة هندسية عالمية على دراسة فنية اقتصادية لتأهيل و توسيع خطوط أنابيب ومحطات الضخ جنوبا الى الشمال من خلال محطة الضخ الرئيسة في حديثة (الأنبار) وكذلك الخطوط باتجاه الشمال (الى تركيا) و الغرب (الى سوريا و الأردن) بسعة إجمالية تصل الى (5) مليون برميل في اليوم. فضلا عن ذلك يتطلب من الدولة بذل مساع حثيثة مع المملكة العربية السعودية لاستعادة تشغيل خط بصرة– ينبع (على البحر الأحمر)وهو من ملكية الحكومة العراقية ولكنه متوقف منذ العام 1990. وحين تتحقق كل هذه سيكون للعراق احد عشر منفذاً تصديرياً: ثمانية في الخليج واثنان على البحر الأبيض المتوسط وآخر على البحر الأحمر بطاقة كلية تصل الى (15) مليون برميل في اليوم.

البنى التحتية المدنية

تتطلب الأعمال المتزامنة لتنفيذ هذا العدد الكبير من العقود، وبالأخص في منطقة البصرة. طرقا وجسورا ومنشآت ومعدات موانئ تتحمل الأحمال الهائلة لأبراج الحفر و اللازمة لحفر آلاف الآبار و المعدات الثقيلة للمنشآت النفطية وذلك يستلزم قيام الدولة باستصلاح وتأهيل هذه البنى المدنية. وفضلا عن ذلك تحتاج المنشآت النفطية الجديرة

كميات هائلة من الماء والكهرباء و عدد كبير من المخازن و المستشفيات الحقلية و المركزية ومجمعات سكنية ومخيمات والخدمات الساندة.

يتم إنشاء محطات توليد وتوزيع ونقل الكهرباء من قبل الشركات المتعاقدة وكذلك المستشفيات الحقلية والمجمعات السكنية والمخيمات و المخازن

أما المياه فمشكلة جدية لان الحاجة للماء اللازم لإدامة الضغط في المكامن النفطية ورفع كفاءة الاستخلاص وعمليات التشغيل قد تصل الى كمية المياه المطلوبة الى (12) مليون برميل يوميا. تم الاتفاق مع الشركات المتعاقدة على تصميم وبناء مشروع كبير للاستفادة من ماء الخليج معالجة وخزنا ونقلا الى مواقع المجمعات النفطية و السكنية ومن المؤمل إن تنتهي الدراسات و التصاميم في النصف الأول من العام 2012.

الخطة الاقتصادية الإستراتيجية وكيفية الاستفادة من الإيرادات

من المؤسف أن الدولة لم تنجز خطة إستراتيجية لتنمية الاقتصاد العراقي ككل باتجاه تنويعه بالاستغلال الأمثل للموارد الهائلة و المتأتية من الزيادة الكبيرة في الإنتاج خاصة وان مدد العقود النفطية تتجاوز العشرين عاما. لقد مرت سنوات كثيرة ولم تصدر إلا خطة خمسية للبلد ككل وهي فقيرة بشكل عام. صحيح أن لدى وزارة النفط خطة عشرية منذ زمن إلا أنها لم تحدث لحد الآن، و الحاجة ضرورية جدا لاعتماد خطط قصيرة المدى ومتوسطة المدى و إستراتيجية (25 سنة مثلا) لكل مرافق الاقتصاد العراقي وهي كثيرة ومجزية أملا في تقليص الاعتماد على الإيرادات النفطية بما لايزيد عن 50٪ خلال 10–15 سنة. إن النشاط الايجابي و المشجع هو قيام هيئة المستشارين في مجلس الوزراء بالإشراف على الدراسة الفنية الاقتصادية لوضع إستراتيجية متكاملة لتطوير قطاع الطاقة INES (Iraq Integrated National Energy Strategy) تغطي الفترة من 2012 ولغاية العام 2030 ومن المتوقع صدور الدراسة النهائية أواخر كانون الثاني من هذا العام. وهذا أمر ممتاز لكنه يغطي الطاقة فقط (نفط.غاز. تصفية. كهرباء. الصناعات المرتبطة بالنفط والغاز) بينما نحتاج الى خطط إستراتيجية للقطاعات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والصناعة والسياحة والموارد المائية والنقل والتطوير الحضاري ورفع المستوى المعيشي والسكني بما يؤمن العيش الكريم والقضاء على البطالة الفعلية والمقنعة.

كل هذه الخطط ينبغي أن تستند الى الاستخدام الأمثل للإيرادات الهائلة التي سوف تتحقق في ظل حكم رشيد. إن إيرادات العراق المتوقعة في العام 2012 سوف تتجاوز مائة ألف مليون دولار بمعدل إنتاج 3.3مليون برميل في اليوم وحيث أن أسعار النفط و الغاز باتجاه الصعود خلال هذا العقد و العقد الذي يليه سوف تتعدى الإيرادات نهاية هذا العقد 2020 بما يقرب من ثلاثة أضعاف ذلك في البديل الثاني المفضل للإنتاج، أي أننا نتحدث عما لا يقل عن إيرادات سنوية تتصاعد تدريجيا وسنويا حتى تقرب أو تزيد عن ثلاثمائة ألف مليون برميل في السنة. إن هذه الإيرادات ينبغي أن تستخدم لتنويع وتطوير الاقتصاد ككل بما في ذلك التمويل الذاتي لوزارة النفط والتطوير المتوازن لكل محافظات العراق بما يعزز الوحدة الوطنية.

" وهكذا تتحول الثروة النفطية من لعنة الى نعمة"!

نحو تصحيح حساب تكاليف إنتاج النفط وما في حكمه من مواد قابلة للنضوب

د. مجيد مسعود

د. مجيد مسعود حاصل على درجة الدكتوراه في التخطيط الاقتصادي من جامعة براغ عام 1968، صدر له: دراسات اشتراكية في النظرية التعاونية (ترجمة)، موضوعات في التنمية والتخطيط، التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي، نظام الحسابات القومية كقاعدة معلومات للتخطيط، دليل المصطلحات التنموية، التنمية المضيقة، الاشتراكية المضيقة، موضوعات تنموية من منظور عربي، المناخ الاستثماري الخليجي. وله قيد الطبع: موضوعات من الملف الاقتصادي العراقي، التعاونيات نظام حماية صغار المنتجين والمستهلكين.

تتضح جلياً في الوقت الراهن البنية الريعية للاقتصاد العراقي، وذلك بزيادة اعتماده على موارد طبيعية تستخرج وتصدر بغالبيتها العظمى خاماً الى الخارج. فحوالي 95-98 بالمئة من هذا الاقتصاد مبني على تصدير النفط الخام، ولم تزد مساهمته الصناعة التحويلية في الناتج المحلي الإجمالي في عام 2008 عن 1.6 بالمئة، ولم تكن الزراعة بأحسن حال من هذا في مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي(1). يقابل ذلك اتساع للظاهرة الاستهلاكية وبشكل أساسي للمستورد من السلع والخدمات، وبروز الفئات الطفيلية الوسيطة التي تعمق العلاقات التجارية غير المتكافئة مع الخارج الرأسمالي. وهذا أدى ويؤدي الى تقليص دور العمل المنتج ومن دور وتأثير المنتجين الحقيقيين، وهما الركائز الصلدة لكل تقدم حضاري، كما عبر عن ذلك باحث مهتم بموضوع التنمية(2).

ومما يزيد هذه الظاهرة للبنية الريعية للاقتصاد العراقي، وما يماثله من اقتصادات ريعية عربية أخرى، هو هذا الخلط المحاسبي فيما بين الثروة والدخل.

توضح الأدبيات الاقتصادية بمبادئها الأساسية بأن الثروة لمجتمع ما وفي زمان محدد يمكن أن تشمل مايلي (3):

أ. الموارد الطبيعية المندرجة في دورة النشاط الاقتصادي عند حسابها، مثل

الأرض وما عليها من مصادر مياه وغابات، وما في باطنها من احتياجات مكتشفة للنفط والغاز والكبريت والفوسفات... الخ. وقد شبه ماركس الأرض –الطبيعة بخزان يحتوي على (تلك القيم الاستعمالية التي يجب امتلاكها بواسطة النشاط الإنتاجي)، الذي يمكن أن نتصور مساره على النحو التالي:

شغيلة الإنتاج + أدوات العمل ؟ موضوع العمل= المنتوج الجاهز

ب. المتراكم من الخيرات (الطيبات) المادية، وهي في الجوهر من ثمرة عمل سابق، مثل المزارع والمصانع، ومباني ومعدات وتجهيزات مختلفة المؤسسات، والطرق والجسور والسدود والمطارات والموانئ، والمباني السكنية وللإغراض الأخرى، ومخزون السلع الوسيطة والسلع الاستهلاكية، والاحتياطيات من الذهب والعملات الأجنبية...الخ. ويضاف إليها ما يماثلها من الأصول التي تمتلكها البلد وتكون موجودة في الخارج، عند حساب ما يعود من ثروة لهذا المجتمع وفي قدرته التصرف فيها.

ج. القدرة على العمل لموارد المجتمع البشرية من حيث كمها ونوعها أي ما تتمتع به من مهارات وكفاءات متراكمة، باعتبارها أهم نتيجة محفوظة للعمل السابق، والينبوع الفعال للثروة، وقد عَبر الاقتصادي الانجليزي وليم بيتي عن ذلك بقوله: العمل أبو الثروة والأرض –الطبيعة أمها. وهنا من السهل حساب ملايين ساعات العمل المتاحة للمجتمع في زمن محدد، ولكن من الصعب تقدير الجانب النوعي لهذه الثروة البشرية بصورة دقيقة، وهو الجانب الأهم.

د. والمصدر الرابع للثروة، هو المصدر المتجدد في كل عام، الذي يمكن أن يتحقق الزيادة المستمرة للثروة، يتمثل في زيادة الإنتاج على الاستهلاك وإهلاك ذلك الجزء من الثروة المتجسدة بوسائل الإنتاج، الذي دخل في العملية الإنتاجية كلياً (مستلزمات الإنتاج من الاستهلاك الوسيط)، أو جزئياً (استهلاك جزء من الأصول الثابتة). وإعادة تثمير هذا الفائض الاقتصادي، أو قسم منه، من جديد خلال عملية تجديد الإنتاج الموسع.

يتبين مما سبق بأن مفهوم الثروة كمخزون متكدس، الذي يبدو مستقراً ظاهرياً، إنما هو في الواقع يتناقض بالاستهلاك ويتزايد بالتمثير المتجدد للفائض الاقتصادي الفعلي أو لجزء منه. ولهذا يمكن أن يشبه حسب تعبير ماركس المجازي، محطة للركاب(مليئة دائما بالركاب، ولكن دائماً بركاب جدد).

وهذه الثروة الاجتماعية الوطنية، بتعبير آخر مكثف، إنما هي مُجمل جميع القيم التي يمتلكها المجتمع (كأفراد أو جماعات أو ملكية عامة) في زمن معين، بغض النظر عن الوقت الذي تحقق إنتاجها فيه. وهذه الثروة يُفترض أنها وجدت لتبقى كوسيلة، لتحسين مستوى حياة أفراد ذلك المجتمع جيلاً بعد جيل، مع إمكانية تغيير شكلها الاجتماعي وطابع ملكيته. فقد كانت الثروة تتراكم في أيدي أفراد قلائل بشكل ملكية فردية خاصة، ثم أخذت تظهر أشكال الملكية الأخرى، مثل الملكية الجماعية التعاونية والملكية الاجتماعية العامة لوسائل الإنتاج والتوزيع، والأجزاء الأخرى للثروة في المجتمع، مع استمرار بقاء الملكية الشخصية للفرد أو العائلة لكل ما يمكن أن يتمتع به

الشخص مع أفراد أسرته.

الوقائع تقر بتواجد جميع هذه الإشكال للملكية في الوقت المعاصر، في التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الرأسمالية المتطورة في المركز، والسائرة على طريق النمو في المحيط. وكذلك كانت في التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الاشتراكية قبل تفككها. مع العلم بان نسب توزيع الملكية للثروة تختلف في هذه الأنظمة المختلفة. حتى الشكل الواحد للملكية تختلف وظيفته باختلاف طبيعة النظام أو الدولة المسيّرة لهذه الملكية وفقاً للمصالح الاقتصادية الاجتماعية التي تمثلها وتدافع عنها.

هذا وقد جرت محاولات جادة لقياس جانب مهم من مكونات ثروة المجتمع، بالاستعانة بنظام الموازين لتقدير قيمة أرصدة الإنتاج على سبيل المثال. إلا أن الذي يهمنا هنا هو التأكيد على أن استعمال الموارد الطبيعية بصورة غير سليمة من منظور المصلحة العامة سيكبح نمو الثروة الاجتماعية. وبالتالي فأن الحساب الدقيق لهذه الموارد الطبيعية وترشيد استعمالها وحمايتها ووقايتها من التبديد والاستنزاف، كل هذا يُعتبر شرطاً مُهماً من شروط نمائها المستمر لتأمين مصالح الأجيال القادمة في ثروة مجتمعهم.

ولكن كيف تعاملت ومازالت تتعامل الجهات المسؤولة في إطار الحسابات القومية مع احد مكونات الثروة القومية من موارد طبيعية ناضبة، مثل النفط والغاز وما في حكمهما من موارد قابلة للنضوب؟.

وبعبارة مختصرة جداً، بتحويل هذا الجزء من ثروة المجتمع والذي هو ملك ليس فقط لهذا الجيل وحسب وإنما هو أيضاً من حق الأجيال القادمة، الى سيولة نقدية، أي إلى دخل تصرفي قابل للإنفاق الجاري. وجزء يسير منه للأنفاق الاستثماري، كثير منه في مشاريع مظهرية غير منتجة، أو توظيف ما سُمي بالفوائض المالية في السوق الرأسمالي(4).

وكما عرفنا مفهوم الثروة، ينبغي أن نُعّرف مفهوم الدخل الوطني (القومي)، لنصل بعد ذلك لتشخيص الخلط الواقع فيما بينهما في إطار الحسابات القومية للأمم المتحدة والمطبق في إطار الوطن العربي أو ما يترتب على ذلك من نتائج نعتقد أنها سلبية تتطلب الاجتهاد بسُبل تصحيحها.

الدخل الوطني (القومي) هو القيمة الجديدة التي يخلقها العمل المنتج لسكان بلد معين خلال فترة محددة (عادة سنة)، وتُمثل الفرق بين قيمة الإنتاج الاجتماعي في هذه الفترة معبراً عنها بالنقود، وقيمة المصروف لإنتاجها من مواد أولية ووقود ومواد مساعدة، واندثار مباني الإنتاج ومكائنه ومعداته الأخرى.

إن الدخل الوطني (القومي) من حيث شكله الطبيعي المادي يُمثل المواد المُنتجة للاستهلاك الشخصي، وذلك الجزء من وسائل الإنتاج المخصصة للتوسع اللاحق للعملية الإنتاجية. إن طبيعة الدخل الوطني (القومي) وتوزيعه تُحددهما طبيعة النظام الاجتماعي(5). وكما سبقت الإشارة نضيف لهذا التعريف بأن استهلاك هذه القيم المضافة الجديدة للدخل الوطني (القومي) يجب أن لا يقلل من الثروة الوطنية للمجتمع. وهذا التعريف للدخل الوطني يستند على تعريف للعمل المنتج باعتباره هو العمل الجاري في نطاق الإنتاج المادي المعدّ

بصورة مباشرة لإنتاج الخيرات المادية. ولهذا فهو في أي شكل اجتماعي تاريخي معين يكون دائما أساس حياة المجتمع(6).

لقد تبين مما تقدم بان العمل الحي الاجتماعي المبذول مباشرة لمعالجة المواد المنتزعة من الطبيعة وتحويرها بمساعدة خدمات وسائل العمل (أدوات العمل + الطرق والجسور والموانئ والمطارات وما في حكمها لاستكمال العملية الإنتاجية وتجديدها الموسع) لتكون صالحة للاستعمال الاستهلاكي والاستثماري، وهو الذي يخلق الإنتاج الاجتماعي. ولكي نصل الى الدخل الذي يتجسد بالناتج الصافي، أي القيم المضافة الجديدة خلال عام، والذي يمكن استهلاكه كلياً دون أن يؤدي ذلك الى إنقاص الثروة الكلية للمجتمع، لابد أن نطرح من هذا الإنتاج الاجتماعي، أكثر مما تطرحه الحسابات القومية بالوقت الراهن، أي المطلوب حساب الاستقطاعات "النضوب" من حساب جديد لها.

فالحسابات القومية الجاري التعامل معها حالياً، تطرح من الإنتاج الاجتماعي كما سبقت الإشارة لذلك، مستلزمات الإنتاج المادية المتمثلة في الاستهلاك الوسيط زائداً مخصص الامتلاك لتغطية ذلك الجزء من أدوات العمل والمباني التي يتحقق فيها الإنتاج الذي دخل في العملية الإنتاجية، وتزيد له أو تنقص منه صافي التعامل مع العالم الخارجي. ومن هنا يتضح بان الدخل بحسابه وفقاً لنظام الحسابات القومية المشار إليه، يكون قد أضيف إليه جزء من الثروة، وهو المستخرج من أصول قابلة للنضوب، أي غير متجددة كالنفط والغاز والكبريت والفوسفات وما في حكمهما.

وأننا في حالة استهلاكنا لمجمل الدخل الوطني الصافي المحسوب وفقاً لقواعد الحسابات القومية حالياً، نكون قد أنقصنا من أصل الثروة الوطنية، إلا في حالة التراكم الاستثماري لخلق أصول إنتاجية متجددة قادرة على إدرار الدخل من جديد.

وما دامت الحسابات القومية تُميز بصورة سليمة بين الإنتاج الإجمالي والناتج الإجمالي، وذلك باقتطاع الجزء من خدمات عوامل الإنتاج المتمثلة باستهلاك الوسيط، باعتباره جزءاً من الثروة وليس جزءاً من الدخل. وبنفس الأسلوب الصحيح على مستوى آخر تُميز بين الناتج الإجمالي والناتج الصافي، أي باقتطاع جزء آخر من خدمات عوامل الإنتاج المتمثلة باهتلاك رأس المال باعتباره أيضاً جزءاً من الثروة وليس جزءاً من الدخل.

فالمطلوب إن يستمر العمل المحاسبي وفقاً لهذا المنطق السليم ويتم اقتطاع الجزء المتبقي من خدمات عوامل الإنتاج المادية المتمثل بالأصول القابلة للنضوب من الثروة المتجسدة في احتياطيات النفط والغاز والكبريت والفوسفات وما في حكمها.

هل هذا الموضوع هو مجرد ترف فكري، أم أن له في الواقع آثار عملية سلبية؟ إننا نتفق مع الرأي الذي يؤكد على سلبية هذا التعامل المنهجي في حساباتنا القومية. ومن بين المجتهدين في هذا المجال د.علي توفيق صادق(7)، بقوله: إذا كان إطار الحسابات القومية، لا يميز بين مساهمة الموارد المتجددة ومساهمة الموارد الناضبة في تقدير الدخل القومي، فان تطبيقه على البلدان التي يعتمد نشاطها الاقتصادي على موارد ناضبة بشكل عام، وعلى النفط بشكل خاص

يؤدي إلى مغالطة لمفهوم الدخل. وتؤدي هذه المغالطة إلى مبالغة في مستوى الدخل القومي، تؤدي إلى تخصيص جزء من الدخل القومي للاستهلاك اكبر مما لو كان الدخل غير مُبالغ فيه. ومبالغة في مستوى الادخار القومي، ومبالغة في انخفاض الاستيعاب المحلي، ومبالغة في مستوى فائض الميزان التجاري، ومبالغة في تراكم الفوائض المالية، وأخيرا كما يؤكد د. علي توفيق صادق، تؤدي هذه المغالطة إلى تشويه هيكل الاقتصاد القطاعي. وهناك مساهمة في هذا المجال المتخصص في حسابات إنتاج النفط، هو د.صادق البسام في كتابه عن الاتجاهات الحديثة في محاسبة النفط (٨).

والخلاصة تكمن في إن النفط (وما في حكمه من مواد قابلة للنضوب) جزء من مكونات الأصول المحلية غير القابلة لإعادة الإنتاج، فإن عملية استخراج النفط وتصديره، يعتبر استبدال جزء من مكونات الثروة الوطنية بجزء آخر، يتمثل بدخل مالي غالباً يُستخدم للاستهلاك، وهذا لا يُعوض ما تم اقتطاعه من الثروة الوطنية، وجعلها تتناقص باستمرار.

إذاً مادام الأمر على هذه الدرجة من الأهمية، ما العمل للفرز بين الثروة و الدخل، أي كيف نصحح الحسابات القومية على هذا الصعيد؟ في المراجع التي ذكرتها، لاسيما كتاب الدكتور صادق البسام بعض المقترحات، ومنها ما جرى محاولة تطبيقه في الولايات المتحدة الأمريكية. وأنا هنا أعرض مقترحا مبسطاً قابلاً للتطبيق، فالقيم المضافة المتحققة من إنتاج وبيع النفط، نخصم منها عوائد العمل (الأجور والمرتبات وما في حكمها)، ولنفرض بأنها تقدر بـ اثنين بالمئة، وبمعاينة فائض التشغيل في صناعة النفط التحويلية، ولنفرض بأنه يعادل ثلاثة أضعاف عوائد العمل، أي في مثل هذا المثال تكون عوائد الملكية بحوالي الـ ستة بالمائة، وبجمعها نصل الى ثمانية بالمائة من القيمة المضافة الجديدة. والمتبقي وهو بهذه الحالة اثنان وتسعين بالمائة هي فائض القيمة الناتج في صناعة النفط (والغاز وما في حكمها من مواد قابلة للنضوب) باعتبارها فائض قيمة اجتماعي من نوع خاص، كمقابل للثروة من أصولها في احتياطيات النفط القابلة للنضوب، على إن يكرس جميعه للتراكم الاستثماري لخلق طاقات إنتاجية جديدة قادرة على إدرار الدخل باستمرار وهذا المقترح مستمد من واقع عراقي فعلي، جرى تطبيقه عندما ازدادت عوائد النفط بما سمي بالمشاركة بالإرباح، وذلك على اثر تأميم الدكتور محمد مصدق للنفط الإيراني في مطلع خمسينات القرن الماضي، وظهور مطالب عراقية شعبية وحتى في البرلمان بتأميم النفط العراقي. وعندها تم تأسيس "مجلس الاعمار" عام 1951 فأصدر قراراً طلب بموجبه وضع جميع عوائد النفط لتمويل مشاريع الإعمار في العراق، كالسدود للمياه، والطرق، واقتراح اقامة بعض الصناعات، ومنها مصنع الحديد، وما يماثلها من مشاريع توسع وتجدد الطاقة الإنتاجية للمجتمع العراقي.

ولكن مجلس الإعمار سرعان ما تخلى عن قراره هذا، وخفض النسبة من 100٪ الى 70٪ والباقي للمصروفات الجارية. وبعد ثورة ١٤ تموز الوطنية عام 1958 أصدرت السلطات المسؤولة قرارا بتخفيض

جديد بحيث أن لا تقل حصة المخصص للتراكم الاستثماري من عوائد النفط، عن 50٪.

والمطلوب هو العودة لاحتساب ماهو دخل تصرفي قابل للإنفاق، وما هو اصل مقتطع (اقتطاعات نضوب) من أصول هي ثروة المجتمع، لكي يعاد تثميره للمحافظة على مستوى الثروة دون إنقاصها بل تنميتها، وذلك بتحويل شكل هذا المصدر من الثروة الناضبة الى شكل آخر من أصول الثروة الإنتاجية المتجددة والقادرة على إدرار الدخل باستمرار.

المراجع:

1- من مداخلات الطاولة المستديرة عن واقع الصناعة العراقية، نشرت ملخصها مجلة الثقافة الجديدة بعددها المرقم 345 / 2011.

2- د. عبد الوهاب حميد رشيد: التجارة الخارجية وتفاقم التبعية العربية، معهد الاتحاد العربي، بيروت 1984.

3- لازوتكين: الاشتراكية والثروة، دار التقدم، موسكو 1974 ص 20-62.

4- تقتطع الكويت 10٪ من عوائد ثروتها النفطية المستخرجة من مصدر قابل للنضوب والمحولة الى سيولة دخلية وتدخره في صندوق سمته (رصيد الأجيال القادمة). والمهم هو تثمير هذه الأموال لخلق طاقات إنتاجية متجددة بديلة للمستقطع من ثروة البلاد.

5- مجموعة مؤلفين: القاموس السياسي، تعريب عبد الرزاق الصافي، مكتبة النهضة، بغداد 1973.

6- مجموعة مؤلفين: موجز القاموس الاقتصادي، تعريب د.مصطفى الدباس، دار الجماهير العربية، دمشق 1972.

7- د.علي توفيق صادق: محاضرة عن النفط ضمن إطار الحسابات القومية، ندوة ميزان المدفوعات، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، 9-1985/3/26.

8- د.صادق البسام: الاتجاهات الحديثة في محاسبة النفط والغاز، وأهميتها لدول مجلس التعاون الخليجي، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت 1985، ص72 ومابعدها.

موقف الحزب الشيوعي العراقي من الجبهة الوطنية والقومية التقدمية 1968 -1973

ماجد زيدان الربيعي

المبحث الثالث
الضغوط على الحزب الشيوعي لعقد الجبهة

لم تقتصر الضغوط على الشيوعيين على الملاحقة الأمنية، فإنها اتخذت مناحي مختلفة لإضعافه وإرغامه على عقد الجبهة بشروط البعث، حيث اغتيل عدد من قادته وكوادره. فقد أطلقت السلطة النار على عضو اللجنة المركزية للحزب ستار خضير وهو في المعتقل، وفي أيلول 1969 قتل عبد الأمير سعيد عضو قيادة بغداد. واغتيل عضو اللجنة المركزية علي حسن البرزنجي في كركوك واعتقل قيادي آخر هو توفيق أحمد واسقط سياسيا وزج المئات من الشيوعيين في معتقل قصر النهاية وأقبية الأمن العام في مختلف المحافظات.

كما قتل كاظم الجاسم عضو لجنة الفرات الأوسط وعزيز حميد مسؤول اللجنة المحلية في العمارة ومصطفى الظاهر عضو محلية الناصرية ومحمد حسون الدجيلي عضو محلية بابل، وغيرهم. وتمكنت الأجهزة الأمنية من تحطيم معظم منظمات الحزب الشيوعي وتحجيمها. فكان إيقاف القمع أحد الدوافع الذي فرض عقد الجبهة ليلتقط الأنفاس ويعيد بناء منظماته.

وفي الجانب السياسي لم تفسح السلطة مجالاً لتطور تحالفات الشيوعيين مع القوى الوطنية الأخرى، فوجهت ضربات مميتة للتيار الناصري وبعثرت قواه واغتالت بعض قياديه وشردت الآخرين، واعتقلت الدكتور رضا حلاوي ويوسف الحاج أليأس من شخصيات الحزب الوطني الديمقراطي لتوقيعهم على مذكرة مع الحزب الشيوعي رفعت الى رئيس الجمهورية تعالج قضية الديمقراطية ولمشاركتهم في مؤتمر الحزب الديمقراطي الكردستاني، واعتقل الدكتور محمد سلمان حسن من الديمقراطيين المستقلين وعذب في معتقل قصر النهايةٌ لذات الأسباب، وذلك لتجر يد الشيوعيين من حلفائهم وأكدت نشرة حزب البعث الداخلية " الثورة العربية " " ينبغي قبل إقامة الجبهة أن تنتهي كل التنظيمات القومية العاملة على الساحة العراقية، لأنها بالأساس من أصول بعثية ولابد أن ترجع الى أصولها، الى حزب البعث، وذلك حتى يتكون ميزان قوي واضح يسمح أن يقيم حزب البعث جبهة وتحالفاً مع الحزب الشيوعي " 43)).

وأصدر مجلس قيادة الثورة قوانين تضطهد حرية الانتماء الى الأحزاب السياسية، وخصوصاً الحكم بالإعدام على البعثيين الذين ينتمون الى أحزاب أخرى بعد تركهم حزب البعث على وفق منطوق المادة 200 المعدلة من قانون العقوبات.

وواجه الحزب الشيوعي ضغوطاً أخرى منها إقامة الجبهة الوطنية في سوريا التي ضمت حزب البعث والحزب الشيوعي السوري والقوميين وأقرت القوى المتحالفة بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم لها، ومنع النشاط في الجيش والطلبة. دفع ذلك البعث الى الإصرار على الشروط ذاتها. وقال لي عبد الرزاق الصافي أن البعثيين أصروا خلال المفاوضات على ذات شروط البعثيين السوريين وعادت أطروحة الحزب القائد بقوة. (44)

وخضع الحزب الشيوعي الى ضغط خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري الذي دعا بصريح العبارة الى عقد الجبهة بقول ما معناه " نرجوكم اعملوا الجبهة مع البعث "! لخاطرنا اعملوا جبهة مع البعث 45)).

كما مارس الضغط جورج حاوي الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني عام 1973 انطلاقا من إحياء أفكار إمكانية تحول قسم من البرجوازية الصغيرة الى الماركسية.

موقف الاتحاد السوفيتي
من عقد الجبهة

وضع الحزب الشيوعي السوفياتي الأسس النظرية لتحالفات حركات التحرر الوطنية في البلدان النامية في كراسات ومقالات حول التطور اللارأسمالي وتبنتها الأحزاب الشيوعية في مقررات مؤتمراتها الأممية وعلاقاتها الثنائية وبتأثير من الاختصاصيين السوفيت الذين كانت تستشيرهم الأحزاب الشيوعية ومن خلال إعداد الكوادر في مدارسهم الحزبية والنصائح التي تقدم لهم.

وذكر سليم إسماعيل البصري عضو اللجنة المركزية السابق في الحزب الشيوعي العراقي: وصلنا كراس حول التطور اللارأسمالي لكاتبه الرفيق بونوماريوف وانصرفنا الى طبعه في مطبعة الحزب وتوزيعه ((46.

و بعد عودة عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي من موسكو أواخر عام 1971 استأنف الحزب الدعوة الى الجبهة بتحفيز من الحزب الشيوعي السوفياتي، وان قيادة الحزب الشيوعي العراقي استجابت دون تردد بالرغم من أن أصداء ما دار في المؤتمر الثاني للحزب ما تزال ماثلة في الأذهان (47). إذاً المسألة لها جذورها الفكرية،جرى تبينها مع ازدياد دور حركة التحرر الوطني في البلدان النامية في مجال الصراع العالمي بين الرأسمالية والاشتراكية وأصبحت من الركائز الفكرية في سياسة الحزب الشيوعي العراقي بضغط من السوفيت،وهذا ما يشير إليه أكثر من مسوؤل فيه فأثناء مناقشة مسودة مشروع برنامجه للمؤتمر الثالث عام 1976 في موسكو مع وفد من الحزب الشيوعي السوفياتي برئاسة الباحث بلياييف صياغة المشروع على وفق أطروحة التطور اللارأسمالي المختلف عليها عقائد يا.

وفي السياق ذاته يرد " تعرضنا لضغط فكري لتبني موضوعة ومفهوم التطور اللارأسمالي...الذي لم يلق تقبلاً من كوادر الحزب الذي صار يعبر عنه في وقت لاحق بـ)التوجه الاشتراكي" ((48).

وأشار جاسم الحلوائي * القيادي في

الحزب بشان تـأثير الحزب الـشيـوعي السـوفياتي، قـائلاً رغـب السـوفيت بتعـاون الحزب الشيوعي العراقي مع حزب البعث (49).

وكان القادة السوفيت يلحون على تـأكيد أهمية العمل الجبهوي، ففي برقية التحية التي أرسلها الحزب الشيوعي السوفياتي الى المؤتمر الثاني قالوا، أن الحزب الشيوعي العراقي يبذل جهوده من اجل إقامة الجبهة الوطنية لجميع القوى التقدمية والمعاديةٌ للاستعمار في العراق وهذه الجبهة هي القادرة على المحافظة والتطوير للمكاسب الديمقراطية للشعب العراقي "، جريدة (طريق الشعب)، العدد 8 السنة 27 أيلول 1970 التي كانت تصدر سراً.

ويقُيم هذه العلاقة بين الحزبين على المدى التاريخي زكي خيري عضو المكتب السياسي للحزب وهو المطلع على طبيعتها،لان هذه العلاقات محصورة بالمكتب السياسي " كان الرفاق السوفيت يردون على كل استفسار نوجهه إليهم في المنعطفات السياسية الحادة و يقدمون لنا النصح الخالص"، ولم يكن رد الفعل من جانبنا ايجابيا دائماً،ولم يقاطعوننا بسبب رفضنا، بل يواصلون الحوار بروح رفاقية ونفس طويل،وكنا نحن الذين نعرض عليهم خلافاتنا وعلى أشقائنا الشيوعيين الأجانب لنتسلح بفتاويهم في جدالنا مع بعضنا.(50)

هذا التقييم قريب من الواقع، إذ لم يأخذ الحزب الشيوعي العراقي بالنصائح التي قدمت له في بعض المواقف، ويعيب بعض أعضاء قيادة الحزب على المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي العراقي الذي عقد في كردستان عام 1985 أن قيادته التي انتخبت في المؤتمر بقولهم،جرى إهمال واضح للملاحظات القيمة التي قدمتها الأحزاب الشقيقة، وخاصة الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي والحزب الشيوعي البلغاري والحزب الاشتراكي الألماني الموحد). 51)

الواقع أن الأحزاب الشيوعية لم تجد حرجا في استشارة الأحزاب الشيوعية الأخرى بحكم مبدأ التضامن الاممي، بل أن قسما منها بادر الى عرض حتى الخلافات الداخلية على الحزب الشيوعي السوفياتي للاستقواء على الآخر المعارض ولتسجيل ميزة في الصراع والاختلاف الإيديولوجي.

المبحث الرابع

موقف الحزب الشيوعي من شروط حزب البعث لعقد الجبهة

اعتقد الحزب الشيوعي العراقي على الدوام بأهمية الجبهة وإمكانية عقدها بين القوى الوطنية التقدمية، وثبت ذلك في جميع مؤتمراته وكونفرساته، وذلك من اجل تحقيق الأهداف الآنية والبعيدة المدى للشعب والوطن، وشدد على إقامة حكومة ائتلاف "وطني ديمقراطي " تبادر الى إطلاق الحريات الديمقراطية للشعب.

عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعا طارئا في 29-7-1968 لدراسة الأوضاع الجديدة بعد 17 تموز وجاء في البيان الصادر عنه "لقد حلل حزبنا طبيعة حزب البعث العربي الاشتراكي كحزب قومي برجوازي صغير، وبالاستناد الى هذا التحليل لطبيعة الحزب الحاكم وعلى أساس دراسة تركيب الحكم الجد يد وسياسته الخارجية والداخلية، فقد حلل حزبنا موقع هذا الحكم باعتباره حكماً معاد ياً للاستعمار والإقطاع، ولكنه من الجانب الآخر لا يزٌال يمٌثل دكتاتورية مناوئة للديمٌقراطية، ونعني بها

الديمقراطية السياسية أي حق الشعب في انتخاب حكامه وممثليه على جميع الدرجات بحرية تامة (52). "

وحددت أهم المطالب والأهداف مشكلة الديمقراطية والنظام الديمقراطي وإزالة آثار الإرهاب ومصادرة الحريات وإنهاء الفترة الاستثنائية ونقل البلاد الى الحياة الدستورية الديمقراطية وحل المسألة الكردية حلا ديمقراطيا ورعاية مصالح الجماهير المعيشية والاقتصادية وانتزاع حقوق العراق من الشركات الاحتكار ية..الخ (53).

وفي تشر ين الأول 1968 جددت اللجنة المركزية تأكيدها على قيام الجبهة بين الأحزاب الوطنية وبضمنها حزب البعث على أساس التكافؤ وجاء في التقرير الصادر عن اجتماعها "أن أهم مبدأ يتمسك به حزبنا في حال الائتلاف مع أي حزب أو الأحزاب أخرى هو مبدأ استقلالية حزبنا الطبقية.. وإلغاء كافة الأوضاع الاستثنائية والمؤسسات والقوانين المعادية للديمقراطية، والعمل على حل القضية الكرد ية على أساس الاعتراف بحقوق الشعب الكردي القومية، وخاصة حقه في الحكم الذاتي.."

وأكد التقرير على أن تبنى أهداف الجبهة ومهامها وبرنامجها من أي طرف لا يمكن أن يعني تخليه عن برنامجه الحزبي أو استراتيجيته بأي حال من الأحوال وإلا تحولت الجبهة الى "الحزب الواحد".

وحدد حزب البعث شروطه لعقد الجبهة القومية الوطنية والتقدمية في جريدة الثورة وتتلخص "ضرورة تقييم حزب البعث وقيادته للثورة " و"إصدار تقييم واضح لا لبس فيه لثورة 17 تموز" "الاعتراف بالدور القيادي على صعيد الحكم وعلى صعيد الدولة والمنظمات والجبهة " " وعدم إقامة أية علاقة مع أي فئة سياسية معادية للحزب والثورة " " عدم إقامة علاقة مع الفلول المنشقة عن الحزب" أن يمُتد التحالف الى فروع حزب البعث في الأقطار العربية "عدم السماح بإقامة ولاءات غير الولاء للثورة داخل القوات المسلحة " وغيرها من الشروط (54).

وردت جريدة (طريق الشعب) السرية الجريدة المركزية للحزب الشيوعي على جريدة الثورة أن الجريدة الناطقة باسم حزب البعث طرحت شروطه لإقامة الجبهة في عددها الصادر في الأول من آب 1970 وسمتها "شروط البعث التعجيزية للجبهة وناقشتها بطرح جملة من الأسئلة منها" لماذا لم يحدد حزب البعث الأهداف التي يمكن أن تتحد حولها هذه الأحزاب والقوى في مشروع برنامج الجبهة؟ وكيف يوفق حزب بين الدعوة للجبهة وإصراره على استمرار الأوضاع الاستثنائية والاحتفاظ بالمؤسسات اللاديمقراطية والقوانين الرجعية المعروفة؟ وماهي المبررات التي جعلت حزب البعث يهمل قرارات مؤتمره القومي التاسع الذي أعلن التخلي عن موضوعة الحزب القائد واقر شعار الجبهة على أساس المساواة والاحترام المتبادل"؟

وبشأن تقييم حزب البعث على انه "حزب ثوري وحدوي واشتراكي وديمقراطي "قالت طريقُ الشعب "إننا حين لانسم الوضع القائم بالوضع "الديمقراطي الثوري" فلأنه يناوئ الديمقراطية و يضطهد القوى الثورية. أما عن الشرط الآخر تقييم انقلاب 17 تموز 1968 على انه ثورة استمر الحزب الشيوعي في جميع وثائقه على تقييمه بأنه انقلاب لحين إقامة الجبهة.

كما أكد على انه لن يدخل أي تحالف إلا على أساس "التكافؤ والمساواة ". وهذا المبدأ

لا يرتبط بالفكرة الدراجة حول تقاسم المراكز الحكومية.... ورد الحزب الشيوعي على " عدم إقامة أية علاقات مع الأحزاب الأخرى والتي تعارض حكم البعث أو مع المنشقين عنه" أن حزب البعث لا يلزم نفسه بشيء من هذا القبيل يريد أن يلزم الآخرين به.. ولكننا لا نرى وجاهة في الامتناع عن إقامة أية علاقة مع أي فئة سياسية لايرضى عنها حزب البعث ذلك لأنه يمكن أن يرضى اليوم عن هذه الفئة ويسخط عليها غداً وبالعكس)).

وعن احتكار العمل في الجيش لحزب البعث "قالت جريدة طريق الشعب في عددها المذكور "أن هذه الصيغ لا تختلف عن صيغ العهد المباد) الجيش فوق الميول والاتجاهات (و)إبعاد الجيش عن السياسة(وغيرها التي ساهمت في إضعاف الوعي الوطني داخل الجيش.. إن خلق مناخ ديمقراطي وطني داخل الجيش.. واتاحة الفرصة لأفراده ومراتبه وضباطه بالتسلح بالفكر الثوري في ظل أخوة وطنية وتضامن كفاحي بين الجيش وأبناء الشعب خير ألف مرة من هذه الاشتراطات ".

وخلص الحزب من مناقشته في جريدته المركزية لجميع الشروط التي طرحها حزب البعث لقيام الجبهة قائلاً " إننا لانتجنى على الحقيقة والواقع إذا قلنا أن الشروط التي طُرحها البعث كأساس لإقامة الجبهة لا يمكن أن تحظى بتأييد الحزب أو منظمة وطنية في العراق بما فيها الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي تحالف مع البعث على أساس اتفاقية 11 آذار 1970 و يطُمح بجعل هذا التحالف)) قاعدة رئيسية للجبهة((ويتطلع الى توسيعها وتعميقها كي تضم جميع الأحزاب والهيئات الوطنية في العراق ". (55)

واختتم الحزب مناقشته بـ" أن بإمكان البعث أن يراجع موقفه من هذه القضايا الهامة وان يتخلى عن الشروط التعجيزية التي تعيق قيام الجبهة".

وانتقد المؤتمر سياسة تبعيثُ "أجهزة الدولة" وبالأخص القوات المسلحة والتمييز تجاه منتسبي الأحزاب والتيارات الوطنية والقومية وانعدام المقاييس الصحيحة تجاه استثمار مختلف الكفاءات الوطنية مرده جنوح حزب البعث الى الاستئثار بالسلطة والانفراد بالحكم.. نجم عنها تعمق التذمر والاستياء بين فئات المثقفين والشباب والعسكر يين (56) ". ودعا تقرير اللجنة المركزية الى المؤتمر الى عقد مؤتمر وطني عام يضم جميع الأحزاب والكتل الوطنية دون استثناء لمناقشة قضية التوصل الى جبهة وطنية موحدة واشترط لمساهمة الحزب الحاكم فيها مبادرة الطرف القابض على السلطة بوقف كل إشكال القمع والاضطهاد وتوفير المناخ الديمقراطي.

الانعطافة المهمة في الحوار حدثت عندما طرح حزب البعث " ميثاق العمل الوطني "، فقد أعلن رئيس الجمهورية احمد حسن البكر في الخامس عشر من تشرين الثاني 1971 الميثاق لتبدأ مباحثات جديدة بين الطرفين، وجاء في مقدمة الميثاق " أن مهمات الثورة على الصعيدين القطري والقومي، كما أن الكفاح ضد العدو الامبريالي والصهيوني وضد حلفائه من العملاء المحليين، تتطلب تضافر جهود وطاقات كل القوى الوطنية والتقدمية في إطار جبهوي تحدده في كل قطر أوضاعه الخاصة (57)".

وأصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في السابع والعشرين من تشرين الثاني 1971بيانا ثمن "خطوة عرض الميثاق

في هذا الظرف الذي يشُعر فيه كل الوطنيين أن التعاون بين الأحزاب والقوى الوطنية وإقامة جبهة موحدة بينها قد بات ضرورة لا تحتمل التأجيل(58). " ورأى فيه من الناحية المبدئية، أن مشروع الميثاق تضمن " أسسا صالحة للتعاون الوطني " لاسيما " إذا ما اقترن بالسعي للاتفاق عليه بمناقشة جادة "، وقيمه أيضا " أن المشروع من حيث مضامينه واتجاهاته الرئيسة معاد للامبريالية ". وشدد البيان على أسس التحالف بين القوى السياسية منها: الاحترام المتبادل بوصفها أحزاب سياسية مستقلة ايدولوجيا وسياسيا وتنظيميا"، وطالب أن يضع النظام خاتمة نهائية وحاسمة لكل مظاهر الاضطهاد ضده وضد أية قوة وطنية أخرى. "

ومع أن الحزبين لم يتُوصلا الى اتفاق على مشروع الميثاق أو على إقامة الجبهة ولكن وافق الشيوعيون على دخول الحكومة في الرابع عشر من آذار عام 1972، إذ أسندت وزارة الري الى العضو المرشح في اللجنة المركزية مكرم جمال الطالباني بينما أصبح رفيقه عامر عبد اللّه العاني عضو اللجنة المركزية وزيرا للدولة، وكانت مشاركة ليست ذات شأن إلا أنها خففت من الملاحقة وغضت النظر عن بعض النشاطات الجماهيرية الشيوعية (59).

وبعد عشرة أيام من محاولة انقلاب ناظم كزار مدير الأمن في الحكومة، وقع الحزبان في السابع عشر من تموز عام 1973 على ميثاق العمل الوطني والبيان المشترك الذي يعلن عن قيام الجبهة في حفل أقيم في القصر الجمهوري وقعه عن حزب البعث أحمد حسن البكر وعن الحزب الشيوعي عزيز محمد السكرتير الأول للجنته المركزية، وحصل الحزب على شرعية العمل العلني وأصدر جريدته المركزية (طريق الشعب).

الخاتمة

كانت هذه الفترة التاريخية من الحوار بين الحزبين البعث العربي والشيوعي العراقي مهمة وغنية في دروسها، رغم المصاعب التي مرت بها القوى الوطنية والصراعات الحادة للوصول الى شكل من أشكال التعاون فيما بينها لتحقيق الاستقرار للعراق وانجاز الأهداف.

وتبين التجربة والاستنتاجات من الحوار انه كان يمكن أن يكون راسخاً ومديدا ويفُضى الى التطور وتغيير وجه البلاد لو كانت منطلقاته المصالح العليا والاستراتيجية.

ومن أهم الاستنتاجات المستخلصة:-

1 – إن الحوار بين القوى السياسية لإقامة الجبهات يجب أن يكون على أساس التكافؤ واحترام استقلالية كل حزب التنظيمية والفكرية والسياسية من المتحاورين قولا وفعلا.

2 – خاض الحزبان الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردستاني وغيرهما الحوارات لإقامة الجبهة كل على انفراد، وهذا ما سهل على حزب البعث إملاء شروطه وانتزاع تنازلات كبيرة ومهمة من جميع الأطراف، في حين كان يمكن أن يكون العكس لو أصرت القوى الوطنية آنذاك على الحوار الجماعي معه.

3– التحالف مع حزب يقود السلطة ينبغي أن يكون في أجواء من الديمقراطية، وبناء النظام القانوني المؤسساتي، من دون ملاحقات أمنية، فأي تحالف يكون تحت التهديد لن يكون تحالفاً استراتيجيا، ينتهي بمجرد زوال هذه الملاحقات والمؤثرات القاهرة.

4 – ضرورة أن يمتد الحوار بين القوى

السياسية الى قواعدها والتثقيف والتربية بأهمية الجبهات وإزالة الحواجز والتنافر وترسيخ القناعات بالبرنامج المشترك والتنافس الديمقراطي على كسب الجماهير.

-٥تنشيط الفعاليات والنشاطات المشتركة بين الجماهير خلال فترة الحوار لتكون عاملاً مساعداً وأساسيا للوصول الى الحلول الوسط.

6- رفع القيود عن القوى والأحزاب لتعبر عن مواقفها وآرائها في وسائل الإعلام، وعدم تضييق النقد على الظواهر السلبية والخاطئة.

* جاسم الحلوائي، ولد في كربلاء عام 1932، عربي، تعلم القراءة والكتابة في الملا، لم يكُمل دراسته الابتدائية درس في مدرستي الإعداد الحزبي في بلغاريا وموسكو، عامل، انتمى الى الحزب الشيوعي عام1945، اصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في منتصف الستينات لغاية المؤتمر الرابع للحزب الذي عقد عام 1985.

الهوامش

43- للتفاصيل انظر: د. رحيم عجينة - الاختبار المتجدد، المصدر السابق، ص 100.

44- حديث عبد الرزاق الصافي عضو قيادة الحزب الشيوعي آنذاك للباحث في 2009-17-10- بشان الضغوط التي كانت تمارس على حزبه لعقد الجبهة.

45 - للتفصيل انظر: عزيز سباهي، ج 3، مصدر سابق، ص 123. ومذكرات بعض قيادي الحزب الشيوعي العراقي.

46- سليم إسماعيل البصري، الصراع، مذكرات شيوعي عراقي، بغداد، دار المدى للثقافة والفنون، ط 1، سنة، 2006 ص 275.

47- عزيز سباهي ج 3، المصدر السابق، ص114.

48- رحيم عجينة، مصدر سابق، ص 128- 129.

49- انظر: جاسم الحلوائي،الحقيقة كما عشتها، ط 1، بغداد دار الرواد المزدهرة، سنة 2006، ص 239.

50 - زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي مخضرم، بدون ذكر لسنة الطبع والمكان، ص 233 (حسب علمي في السويد. ماجد)

51 - للتفاصيل انظر: مذكرة قدمها عدد من أعضاء وأعضاء احتياط في اللجنة المركزية وأعضاء في المكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في تموز ١٩٨٦، وهم من لم يفوزوا في المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي العراقي الذي عقد في كردستان عام 1985 (باقر إبراهيم حسين سلطان وعامر عبد اللّه وآخرون(،منشورة في كتاب مذكرات باقر إبراهيم، دار الطليعة - بيروت، ط 1، سنة 2002 ص 428. وأيضا منشورة في الملف العراقي، نشرة شهرية سياسية وثقافية يصدرها مركز دراسات العراق، لندن، عدد نيسان،سنة 2000.

52- وثائق المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي العراقي - أيلول 1970 ص.37s

53- المصدر نفسه لمزيد من المعلومات ص 38.

54- للتفاصيل: جريدة الثورة في5-13/ 4 / 1970-11-12 نقلا عن سمير عبد الكريم مصدر سابق،ج 5 ص137.

55- جريدة طريق الشعب جريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي عدد أوائل آب، 1970.

56 - وثائق المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي العراقي، المصدر السابق، ص 43.

57 - للتفصيل انظر: ميثاق العمل الوطني والنظام الداخلي وقواعد العمل في الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، دار الحرية للطباعة، بغداد،1973.

58- للتفصيل عن نص البيان يراجع: "الثقافة الجديدة" عدد خاص 30-31 شرين الأول- كانون الأول 1971 ص 3-7 تجدر الإشارة أن مشروع الميثاق خضع لدراسة وملاحظات أعضاء اللجنة المركزية منهم عامر عبد اللّه ورحيم عجينة ومكرم الطالباني، المصدر نفسه.

59- حنا بطاطو، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص 424 -425.

ملاحظ: نشر الجزء الاول من هذه الدراسة في العدد347-348 المحرر.

من الحكومة إلى الحوكمة الالكترونية - المراحل والمفاهيم

د.عادل مطلوب

الدكتورعادل مطلوب متخصص في تصاميم المنظومات الخبيرة التي تتعامل باللغة العربية والتنقيب عن المعطيات العلمية مع استنطاق التعليم الالي. حاصل على بكالوريوس في الهندسة الكهربائية من كلية الهندسة - جامعة بغداد، كما انه يحمل درجة ماجستير في هندسة الحاسبات من جامعة مانجل في بريطانيا (1977)، ودرجة دكتوراه في تصاميم منظومة الحاسبات ذات الاعتمادية العالية وذلك من جامعة مانجستر في بريطانيا في عام 1980. منذ أكثر من ثلاثة عقود والدكتور عادل مطلوب يعمل في جامعات مختلفة وشركات متخصصة بتكنولوجيا المعلومات وقد قام بتصميم منظومات خبيرة وإدارة فرق العمل التي تقوم بعمل التصاميم. وبحكم الخبرة الطويلة كونه أكاديميا وممارسا لإدارات عمل مختلفة فقد قام د.عادل بتقديم الاستشارات لعمل وزارة العلوم والتكنولوجيا وخططها في مجال تقنية المعلومات، وبالذات في مجال أتتمة عمل الوزارة والمشاركة في لجان الحوكمة الالكترونية. تولى رئاسة اللجان التحضيرية لعدد من المؤتمرات العلمية التي أقامتها الوزارة. كما انه ممثل شبكة العلماء العراقيين في العراق.

أوكل مجلس الحكم (المنحل) لوزارة العلوم والتكنولوجيا في شهر تموز من عام 2004 مهمة بناء نواة الحكومة الالكترونية؛ وبحسب التزام الحكومة الايطالية في دعم الأنشطة المعلوماتية في العراق ومن خلال التزام حكومة روما في قمة جنوا 2001 أمام الأمم المتحدة والمتضمن دعم الدول ذات الأنشطة الاقتصادية المضطردة النمو ودول العالم الثالث في مجال المعلوماتية، فقد تم توقيع مذكرة تفاهم في آب 2004 لبدء التعاون في هذا المجال. تلتها توقيع مجموعة من مذكرات التفاهم التي وقعت في عامي 2005 و 2006. وقد عرف المشروع بالمبادرة الايطالية للحكومة الالكترونية.

وفي نشاط موازٍ بادرت وزارة العلوم والتكنولوجيا في أيار 2005 برفع طلب إلى مجلس الحكم المنحل خاص بتوفير حاضنة تكنولوجية لإدارة الموارد ضمن قطاع المعلوماتية وهي مكتب موظف المعلومات المركزي (CIO) وردت موافقة مجلس الحكم (المنحل) على تأسيس دائرة مركزية تعنى بشؤون تقنية المعلومات في الحكومة العراقية أطلق عليها في حينها ((دائرة المعلومات المركزية)) ((NCIO National Chief

((Information Office علـــــى إن تحتضن هـذا النشـاط وزارة العلـوم والتكنولوجيا / دائرة تكنولوجيا المعلومات ولحين إقرار جهة ارتباطه في المستقبل.

مشروع دائرة المعلومات المركزية

أسس هذا المشروع ليكون سلطة تشريعية فنية بيد الدولة تشرف من خلالها على قطاع حيـوي ومهم هـو قطـاع المعلـومـات و الاتصالات، ومنذ تأسيس النشاط في أيار / 2005 شكلت لجنة برئاسة وزارة العلوم والتكنـولـوجيـا وتـضم ممثلين من ذوي الاختصاص من كافة الوزارات والهيئات غير المرتبطة بوزارة، وقد تابعت وزارة العلوم والتكنولوجيا قضية تشريع قانون لهذا المشروع خلال الحكومات المتعاقبة وتمخضت تلك الجهود عن تحرير مسودة تشريع رفعت إلى مجلس شورى الدولة بتاريخ 5/21/ 2008 من قبل الأمانة العامة لمجلس الوزراء وقد أطلق على التشريع بالعنوان ((الهيأة الاتحادية للمعلوماتية)) حيث صاغته لجنة برئاسة احد مستشاري دولة رئيس الوزراء المحترم، وفي الفترة القادمة ولحين إقرار المشروع من مجلس النواب (لم يقر المشروع لحد كتابة هذه المقالة) ستستمر الوزارة في إدارة النشـاط بهدف إنشـاء الحكـومـة الالكترونية في العراق.

وقد أصدرت وزارة العلوم والتكنولوجيا / دائرة المعلومات المركزية وبالتنسيق مع USAID/Bearing Pointأول دلـــيـل ل"موظف المعلومات المركزي "CIOباللغة الانكليزية في نيسان 2005، والنسخة الثانية في أيار 2005. كما قامت الوزارة بإعداد ورش عمل لتدريب القدرات في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، والجاهزية الرقمية لـ" مـوظف المعلومات المركزي " CIOخلال الأعوام 2004–2008. وكان من أبرز هذه النـشـاطات في هـذا المجـال هـو إطلاق الإستراتيجية الوطنية في مجال تقنية المعلومات والاتصالات في منتصف 2007 وبالتنسيق مع .USAID وبناءً على ذلك تم إنشاء مركز بيانات خاص بمكتب موظف المعلومات المركزي ذو سرعة تناقل بيانات عالية بسرعة G10 والذي يعتبر من أسرع التقنيات المستخدمة إقليميا في وقتها.

مشروع قانون الهيأة الاتحادية للمعلوماتية و الأمر الديواني رقم 46 لسنة 2009

وبسبب غياب التشريع لقانون ((الهيأة الاتحادية للمعلوماتية))؛ استمرت الوزارة في التخطيط والتنفيذ مع بقية وزارات الدولة لتنفيذ برنامج الحكومة الالكترونية عبر الأمر الديواني رقم 46 لسنة 2009 والذي من خلاله كلفت الأمانة العامة لمجلس الوزراء معالي وزير العلوم والتكنولوجيا لرئاسة اللجنة الوزارية العليا لبرنامج الحكومة الالكترونية والتي ضمت العديد من الوزارات من ضمنها وزارة الاتصالات، الدفاع، الداخلية، التخطيط والتعاون الإنمائي، التربية، المالية، التعليم العالي، الصحة، البنك المركزي إضافة إلى ديوان رئاسة الجمهورية، الأمانة العامة لمجلس الوزراء، مكتب نائب رئيس الوزراء، و مستشارية الأمن الوطني.

نشاطات اللجنة الوزارية مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة

وكان من النتائج المهمة لعمل اللجنة هو التنسيق مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة UNDPوالذي تمخض عنه ثلاثة نشاطات رئيسة لحد الآن وهي:

ألمؤتمر العلمي الأول للحوكمة

1-تنظيم وإعداد مؤتمر "نحو خدمات الكترونية أفضل في العراق" في الفترة – 20 21 من كانون الأول 2009، وقد شارك في المؤتمر معظم وزارات الدولة من الحكومة الاتحادية وإقليم كردستان إضافة إلى العديد من المحافظات التي عرضت خططها في مجال التهيئة للحكومة الالكترونية، مع مشاركة

واسعة من خبرات عالمية طرحها باحثون من استونيا، الهند، إيطاليا، كولومبيا إضافة إلى مصر، وناقش المؤتمر ثلاثة وأربعين بحثا.

ركز المؤتمر على الحوكمة الالكترونية في العراق وعلى أهمية خدمة المواطن والتعامل معه كشريك في هذه العملية، وليس متلق لخدماتها، إضافة إلى توفير الشفافية في العمل الحكومي مما يوفر أداة فاعلة لمكافحة الفساد، بشتى أنواعه، والحد من استشرائه، ناهيك عن ميزاتها الأخرى التي تمس المواطن مثل توفير الخدمات الحكومية المهمة والحيوية، وعبر نافذة واحدة دون قيود الزمان والمكان. وفي ذات الوقت فإن انعكاس تفعيل خدمات الحكومة الإلكترونية، على الحكومة ذاتها، سيكون واضحا وملموسا جراء تبسيط الإجراءات الذي سينجم عنه تقليص في هرم الهيكلية الإدارية الحكومية ومؤسساتها الخدمية، وما سيتبع ذلك من تخفيض للنفقات وتحسين للأداء وارتقاء بالنوعية.

أهداف المؤتمر

ووضع المؤتمر في مقدمة أهدافه الوصول الى:

- إنشاء طريق للتوصل إلى اتفاق، وذلك باستخدام نهج أصحاب المصلحة لوضع أولويات الإدارة الالكترونية واستراتيجيات التنفيذ.
- اقتراح السياسات التي تدعم مبادرات الحوكمة الالكترونية.
- صياغة آليات تنفيذ الحوكمة الالكترونية في العراق.
- توحيد مفهوم الحوكمة في جميع القطاعات وتعزيز الحاجة إلى إضفاء الطابع المؤسسي على العملية.
- بناء التطبيقات الناجحة في بعض الإدارات الحكومية.

تبني مفهوم الحوكمة لتعزيز الحكم الرشيد

2. اجتماع دولي رفيع المستوى حول الحوكمة الإلكترونية عقد في أربيل في الفترة من 12–15 أبريل 2010. تم الرجوع فيه إلى مفهوم الحوكمة الالكترونية في "قمة الألفية" والذي ثُبّت فيه أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تدعم الحكومات الوطنية للوصول إلى "الأهداف الإنمائية للألفية" من خلال تعزيز الحكم الرشيد. وقد طرح مفهوم الحكومة الالكترونية بحسب الأمم المتحدة، لسنة 2010 بان "الحكومة الالكترونية هي وسيلة لتعزيز قدرة القطاع العام، جنبا إلى جنب مع المواطنين لمعالجة القضايا الإنمائية المعينة". في حين حدد مفهوم الحوكمة الالكترونية حسب أمانة الكومنولث، لسنة 2000 هو أن "الحوكمة الالكترونية تسعى لتحقيق العمليات والهياكل لتسخير إمكانيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في مختلف مستويات الحكومة والقطاع العام وما بعده، من أجل تعزيز الحكم الرشيد". و عرفت خطة التنمية الوطنية العراقية للفترة 2010–2014 الحكم الرشيد بأنه مفهوم واسع يتضمن الآليات والعمليات والعلاقات والمؤسسات التي يعبر من خلالها المواطنون عن مصالحهم ويمارسون حقوقهم وواجباتهم ويسوون خلافاتهم عبر:

- تطوير قدرات الدولة العراقية وتمكينها من أداء وظائفها الأساسية.
- تقديم الخدمات التي تستجيب لاحتياجات المجتمع.
- تحديث القطاع العام.
- الاتجاه نحو المزيد من اللامركزية.
- الحد من ظاهرة الفساد.

وإن من أولويات الخطة لتحسين قدرات الدولة: الشفافية، الاستجابة، الرأي الجماعي، الفاعلية والكفاءة، سيادة القانون، بناء الشراكات، العدالة والشمول، المساءلة.

خطة عمل الحكومة العراقية ورؤيتها

لقد انعكست هذه المفاهيم الأساسية في خطة

عمل الحكومة العراقية وحددت الرؤية الإستراتيجية للحوكمة الالكترونية في العراق في هذا الاجتماع على النحو التالي:

"يوظف العراق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تقديم الخدمات العامة لتعزيز الحكم الرشيد ومشاركة المواطنين وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية وتأكيد الشفافية والمساءلة والكفاءة والفاعلية في العمل الحكومي للوصول إلى اقتصاد متنوع تنافسي مبني على المعرفة".

المهام الرئيسة للخطة

ووضعت خطة عمل الحوكمة الإلكترونية التي شملت تسعة عناصر أساسية، حددت خلالها المهام الرئيسة ذات الأولوية لكل واحد من العناصر الأساسية التسعة والتي تضم:

- التوعية والاتصالات
- القدرات البشرية
- الملائمة والمعايير والتطبيقات
- المؤسسات وإدارة التغيير
- الإطار القانوني
- البنية التحتية للاتصالات
- إدارة الموارد المالية
- المراقبة والتقييم
- توصيل الخدمات للمواطن

وقد تم مراجعة هذه المهام في الفترة القريبة الماضية و أضيفت لها مهمة عاشرة تخص خدمات الانترنت والاتصالات.

مسح الجاهزية الالكترونية لخمس وزارات

قامت اللجنة الوزارية المكلفة بالإشراف على نشاطات مؤسسات الدولة في الحوكمة الالكترونية بجمع النشاطات التي قامت بها مؤسسات الدولة المختلفة مثل إعداد مسح الجاهزية الالكترونية في 22 تشكيلا لخمس وزارات خدمية؛ قام بها المركز الوطني للاستشارات والتطوير الإداري التابع لوزارة التخطيط، وبالتعاون مع اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لدول غربي أسيا (الاسكوا)، وتوقفت عند أحد الاستنتاجات المهمة لهذا المسح الذي ينص على ما يلي:

"أظهرت إجابات العينة إن نسبة العاملين في الوزارات الذين يجيدون استخدام الحاسوب بلغ (43٪) من مجموع عدد العاملين، كما أشرت الإجابات إلى إن المعدل العام لنسبة عدد العاملين الذين يستخدمون الانترنت (16٪) من مجموع عدد العاملين في الوزارات المستهدفة، وقد كانت أدنى نسبة للعاملين الذين تم إشراكهم في برنامج تكنولوجيا المعلومات حيث بلغ المعدل العام لهذه الفقرة (9٪) في الوزارات المبحوثة."

إن الاستنتاج المذكور أعلاه كان إحدى العوامل الدافعة للتركيز على النشاط المشترك الثالث بخصوص تدريب المدربين مع البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

تدريب المدربين

3. برنامج تدريب المدربين والذي كان على مرحلتين الأولى منها ما أنجز في الشهر السابع من عام 2010 والذي نتج عنه تدريب ما يقارب الخمسمائة موظف في نهاية عام 2010. و المرحلة الثانية نتج عنها تدريب مدربين ما يقارب الثلاثمائة متدرب والذي من المؤمل أن يدربوا عشرة آلاف موظف على مستوى المحافظات كافة حتى نهاية 2012.

يظهر أعلاه نشاط اللجنة الوزارية المتواصلة على مستوى موظفي القطاع العام وعدد قليل من موظفي الجامعات الأهلية. أما بالنسبة إلى زبائن الحوكمة الالكترونية من عموم المواطنين فما أنجز في هذا المجال لا زال متواضعا و متأتيا من الممارسة الملموسة للمواطنين مثل تقديم الطلبة خريجي الاعداديات إلى الجامعات العراقية عن طريق الموقع الالكتروني لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي و ما رافقها من بعض الإشكالات البسيطة التي تطور هذه المنظومات الالكترونية أو الطريقة التي طرحتها وزارة الداخلية بالحصول على جوازات السفر بعملية نصف مؤتمتة ولكنها وبنجاح قضت على عملية الفساد الإداري الذي كان مرافقا

لعملية الحصول على هكذا وثائق.

نشاطات المؤسسات الحكومية في توفير الخدمات الالكترونية

عملت عدد من المؤسسات الحكومية على وضع منظومات متواضعة لكيفية تطبيق الحوكمة الالكترونية وبهذا تكون قد خطت أولى خطواتها بالاتجاه الصحيح ولا بد من التطرق إلى مراحل تطبيق الحوكمة الالكترونية و مناقشة المشاكل المحتملة والاستفادة من النجاحات التي حققتها بعض المؤسسات لغرض تعميم الفائدة. و يجب التركيز هنا على إن الحوكمة الالكترونية تمر بمراحل نضوج " "evolutionوليس تغيير مفاجئ و ثوري على كل ما هو قائم " ."revolutionولغرض عرض مراحل النضوج هذه لا بد من التركيز على كيفية التخطيط للتقنيات الإلكترونية القادمة، وعرضها من خلال نموذج يبين كيفية التطبيق، و انطلاقا من هذا المبدأ من الضروري القيام بما يلي:

(1) إعادة هيكلة وتحديث الأعمال (إدارة عامة جديدة، استغلال حديث للتقنية، الخ).

(2) إيجاد طرق جديدة للأعمال الحكومية (شراكات عامة بين مؤسسات الدولة)

(3) تقديم خدمات أفضل للمواطنين والأعمال التجارية.

و من خلال ما ذكر يتم تحديد ما هو مشترك من تطبيقات داخل مؤسسات الدولة بشكل عام مثل الإدارة الالكترونية ومنظوماتها المطلوبة، نظم الحسابات الالكترونية، أنظمة المخازن الالكترونية...الخ. و أعمال الأتمتة لسير المعاملات، التي قد تكون خصوصية جدا داخل كل مؤسسة.

نموذج لوين ولي و مراحله الأربعة في تطوير الوظائف الالكترونية

لقد ذكر لوين ولي، في المقالة المعنونة "تطوير وظائف كاملة للحكومة الإلكترونية: نموذج الأربع مراحل"، أن هناك أربع مراحل رئيسة لتنظيم نمو وتطوير الحكومة الإلكترونية وهي:

(1) كتيب الدليل .Cataloguing

(2)التحويل .Transaction

(3)التكامل الرأسي Vertical Integration.

(4)التكامل الأفقي Horizontal Integration

وهذه المراحل الأربعة موضحة في الشكل رقم 1

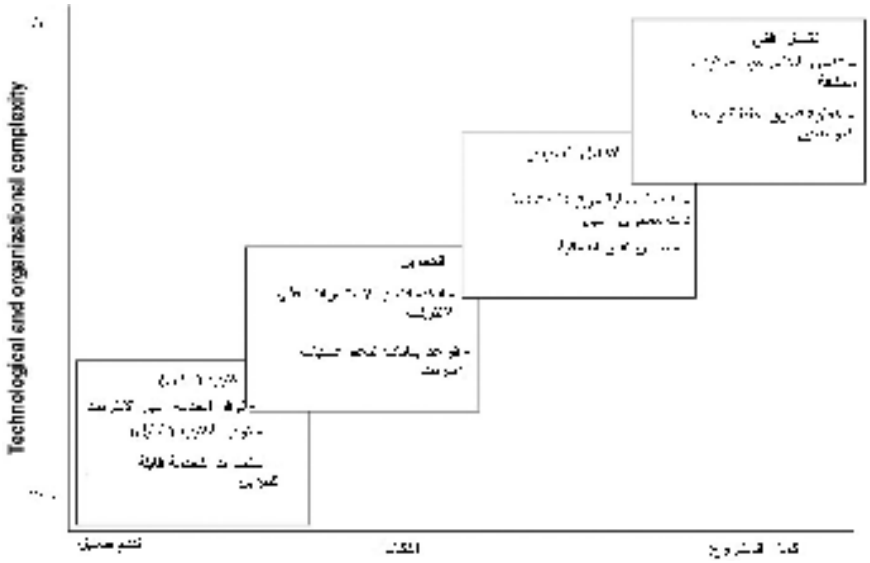

المرحلة الأولى: كتيب الدليل

تمثل هذه المرحلة الجهود الأولية للمؤسسات الحكومية للظهور على الإنترنت لتعريف المواطنين بنشاطاتها وطرق عملها وفي كثير من الأحيان تعرف بنشاطات كل دوائرها و أنواع الخدمات التي تقدم إلى المواطنين مع الاستمارات الواجب ملئها للحصول على هذه الخدمات. زائري المواقع الالكترونية هذه؛ بدورهم يقومون بإنزال الاستمارات من على الإنترنت وتعبئتها إما مباشرة في الموقع أو بطباعتها و ملئها يدويا. عادة المعلومات المطلوبة تكون محدودة، و لإتمام الحصول على الخدمة يحتاج المواطنون إلى مراجعة للمؤسسة، كما في استمارة الحصول على جواز سفر في موقع وزارة الداخلية، أو المتابعة عبر التلفون أو الايميل كما في خدمات وزارات أخرى.

المرحلة الثانية: التحويل

تسعى المؤسسات الحكومية في هذه المرحلة إلى إحالة قسم من أعمالها إلى المواطن عبر السماح له بالتعامل مع قواعد بيانات المؤسسة وإدخال المعلومات المطلوبة عبر صفحات المؤسسة على الانترنت وبذلك يكون المواطن هو أحد المشاركين في إنجاز الخدمة، وهذا ما يساعد المؤسسة الحكومية إلى تقليص كلف إنجاز هذه الخدمات. ففي تسديد الضرائب السنوية للشركات المساهمة في بريطانيا، على سبيل المثال، إذا يتم إملاء الاستمارات إلكترونيا من على موقع دائرة الضرائب فتكون مجانا في حين إذا تم إرسال الاستمارات المملوءة يدويا فيجب أن تسدد معها قيمة مالية تغطي جهد الموظف الذي تستعمله دائرة الضرائب لإدخال هذه المعلومات الكترونيا.

حتى تستطيع المؤسسات من توفير كذا إمكانيات للمواطنين فلا بد لها من أتمتة بعض العمليات الداخلية لتسمح بكذا تفاعل وأن تكون أمنية المعلومات وسلامتها هي من أوليات هذه التعاملات. وإذا ما نظرنا إلى استمارة الحصول على جواز سفر في موقع وزارة الداخلية في هذه المرحلة، فأن المعلومات المدخلة من المواطن سيتم التأكد منها آليا من خلال مقارنة الكترونية لما أدخل مع بنك معلومات يحتوي على المعلومات الكاملة عن المواطنين، و استخدام البطاقة الائتمانية لتسديد المبلغ، و بذلك تنتفي الحاجة إلى إبراز الوثائق الأربعة المطلوبة (هوية الأحوال المدنية، شهادة الجنسية، البطاقة التموينية وبطاقة السكن) و دفع مبلغ المعاملة عبر صك مالي مصدق، عند تسليم الاستمارة إلى دائرة الجوازات الفرعية، كل هذا يتم على افتراض إن الرقم الوطني غير منجز في هذه المرحلة. و إذا كان الرقم الوطني منجزاً فتنتفي الحاجة إلى الوثائق الأربعة لأنها أساسا مضمونة بالرقم الوطني؛ كذلك الحال في دفع فواتير الماء أو الكهرباء أو ضرائب الخدمات البلدية. و مع تزايد كمية هذه الصفقات إلكترونيا، فإن الحكومة ستعمل على تضافر الجهود لتكامل أنظمة جميع الأجهزة التابعة لها من خلال الإنترنت.

المرحلة الثالثة والمرحلة الرابعة: التكامل العمودي والأفقي

في هذه المرحلتين يجري التركيز على إزالة التضارب في مصادر المعلومات التي تحصل عليها مؤسسات الحكومة المختلفة من المواطنين. فمثلا شهادة الميلاد الشخصية تحتاجها مؤسسات الحكومة وليس المواطن؛ المواطن على علم كامل بتاريخ ومكان ميلاده، لكن مؤسسات الحكومة تحتاج إلى أن توثق هذه المعلومات في مؤسسات مختلفة ولأسباب عدة. الحصول على هذه المعلومات من مصدر واحد هو النجاح الذي ترغب فيه جميع المؤسسات الحكومية. للوصول إلى ذلك يركز النموذج على ما يسمى بـ "التكامل العمودي" و "التكامل الأفقي".

"التكامل العمودي" يهدف إلى مركزة

المعلومات التي تحتاجها الوظائف المختلفة أو الخدمات الحكومية المختلفة للأجهزة الحكومية المحلية للأقاليم والمحافظات. كمثال على التكامل الرأسي، لو نظرنا إلى إصدار الجوازات لوزارة الداخلية في هذه المرحلة، فإن كافة إصدارات الجوازات بغض النظر عن موقعها الجغرافي ستستخدم قاعدة البيانات الوطنية التابعة لإدارة وزارة الداخلية، ونفس الشيء ينطبق على نظام تسجيل شهادة الميلاد والوفيات في وزارة الصحة، وتكون قواعد البيانات هذه هي المصدر الوحيد المستخدم في مؤسسات الدولة كافة للتعامل مع هذه المعلومات.

وبالمقارنة، يهدف "التكامل الأفقي" كتكامل للوظائف والخدمات المختلفة المستخدمة الكترونيا لهذه المعلومات المركزية.

في هاتين المرحلتين، تتغير الخدمات إلى الكترونية عبر الأتمتة وتتحول العمليات الحالية إلى رقمية. إن طرح الخدمات الالكترونية لا تقتصر على جانبها الفني بوضع الخدمات الحالية على الإنترنت، ولكن ستحدث تغيرات دائمة في طريقة عمل الحكومة في مجال تقديم خدماتها للمواطنين. لذا فإن مبادرات الحكومة للعمل إلكترونيا يجب أن تكون مصحوبة بإعادة مفهوم تقديم الخدمات العامة. و على المدى البعيد، ستدرك المنفعة الكاملة للحكومة الإلكترونية فقط عندما تقترن هذه التغيرات التقنية بتغيرات تنظيمية. فبعد أن تصبح خدمات التحويل (المرحلة الثانية في النموذج) وإجراء العمليات على الإنترنت سائدة لكنها محلية ومتناثرة، وقواعد بياناتها منفصلة في أغلب الأحيان وغير مرتبطة بالمؤسسات الحكومية الأخرى في نفس المستوى. على سبيل المثال، قاعدة بيانات مديرية الجوازات أو صحة بابل تكون في أغلب الأحيان منفصلة عن قاعدة بيانات مديرية الجوازات أو مديرية صحة صلاح الدين، لذلك في المرحلة الثالثة والرابعة، ستتصل الأنظمة المتناظرة في الإدارات المحلية والمركزية لتبادل المعلومات وتتخاطب مع بعضهما البعض.

التخاطب ما بين المنظومات الالكترونية (التخاطب البيني)

إن اتصال الأنظمة المتناظرة سيحسن من جهود الحكومة لتقديم خدماتها الاجتماعية والصحية والتعليمية إلى حد كبير. و يمثل اتصال المنظومات الالكترونية لمؤسسات الحكومة المختلفة، في المرحلة الرابعة، مع بعضها البعض الخطوة الأكثر تكاملا في برنامج الحكومة الالكترونية، وتتشارك بالمعلومات بحيث يكون الحصول على المعلومات من جهاز حكومي واحد منتشرا في جميع الوظائف الحكومية الأخرى، حيث يمكن للمواطنين أن يقوموا بأعمالهم خلال أنواع مختلفة من المتطلبات.

مع تواصل المواطنين مع هذه المنظومات الالكترونية و مشاركتهم في التغذية العكسية في المشاركة في وضع أطر عمل المنظومات الالكترونية ستكون الحوكمة الالكترونية قائمة على أرض الواقع مقاسه بالكفاءة والفاعلية في توفير الخدمات للمواطنين.

الإسكان والتأمين في العراق
تعقيب على طاولة مستديرة حول الإسكان في العراق

مصباح كمال

نشرت مجلة الثقافة الجديدة خلاصة عن "طاولة مستديرة حول الإسكان في العراق" (1) عقدت في 2010/10/30 على قاعة جمعية المهندسين ببغداد. وجاء في الخلاصة أن الطاولة ضمت "عدداً من المهتمين والمختصين من مهندسي وزارة الاعمار والإسكان ورجال الأعمال والعاملين في قطاع المقاولات ومهندسين عاملين لمناقشة وضع الإسكان في العراق وما نشرته وزارة الإعمار والإسكان حول سياسة الإسكان الوطنية في العراق لسنة 2010".

ثلاثة عناصر لم تكن ممثلة في هذه الندوة: المهندسات، إقليم كردستان، وقطاع التأمين. الإسكان، كما ذكر موفق الطائي، خبير إسكان ومهندس معماري، موضوع شائك "يهم شعبنا بكامله وبكل طبقاته وفئاته" وأن "أهم مقومات سياسات الإسكان هو التصدي لمشكلة إنسانية ضرورية تأتي بعد الطعام." (ص 58). أليس للمرأة مكان في إطار هذا التحديد وكذلك إقليم كردستان؟ كان من المناسب على منظمي الطاولة المستديرة إشراك مهندسة، ومهندس من الإقليم، وكذلك ممثلاً عن قطاع التأمين (2) لدوره الساند في الإسكان، موضوع هذه المقالة.

لا تظهر كلمة التأمين في خلاصة الندوة رغم أن أ. د. مظفر علي الجابري، استشاري تخطيط حضري وإسكان، شدد على ضرورة أن تضمن الحكومة "تنظيم سوق للتمويل السكني كجزء من القطاع المالي ويستدعي الأمر وضع قانون جديد لتمويل الإسكان لضمان حصول الجهات المقرضة على ما يكفي من الضمانات في حالة تعثر القروض بحيث يتضمن القانون على الأحكام المتعلقة بالحجر وإعادة التمليك لتنفيذ المشاريع الإسكانية والإشراف عليها." (ص 56.

التشديد لم يرد في الأصل). القطاع المالي الذي يشير إليه الجابري (3) يتكون من مؤسسات التأمين والمصارف والأوراق المالية إلا أن التأمين لا يجد له حضوراً في دراسته كواحدة من آليات الضمانة لتسديد القروض في حالة تعثرها. سنعرض، باختصار، دور التأمين في ضمان القروض العقارية وفي تأمين مشاريع الإسكان.

دور التأمين في توفير الضمانة للقروض العقارية

يمكن للبنوك أن تلعب دوراً مهماً لتمويل الأفراد لشراء المساكن أو بنائها من خلال تقديم قروض لهم بضمانات التأمين. كما يمكن للجمعيات المهنية والتعاونية تمويل أعضائها لذات الغرض، وكذلك المؤسسات التابعة للدولة. وفي كل هذه الحالات يلعب التأمين دور الضامن لصالح المقترضين والمقرضين. يقول السيد عبدالكريم شافي، مدير أقدم في شركة التأمين الوطنية (4): لا شك أن القروض بمختلف أنواعها سواءً كانت قروض لغرض الأسكان أو قروض لغرض شراء أرض سكنية أو لغرض شراء سيارة أو سلع معمرة أو قروض لغرض الزواج وتسمى (سُلف الزواج) جميعها لها علاقة مباشرة بالتأمين لما توفره شركات التأمين من ضمان وحماية (للمقرض والمقترض) على حد سواء. فالمُقرِض يريد استرداد مبالغ القروض التي منحها الى طالبي القروض مع الفوائد المترتبة عليها ضمن فترة تسديد مبالغ تلك القروض، ويخشى في حالة حصول خطر معين على المقترض، كالوفاة أو العجز مثلاً، من عدم قدرته على استرداد مبالغ القروض. هذا من جهة، أما المقترض فإنه يخشى أن يتم الحجز وبيع العقار أو الرجوع على الورثة في حالة وفاته لاسترداد مبلغ القرض نظراً لعدم قدرة واستطاعة الورثة تسديد مبلغ الدين، ولذلك تحصل مشاكل كثيرة بين الطرفين.

البنوك العقارية التي تقدم القروض لشراء المساكن تشترط على المقترض ضرورة التأمين على العقار موضوع الرهن ضد خطر الحريق وأخطار أخرى للحفاظ على مصالحها عند تعرض العقار إلى الأضرار التي لا يستطيع المقترض تصليحها من موارده الخاصة. وقد تقوم البنوك بإجراء التأمين باسمها وتحميل المقترض قسط التأمين. وتشترط أيضاً تأمين حياة المقترض لتضمن حقوقها إن تعسّر على المقترض سداد القرض. ومثل هذا الإجراء يوازيه ما يرد في قانون صندوق الإسكان العراقي لسنة 2011.

المادة 15

اولا – للصندوق ان يؤمن على حياة المستفيدين من اعماله.

ثانيا – يعد عقد التأمين المؤقت الجماعي المبرم بين الصندوق وشركات التأمين على حياة المستفيدين صحيحا ونافذا من تأريخ ابرامه دون موافقة المستفيدين التحريرية.

ونحن بانتظار من يقوم بدراسة هذا القانون ضمن رؤية تأمينية، وكذلك دور شركات التأمين العراقية القائمة في توسيع دور التأمين في الإسكان (5).

شرح السيد شافي الأغطية التأمينية لوثيقة القروض كما يلي:

تغطي الوثيقة حالات الامتناع أو التوقف عن التسديد ويقصد هنا بهذه الحالات الامتناع أو التوقف عن تسديد الأقساط الشهرية لمبلغ القرض –الذي تم استلامه من

قبل المقترض –الى الجهة المستفيدة التي منحت القرض خلال مدة القرض المحددة في جدول الوثيقة.

إن الأغطية الحالية لوثائق قروض السيارات أو الأسكان تشمل ما يلي:

1-الوفاة الطبيعية.

2- الوفاة بحادث عرضي.

3- الوفاة نتيجة حادث إرهابي.

4- عدم التسديد لأي سبب كان.

ويمكن الاستغناء عن ذكر حالات الوفاة الطبيعية أو الوفاة بحادث عرضي أو إرهابي والاقتصار على ذكر غطاء عدم التسديد لأي سبب كان بما فيها حالات الوفاة بغض النظر عن طبيعة الوفاة.

أما الحالات الأخرى التي لم تذكر ضمن الأغطية التأمينية المذكورة أعلاه مثل العسر المالي للمقترض عن تسديد مبلغ القرض بسبب فقدانه لعمله فإن وثائق القروض لا تغطي هذه الحالات. ونرى من الضروري إعادة النظر بغطاء التأمين لهذه الوثيقة لتشمل بعض الحالات الخارجة عن إرادة المقترض مثل (العسر المالي والعجز المانع من مزاولة العمل بشكل مؤقت أو دائمي والاختطاف) وبأقساط إضافية.

ويثير السيد شافي هنا مسألة مهمة بشأن إعادة النظر بغطاء وثيقة تأمين قروض الإسكان، المخصصة لتأمين القروض الفردية. فالتوسع في غطاء التأمين ليشمل العسر المالي للمقترض أو تعرضه لعجز بدني، دائمي أو مؤقت، أو تعرضه للاختطاف، مغيباً لفترة قصيرة أو طويلة، ما يمنعه من مزاولة العمل ضرورية كي لا يخسر المقترض أو أسرته مسكنه خاصة وأن المقترض يتحمل كلفة شراء حماية التأمين. ومن المفيد لو تمت إعادة النظر بالتعاون مع البنوك العقارية ومؤسسات الإقراض وخبرة عالم إكتواري.

دور التأمين في تأمين مشاريع الإسكان

تأمين المشروع أثناء الإنشاء

مشاريع الإسكان كأي مشروع آخر تتعرض إلى الأضرار بفعل عوامل الطبيعة القاهرة كالفيضانات والعواصف وتلك التي تنشأ بفعل البشر، مما يستوجب التصليح للاستمرار في الإنشاء لحد الإكمال. وهناك وثائق متخصصة للتأمين تعرف باسم وثيقة كافة أخطار المقاولين تقوم بتعويض المؤمن له، أو المستفيد من غطاء الوثيقة، عن الأضرار المادية العارضة التي تلحق بأعمال الإنشاء.

أنشطة اقتصادية مرتبطة بمشاريع الإسكان

يحتاج تنفيذ مشاريع الإسكان إلى مواد إنشائية مختلفة كالطابوق والإسمنت والحديد والخشب وغيرها. وهذه تتكامل مع بعضها وتوفر مصدراً مهما للعمالة، وضمان توفرها وإنتاجها ضروري لبناء المساكن الجديدة وتحسين وتصليح المساكن القائمة. وتساهم مشاريع الإسكان في تحريك قطاع الإنشاء والمساهمة في النمو الاقتصادي. مصانع قطاع الإنشاء تحتاج أيضاً لحماية تأمينية لتغطية الخسائر والأضرار التي قد تتعرض لها هذه المصانع جراء عوامل الطبيعة أو بسبب العطب الذي يلحق بالمكائن خلال عملية الإنتاج أو بسبب مصادر أخرى مسببة للضرر.

وتقوم شركات التأمين بتوفير وثائق تأمين مختلفة لهذه المصانع ومنها وثائق التأمين على الحريق (أو وثيقة جميع أخطار الممتلكات)،

وثيقة عطب المكائن، وثيقة تأمين الآليات والمعدات المستخدمة في المشاريع الإنشائية وفي معامل الطابوق والسمنت وغيرها من المعامل ذات العلاقة بقطاع الإنشاء.

تأمين المساكن بعد إشغالها

امتلاك مسكن مسألة مهمة في حياة الناس وخاصة للأسر، ومالك المسكن قد لا يقوم بالتأمين عليه لقلة الدخل المتوفر لديه لشراء الحماية التأمينية، أو لقناعة أن ما يحصل للمسكن من ضرر هو من باب القضاء والقدر، أو أن احتمال وقوع الضرر للمسكن بعيد ولذلك ليست هناك حاجة ماسة للتأمين. يعنى هذا أن التدبر للمستقبل من خلال التأمين (لتمويل كلفة تصليح الأضرار المحتملة في المستقبل) ليست واردة في البال، وعموماً فإن عادة التدبر ليست عادة شائعة في مجتمعنا.

لكن المساكن رغم عائديتها لأفراد أو جمعيات أو للبلديات وغيرها تشكل جزءاً من الثروة الوطنية، ولذلك يجب الحفاظ عليها أكان ذلك من خلال الصيانة المستمرة واتخاذ تدابير منع وقوع الأضرار أو من خلال التأمين. فالمساكن كغيرها قد تتعرض، على سبيل المثال، إلى طفح المياه نتيجة انفجار مواسير المياه وانفجار قناني الغاز الطبيعي وانفجار الغلايات والحريق والفيضان والعواصف واصطدام المركبات وغيرها من الأخطار.

غياب رؤية تأمينية تجاه الإسكان (6)

نظن أن قطاع التأمين العراقي ليس له موقف تجاه الإسكان، وليست هناك محاولات معروفة للانخراط في أي جهد بهذا الشأن. لذلك فإن الفرصة مواتية لقيام جمعية شركات التأمين بالدعوة لدراسة الفرص المتاحة أمام شركات التأمين الوطنية للمساهمة في رسم سياسة الإسكان وما تستطيع أن تقدمه من حماية تأمينية ومن تمويل.

ومن المفيد هنا أن نقتبس بعضاً مما ذكره د. مظفر علي الجابري في دراسته. يلخص د. الجابري محتوى دراسة (سياسة الإسكان في العراق) بأربعة محاور هي (7):

أولا: التخطيط والمتابعة.

ثانيا: مواد البناء وتخصيص المواقع والخدمات.

ثالثا: سوق التمويل السكني:

رابعاً: تنفيذ المشاريع الاسكانية والإشراف عليها.

ويمكن لقطاع التأمين أن يكون طرفاً في بعض هذه المحاور وتحديداً محور مواد البناء: معامل مواد البناء للقطاعين العام والخاص إذ يستطيع قطاع التأمين توفير أغطية تأمينية مناسبة لهذه المعامل كما هي عليها الآن أو عند إعادة ترميمها أو تركيب الجديد منها.

المحور الآخر الذي يمكن لقطاع التأمين أن يكون طرفاً أساسياً فيه هو سوق التمويل السكني. لنقتبس مرة أخرى ما قاله د. مظفر علي الجابري لأهميته:

في سياسات الإسكان الوطنية في العراق، من الضروري، ان تضمن الحكومة تنظيم (سوق) للتمويل السكني كجزء من القطاع المالي ككل، ويستدعي الأمر وضع قانون جديد لتمويل الإسكان، بالإضافة إلى تعليمات التطبيق المرافقة له. وذلك لضمان حصول الجهات المقرضة على ما يكفي من الضمانات في حال تعثر القروض بحيث يتضمن القانون على الأحكام المتعلقة بالحجز وإعادة التمليك وإعادة بيع الضمانات.

وكما قلنا فإن شركات التأمين تُشكل أحد

العناصر المكونة للقطاع المالي. إضافة إلى دوره في توفير مجموعة من أغطية التأمين لكل ما له علاقة بالإسكان، يمكن لشركات التأمين أن تقوم بتمويل مشاريع سكنية لموظفيها أو لآخرين بحدود ضيقة دون تعريض احتياطياتها إلى خطر النضوب وفشلها في الوفاء بالتزاماتها تجاه حملة وثائق التأمين (تبني سياسة استثمارية محافظة وضمن الضوابط الرقابية) (8).

لا ندعي اختصاصاً في مجال التأمين على القروض العقارية ونأمل أن يساهم الزملاء المعنيين في شركات التأمين العراقية في تقديم آرائهم ودراساتهم عن دور التأمين في دعم مشاريع الإسكان الفردي والجماعي تأميناً وتمويلاً، والتعاون مع الأطراف ذات العلاقة بكل مراحل مشاريع الإسكان، وبلورة دور شركات التأمين العراقية، وكذلك تطوير وثائق التأمين القائمة وإدخال الجديد منها بما يتناسب مع طبيعة هذه المشاريع إذ أن هذه الوثائق مكيفة أساساً للتأمينات الفردية.

لندن 3 **شباط** 2012
misbahkamal@btinternet.com

الهوامش

(1) الثقافة الجديدة، العدد 346، 2011، ص 57–66.

(2) جمعية شركات التأمين تضم في عضويتها شركات التأمين العامة والخاصة، ويمكن التعاون معها مستقبلاً لغرض تعيين ممثل عنها للمشاركة في ندوات يمكن أن يشكل التأمين أحد عناصرها.

(3) لم نطلع على ورقة أ. د. مظفر علي الجابري "سياسة الإسكان الوطنية في العراق" لسنة 2010 الصادرة عن وزارة الإعمار والإسكان لكننا قرأنا له مقالة بنفس العنوان منشورة في الموقع الإلكتروني للحزب الشيوعي العراقي في 2011/5/18:

http://www.iraqicp.com/2010-11-21-17-49-26/3477-2011-05-18-07-11-32.html

لا يرد أي ذكر للتأمين في هذه الورقة.

(4) عبدالكريم حسن شافي، القروض والتأمين، مرصد التأمين العراقي

http://iraqinsurance.wordpress.com/2011/10/09/loans-and-insurance/

(5) محمد الكبيسي، "نحو تطوير مشروع مشترك للتأمين على القروض" مرصد التأمين العراقي:

http://iraqinsurance.wordpress.com/2011/10/12/loans-and-insurance-2/

(6) غياب الموقف ليس بالغريب إذ أن قطاع التأمين ممثلاً بشركات التأمين العامة والخاصة، المنضوية في عضوية جمعية شركات التأمين، ليس له موقف تجاه موازنة الدولة، أو الانتخابات التشريعية، أو برامج الحكومة وغيرها. وقد نوهنا إلى ذلك وكتبنا عنه في مقالات منشورة في مجلة التأمين العراقي ومرصد التأمين العراقي الإلكترونية. أنظر، عل سبيل المثال، مصباح كمال "تعليق على غياب التأمين في برنامج الحكومة للسنوات ٢٠١١– ٢٠١٤" في مرصد التأمين العراقي:

http://iraqinsurance.wordpress.com/2011/09/07/absence-of-insurance-in-government-programme-for-2011-14/

(7) د. مظفر علي الجابري، مصدر سابق.

(8) لتعريف أولي بالدور الاقتصادي لمؤسسة التأمين والقيود المفروضة على السياسة الاستثمارية لشركات التأمين أنظر: مصباح كمال "هل هناك دور اقتصادي للتأمين في كردستان العراق؟"، مجلة التأمين العراقي:

http://misbahkamal.blogspot.com/2008/08/blog-post.html

مطبوعات وصلتنا..

- محمود بدر عطية، وردةٌ واخرى للغائبين، دار الكتاب، ستوكهولم 2012.
- محمود بدر عطية، وقفة معهم، دار الكتاب، ستوكهولم 2011.
- مقداد مسعود، القصيدة .. بصرة- قراءة اتصالية/ منتخبة من الشعر البصري، بغداد 2012.
- د.عقيل الناصري، من ماهيات سيرة عبد الكريم قاسم، الكتاب الثاني – الجزء الاول، 2009.
- استعادة الزعيم، حوارات واراء عراقية عن الزعيم عبد الكريم قاسم وثورة ١٤ تموز، اعداد وتقديم نوري صبيح، دار الحصاد، دمشق 2011.
- سلام ابراهيم كبة، بنية الفساد المركبة في العراق، دار الرواد المزدهرة، بغداد 2011 .
- سيف عدنان ارحيم القيس، الحزب الشيوعي العراقي –من اعدام فهد حتى ثورة 14 تموز 1958، دار الحصاد، دمشق 2012.
- حكمت محمد فرحان، قطار العمر – مسيرة شيوعي عراقي، دار الرواد المزدهرة، بغداد 2012.

طاولة مستديرة

التعليم الجامعي في العراق . . .
الواقع الراهن وأسس التغيير❖

في 2012/2/17 وعلى قاعة جمعية المهندسين العراقية في بغداد انتظمت أعمال طاولة مستديرة عقدت تحت عنوان: "التعليم الجامعي في العراق.. الواقع الراهن وأسس التغيير"، وشارك في اعمالها لفيف متميز من أساتذة الجامعات والأكاديميين الذين تفانوا في خدمة هذا القطاع.
وتسهيلا للنقاش فقد تم مسبقا تعميم ورقة عمل على المشاركين ندرجها هنا تعميما للفائدة:

ورقة عمل
التعليم الجامعي في العراق: الواقع الراهن وأسس التغيير

يستطيع الباحث المتتبع لوضع التعليم العالي في العراق أن يقف على مدى التدهور الذي لحق به وبالارتباط مع الوضع السياسي الراهن، وتماشياً مع المتطلبات التي يمر بها البلد ولمجموعة من الأسباب منها ما كانت وما تزال تقود التعليم العالي، وللحروب العبثية التي قتلت روح الاجتهاد والتفوق العلمي لدى شريحة واسعة من طلبة وأساتذة الجامعات. ولتسليط الضوء على الأسباب الجوهرية لتدني مستوى التعليم العالي وعدم وجود فلسفة صحيحة لهذا التعليم بشقيه: الدراسات الأولية والعليا؛ وللضغوط المادية القاسية التي يمر بها التدريسيون الجامعيون، وانعدام الجو الديمقراطي الجامعي المحفز على الإنتاج العلمي والتدريس الجدي، ولأهمية التعليم العالي كمرشد للتطورات التي يرغب فيها

البلد كما هي تجربة العالم المتقدم ولغرض دراسة الواقع الراهن للتعليم العالي ودراسة إمكانية التغيير تقترح ورقة العمل دراسة المحاور التالية:

المحور الأول: القيادات العليا/ شروطها ومتطلباتها

إن إشغال المراكز القيادية بالتعليم العالي، بدءاً من رئيس الجامعة وانتهاءً برئيس القسم، يجب أن يخضع للشروط والمتطلبات التي وضعت في قانون الخدمة الجامعية وفي مقدمتها التاريخ العلمي والمنجزات البحثية والحصول على الدكتوراه وربما درجة الأستاذية فضلاً عن مراعاة التخصص في ما يخص الكلية والقسم، إضافة إلى الآلية المثبتة بالقانون. والسؤال المطروح: هل يجري حالياً الالتزام بها أم لا من قبل الوزارة أو بعض الرئاسات الجامعية؟ بعد سقوط النظام جرى اعتماد مبدأ الانتخابات لاختيار هذه القيادات عوضاً عن كل الآلية المتبعة وأعطت نتائج جيدة.

المحور الثاني: خطط وأسس تحديد القبول في الجامعات

لم يأخذ القائمون على وضع أسس القبول في الجامعات بعين الاعتبار الحاجة الفعلية للاختصاص وعلى أساس خطة مرتبطة بالتنمية البشرية في العراق، كما أن فلسفة تسلسل المعدلات للقبول في الكليات لا تضمن معاييرها وآلياتها توزيع الطلبة حسب خياراتهم ومؤهلاتهم الفعلية من جهة، واستقبال الكليات للطلبة ذوي الرغبة والقدرة في دراسة اختصاصها من جهة اخرى.

وعلى ذلك يتطلب الأمر إعادة النظر في الحدود الدنيا للقبول في الجامعات كما هو الحال في البلدان المتقدمة والتخلص من التفكير والتخطيط غير السليمين الداعيين إلى قبول كل خريجي الإعدادية في الجامعات. على سبيل المثال كأن يقبل في الجامعات الحاصلين على معدل 70٪ فما فوق مع استحداث معاهد مهنية لبقية خريجي الثانويات وتحديد صيغة لقبول الطلبة حسب الاختصاصات وحسب احتياجات التنمية البشرية، والعمل وبأقرب وقت على إلغاء القبول المركزي وإناطة هذه المهمة إلى رئاسات الجامعات وعمادات الكليات، وعلى ضوء تعليمات مركزية ثابتة.

المحور الثالث: التخصيصات المالية وطرق دعمها

الكثير من الجامعات العالمية، وخاصة في الدول النامية، تعتمد على الدعم الحكومي المبرمج والمتوافق مع متطلبات التطور العلمي، إضافة إلى ما توفره تلك الجامعات من خلال إجراء البحوث والدراسات لصالح المؤسسات الحكومية والخاصة،س وإلى مردودات ما تنتجه وتبيعه في الأسواق التجارية. مع ضرورة توفير أجواء عمل للتنفيذ المباشر لمشاريع الجامعات والابتعاد عن الأساليب غير الشفافة في العمل عند منح المشاريع للمقاولين وتكليف الكوادر الكفوءة في الجامعات لتنفيذ مشاريعها. إن مثل هذه الإجراءات ستقلل بشكل أكيد من الهدر في الأموال والفساد المالي، وفي الوقت ذاته تعد فرصة لاختيار الأكفأ والأصدق والاكثر امانة. وتقوم الجامعات بوضع ضوابط لاختيار فرق المهندسين المقيمين لمشاريعها الإنشائية وتوفير الفرص لهم للإيفاد لزيادة المعرفة والكفاءة الإدارية والهندسية.

المحور الرابع: الحريات الأكاديمية وإشاعة الديمقراطية واحترام الحرم

الجامعي

من الضروري إشاعة الحريات الأكاديمية والديمقراطية واحترام الحرم الجامعي والسماح بتشكيل الجمعيات العلمية والثقافية والفنية داخل الجامعة. كما إن من أولويات نجاح العمل الجامعي ترصين العلاقة بين طلبة الجامعات وإداراتها وإشراك ممثلي الطلبة في عملية صنع القرار في الأمور التي تخص الطلبة داخل الحرم الجامعي.

المحور الخامس: المناهج الدراسية وطرق التدريس

من الملاحظ أن المناهج الدراسية المتبعة في جامعاتنا وفي مجالي العلوم التطبيقية والصرفة والعلوم الإنسانية مازالت متخلفة مقارنة مع جامعات العالم، مما يتطلب إعادة النظر فيها لتتماشى مع التطورات العلمية والتكنولوجية الحاصلة في العالم، مع التأكيد على نبذ أسلوب الاعتماد على الملازم والكتب المقررة، وتطوير قدرات الطلبة على الاستعانة بالمراجع العلمية، وضرورة الابتعاد عن أسلوب الاملاء في تقديم المحاضرات والملازم، واعتماد الأساليب الحديثة في عرض المادة العلمية باعتماد الطرق البحثية والتكنولوجية المتطورة بحيث تتحول المحاضرة إلى حوار بين الأستاذ والطالب.

المحور السادس: البنى التحتية للجامعات

رافق الأحداث التي جرت في العراق بعد الاحتلال تحطيم البنى التحتية للجامعات وتعرض الكثير من ممتلكاتها المادية والفكرية، بما في ذلك الرسائل والإطاريح والبحوث العلمية، للنهب ومن ضمنها الأبنية وأجهزة المختبرات، إضافة إلى أبنية وأثاث الأقسام الداخلية للطلبة. مما يتطلب بذل المزيد من الجهود من قبل الجامعات والوزارة بهدف إعادة هذه البنى لمستوى الطموح. ومعلوم أن الثغرة الكبيرة في الجامعات تتمثل في الأجهزة العلمية لصعوبة الحصول عليها وأثمانها الباهظة وقلة الخبرة في استخدامها. أما الأقسام الداخلية للطلبة فأوضاعها مزرية ولا تتماشى مع المتطلبات الإنسانية لطلبة جامعيين وتشكل ثغرة كبيرة في هيكل التعليم العالي كله. ورغم المعالجات البسيطة إلا أن الثغرة مازالت كبيرة بين طموح الطلبة والجامعات وما هو موجود.

****

توزعت طروحات ومداخلات المشاركين على جلستين بينهما فترة استراحة قصيرة.

الجلسة الأولى

أدار هذه الجلسة الاستاذ الدكتور غازي الخطيب (رئيس جامعة المثنى السابق): الذي رحب في بدايتها بالحضور ثم بين أهمية موضوعة الجلسة، موضحا أن الهدف العام منها هو تدشين نقاش يساهم فيه الزملاء الحضور من المختصين والمهتمين بهذا الشأن بمناقشة موضوع الجامعة واستخلاص الدروس للخروج بخلاصات ومقترحات تساهم في التغلب على المشكلات التي تعاني منها الجامعة العراقية.

وبعد انتهاء د.الخطيب من تقديم مداخلته، فتح باب النقاش الذي شارك فيه العديد من الحاضرين الذين شكروا في البداية اللجنة المنظمة لهذه الفعالية. وأدناه خلاصة لهذه المداخلات:

د. طه الشبيب
(جامعة بغداد / كلية الصيدلة)

اشكر بداية اللجنة المنظمة هذا النشاط الرائع واثني على ورقة العمل المقدمة، واتجه

بطروحاتي للتركيز على فلسفة التعليم الجامعي، مؤكداً أن وضوح الفلسفة والهدف من هذا التعليم سيمكنانه من أن يكون الرافد الأساسي لتطوير المجتمع انطلاقاً من العلاقة الوثيقة بين الجامعة والمجتمع. وكما هو الحال في جميع أنحاء العالم، فإن التعليم العالي قائم اصلاً على البحوث والدراسات بالإضافة إلى المحاضرات التي يلقيها عدد كبير من ذوي الاختصاص في كل موضوع. وهؤلاء المحاضرون هم اصلاً من القائمين بالبحوث الجدية التي تقدم في النتيجة احدث المعلومات والتطورات للطلبة حاضري الدروس العلمية في التخصصات المختلفة. إن مثل هذه الصورة غير موجودة الآن في العراق مع الأسف وأكثر البحوث معادة وغير عميقة. إذن ففلسفة التعليم الجامعي يجب أن تقوم على باحثين محاضرين لكي تحتل الجامعات العراقية موقعها المحترم بين جامعات العالم كما كانت جامعة بغداد. إن الجامعات العراقية مع الأسف تحتل المرتبة 10673 بين جامعات العالم التي يقارب عددها 11000 جامعة في حين أن الجامعة التي تخرجت فيها- والكلام للدكتور طه شبيب- تسلسلها 35 .

د. بدرخان السندي
(جامعة بغداد/ كلية التربية)

اعتقد أن ساعات ورشة العمل هذه غير كافية واعتقد أن هنالك محورا غير تقليدي ويجب الآخذ به وهو مسألة كرامة الأستاذ الجامعي العراقي، الذي لا يشعر بكرامته بسبب اضطهاد البيروقراطية المقيتة. بعبارة أخرى فهو ليس أمام رئيس قسم بل أمام شيء اسمه "المحاسبة" التي لا تلتزم حتى بتوفير هامش بسيط من كرامة الأستاذ الجامعي، وأنا هنا لست متعالياً ولا مطالباً بعدم المتابعة والمساءلة. ولاعطي صورة بسيطة – وهي متكررة كثيراً- أود الاشارة إلى أنني أشكو من اعتلال في عمودي الفقري وقد أعلمت عمادة كليتي بأنني أجريت عملية جراحية وقدمت الأوراق الثبوتية. لقد قيل لي وقتها أن عليك المباشرة فوراً أو تقديم تأييد من البروفيسور الذي عالجك وأجرى لك العملية. لقد استغرب البروفيسور عندما طلبت منه التأييد وسألني: لماذا لا تثق بك الكلية أو الجامعة؟ فأجبته: نحن نعيش فوق بركان من البيروقراطية والروتين الممل. لقد تبع هذا الإجراء إيقاف صرف راتبي وعدم السماح لي بالدخول بسيارتي إلى باحة الكليات، وغيرها من الإجراءات التي يمكن تجميعها في خانة "إذلال الأستاذ الجامعي".

الأستاذ موفق الطائي
(جامعة النهرين/ كلية الهندسة)

أود أن نبين ماذا نريد من التعليم العالي في العراق: أثقافة أم معرفة؟ أم الاثنتان معاً؟ واجزم أن العديد ممن بنوا العراق لديهم شهادات مهنية.

فيما يخص المحور الأول أود الاشارة إلى ان هنالك مرجعيات علمية في جميع أنحاء العالم تعتمد التدرج في القيادة العلمية ابتداءً برئاسة القسم. كذلك فإن العديد من الجامعات تحولت إلى نهج تخصص التخصص أو بعبارة أخرى توجه الجامعات إلى الاهتمام بتخصص معين يوضح اسمها وأهدافها بكل دقة.

فيما يخص التخصصات الحالية- بعد الانتهاء من الدراسة العليا- فإن 95٪ من الرسائل والاطاريح هي إسقاط فرض لأنها معتمدة على الأساليب الإنشائية، وليس هنالك

ربط قوي بين ما يدرسه الطالب في الدراسات العليا وبين ما سيقوم لاحقاً بتدريسه بعد حصوله على شهادة الدراسات العليا. هنا أشير إلى أن دروس الاختصاص لا تشكل حتى 30٪ من مجموع مواضيع الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه). وضمن سياق الكلام أود ان أسألكم: هل رأيتم مسؤولاً عن الإسكان مثلاً يتكلم بلغة المهندس المتخصص بالإسكان بما يحويه هذا المصطلح. الجواب: كلا. لان هذا المسؤول غير متخصص حتى وان كان قد حصل على البكالوريوس أو الماجستير أو الدكتوراه. بالنسبة للبنى التحتية فأنا اعتقد أنها تحتاج إلى الكثير من الدعم كي نبني مؤسسات علمية تخرج طلبة ذوي مقدرة ومعرفة بالتخصص. نحتاج إلى أن يكون في كل قسم مركز اتصالات وبحوث وان نطور متطلبات الدراسات العليا في العراق بدلاً من إرسال طلبة ينهون الدراسة ولا يعودون للوطن. أود أن استشهد بمركز البحوث التربوية والنفسية الذي أصبح متقدماً وبشهادة الغرب، وهنا لابد أن اقول أن الأستاذ الجامعي يجب أن يعي انه تربوي.

أ.د. جواد موسى الموسوي
(رئيس جامعة واسط)

أود أن اشكر اللجنة المنظمة لورشة العمل، باسمي كمشارك وكرئيس لجامعة واسط. أود دعوة الجميع إلى التركيز على المحاور التي تضمنتها الورقة وسهلت علينا المناقشة الواقعية لحالة التعليم العالي الان.

وجدت في المحور الأول من الورقة أن رئيس الجامعة يجب أن يكون بدرجة أستاذ وشهادة دكتوراه وهذا ما أؤيده بقوة وأضيف: إن علينا أن نختار رئيس جامعة متميزاً ومتكامل الإلمام بأمور كثيرة أولها الأمور الإدارية والقانونية ومفردات الميزانية وغيرها. إن المفروض أن يستلم رئيس أي جامعة أبنية ومختبرات وأجهزة وتخصيصات مالية تضمن السيولة النقدية عند التفكير في تطوير أو توسيع. بالنسبة لحالتي استلمت جامعة واسط وهي كالخربة وكان علي أن أقوم بكل شيء ومن البدايات.

أنا أجد الجامعات تساهم مساهمة فعالة في زيادة نسبة البطالة في العراق، فكثير من خريجي الجامعات يسكنون الشورجة أو يعملون في محال بيع مختلفة. إذن نحن بحاجة إلى فلسفة واضحة من قبل الدولة بخصوص التعليم العالي وأهدافه. اعتقد أن القبول المركزي- ونحن أيضا بشكل وآخر- يساهم في تهديم الملاكات الوسطية عن طريق تهديم التعليم التقني الذي يخرج ملاكات وسطية مهمة في التخصصات المختلفة. لذا أدعو إلى ترابط أقوى وواضح المعالم بين الجامعة والمجتمع، وأقول أننا اقترحنا ولمرات عديدة على الدولة والمؤسسات الحكومية والمحلية، أشكالا مختلفة من التعاون ولكننا – وللأسف – لم نجد الاستجابة الى الآن.

المناهج بشكل عام متخلفة عن ركب التطور العلمي في العالم وتحتاج إلى تغييرها جذرياً لتفيد مخرجاتها المجتمع إفادة فعلية.علينا بشكل عام أن نلتفت في مناهجنا إلى ثقافتنا العراقية متعددة الجوانب، وعلينا أن نهتم وبجدية بالمراكز البحثية التي تطورت في البلدان الأوربية والأمريكية. هنا لابد لي من الإشادة بجهود أ.د. غازي الخطيب التي بذلها لتطوير جامعة المثنى، تلك الجهود التي توضح أكثر ما ذكرته قبل قليل، وهو أنه من المفترض أن يتسلم رئيس الجامعة جامعة

متكاملة وليست خربة.

أود اقتراح إضافة محور جديد لورقة العمل وهو محور الوسائل التعليمية والاتصال. أريد أن أؤكد على الالتزام بالتقاليد الجامعية العراقية والعالمية، سواءً المتعلقة بالطالب وسلوكه أو تلك المتعلقة بالتدريسي الجامعي ومظهره وطريقة حديثه ونقاشه وتعامله مع الطلبة أو الزملاء في القسم.

د. فوزية العطية
(جامعة بغداد/ كلية الاداب)

أود الاشارة إلى أننا أمام مشكلة حقيقية وصعبة، إذ وصلنا تبليغ بقرار جعل الامتحانات النهائية في الجامعات والمعاهد مركزية، مما يعني البروز الواضح مجدداً لعدم الثقة بالتدريس الجامعي. اعتقد بضرورة أن تكون هنالك إجراءات وقائية كون السلبيات امتدت إلى الجامعة وبدت الثقة مزعزعة وتقلل من قيمة الأستاذ الجامعي.

إن حل المشاكل إن وجدت يجب أن يتم ويعالج من قبل الجهات المعنية وعبر ورش عمل ولقاءات مع الطلبة والأساتذة والعمداء والإداريين. علينا الاهتمام باللجان العلمية والمناهج في الأقسام، وان تناقش الأمور بشكل علمي وبجدية خدمة للجامعة وأساتذتها وللطلبة أيضا. أود الإشارة هنا إلى أننا وبزيارة إلى كلية الآداب سنواجه شحة الكتب، مع أنه من المفترض أو الواجب أن تكون هنالك لجنة لشراء الكتب الحديثة وبأعداد كافية تفيد الطالب والتدريسي. أنا أرى عدم الاهتمام بطالب الدراسات العليا، واقصد الاهتمام بهذا الطالب بعد التخرج وتعيينه للإفادة منه وبعكسه فنحن نفرط بالثروة الشبابية والأموال التي تهاجر إلى الخارج. وفيما يخص التعديلات الأخيرة على قانون الخدمة الجامعية، فقد جاءت مخيبة للآمال ومساهمة في تفريغ الجامعات من الكوادر الكفوءة المخلصة، ففي الوقت الذي كنا نطالب برفع العمر إلى 75 أو 77 سنة فوجئنا أن العمر أصبح 65 سنة!.

اعتقد أن الوقت يؤثر على الطالب ومحاضراته في الكلية واجد ضرورة عقد ورش عمل في الكليات للحوار المباشر وسماع المقترحات والحلول من المختصين. كما واقترح أن يذهب طلبة الدكتوراه لمدة سنة إلى الخارج لزيادة الخبرة وان يعاد العمل بدورات التعليم المستمر.

"في تنويه د. عبد الحسين حسن كاظم (كلية المستقبل الجامعة الأهلية/ بابل) بيّن انه قام ويقوم الجملة لحث الأساتذة للكتابة حول الامتحانات المركزية والتعديلات الجديدة لقانون الخدمة الجامعية في الصحف الراكزة ومنها جريدة "طريق الشعب" التي خصصت صفحة تربية وتعليم يوم كل اثنين من الأسبوع تناولت الموضوعات المختلفة وكان الحث بصيغة الرجاء وليس الطلب".

د. نزار عزيز عودة
(جامعة بغداد/ كلية العلوم)

يتفق الجميع على كون الجامعات هي أرقى المؤسسات فهي تضم الكادر العلمي المتقدم ذا الخبرة، ولا بد من التأكيد على تحديد فترة بقاء رئيس الجامعة أو العميد أو رئيس القسم، اي أن تكون فترة معقولة تمكن المسؤول من تنفيذ خططه العلمية والإدارية. هنالك العديد من الضروريات المفقودة في الجامعات أولها الانترنيت الذي يجب أن تكون شبكته مرتبطة حتى بمختبرات البحوث والتدريس. ولا بد من وضوح في سياسة

القبول وجعلها قناة رفد للمطلوب من الكوادر التي تحتاجها خطط التنمية التي تضعها الدولة.

أود الاشارة إلى أن العديد من خريجي تخصص الحاسبات ما زالوا بلا عمل، ويوافقون على العمل بسعر ساعة بحدود ألف دينار أو أكثر قليلاً. قاعات الدرس والمختبرات بائسة ولا تلبي المطلوب، وكذلك أماكن جلوس الأساتذة. هذا في حين ينعم المسؤولون بالمكاتب الفاخرة المؤثثة المكيفة وبالسيارات الفارهة.

وبخصوص المناهج فهي متخلفة والجامعات المختلفة تدرس الموضوعات نفسها وبطريقة الاستنساخ، ويقوم بالتدريس كادر مختلف في إمكانياته وسعة معلوماته. لا بد من الإشارة إلى أن بعض الكليات قامت بإلغاء موضوعات مهمة، لعدم وجود من يدرسها بسبب هجرة الأساتذة أو إحالتهم إلى التقاعد. أن سياق خطة القبول المفتوح في الجامعات خاطئ ومضر، ولا بد من التوجه إلى قبول المتميزين في الكليات فقط وتوسيع رقعة القبول في التعليم التقني لتهيئة كوادر وسطية كفوءة. يسأل الكثير من التدريسيين عن الحكمة في إلغاء الامتحان التنافسي مع انه – على محدوديته– يعد مرحلة لغربلة المتقدمين وطريقة للانتقاء الصحيح. أريد الاشارة إلى بعض الظواهر غير اللائقة في الوسط الجامعي، مع كل احترامي لمن يقوم بها بحسن نية وإيمان صادق، واقصد أن بعض التجمهرات في مناسبات دينية تصل إلى حد توزيع (التمن والقيمة).

د. أسامة السعيدي

أود الإشارة والتأكيد على أن أكثر ما دمر التعليم العالي هو التدخل غير المطور للسياسة في التعليم الجامعي، والقرارات غير العلمية للسياسيين التي ساهمت بقوة في هذا التدمير، فهنالك قرارات الاستثناء والدور الثالث وبعده الرابع. في مؤتمر أربيل قالوا أن علينا إبعاد الجامعات عن السياسة ولكن الواقع يقول أن كل شيء راح يخضع للمحاصصة، فلا انتخابات للمراكز القيادية في الجامعات ولا تطوير يذكر للبنى التحتية. ولكي يتطور التعليم العالي يجب أن تسعى الدولة لجعله مستقلاً شأنه شأن القضاء. فيما يخص التدرج العلمي هنالك روتين قاتل وتأخير في عمليات الترقية العلمية. يخسر الأستاذ الجامعي الكثير من حقوقه بسبب هذا التأخير. عمل اللجان القطاعية لا يتعدى كونه إسقاط فرض، فليس هنالك اتفاق على المفردات لقد اقترحت على الوزارة أن تبعد العمادات عن هذه اللجان القطاعية. الاستقلالية مهمة بالنسبة للجامعات خصوصاً وان الجامعات منتشرة في كل المحافظات تقريباً. لا بد من الاتفاق على طريقة تدريس الموضوعات؛ هل تكون سنوية أو على شكل كورسات؟

الجامعات الحكومية بشكل عام غير مستوفية للشروط العلمية الرصينة وخصوصاً الحديثة. لقد زاد المسؤولون الطين بله بالسماح لتأسيس الجامعات والكليات الاهلية بدون الالتزام بالقانون الخاص بتأسيس هذه المؤسسات التعليمية. أود أن أبين أن كل ما طرحته ويطرحه الاخرون ليس بعيداً عن السياسة واكرر الدعوة لاستقلالية الجامعات كي نضمن استقلالية التعليم العالي.

د. محمود اللامي

أود الإشارة إلى أن قيادة التعليم الحقيقية يجب أن تكون بالوزارة وعليه يجب التركيز على الوزارة التي تقود التعليم العالي أولا لأن المشكلة حالياً لا تكمن في الجامعة بل في الوزارة. لقد تعرضت لعقوبة التوبيخ – بعد خدمة 38 سنة في التعليم – لأنني كتبت مقالاً عنوانه "هل مات فيك القانون يا عراق". يختار الوزير رؤساء الجامعات على مقاسه وتقديراته ولهذا نجد أن هنالك أشياء كثيرة تضر التعليم داخل الوزارة. القضية الثانية التي أود إضافتها للورقة هي قضية من يشكل المحور المهم في عملية التعليم العالي واقصد هنا الطالب، فطالب اليوم ليس له دافعية أو تطلعات بسبب الإحباط.

" في مداخلة د. غازي الخطيب قال هنالك ١٨ حلقة متتالية نشرت في "طريق الشعب" عن الجوانب المختلفة للتعليم العالي. أن عقدنا لمثل هذه الندوات يمكن أن يقربنا من الهدف. وكنا نأمل أن يحضر مسؤولو التعليم العالي هذه الورشة"

" اقترح د. جواد الموسوي رئيس جامعة واسط تأسيس مجلس يسمى مجلس الجامعات العراقية، أسوة بالجامعات الأوربية".

د. ميمون الخالدي (جامعة بغداد/ أكاديمية الفنون الجميلة)

كنت قد تكلمت عن كليتي وقلت أن الأمية قادمة إلى قسم التمثيل والإخراج، ويظهر أن الأمية قادمة للجامعات. بعد 42 عاماً من الخدمة المسلكية استطيع القول أن أزمة التعليم العالي تكمن في الدراسات المسائية والدراسات العليا. أنا لست سياسياً ولقد شاركت عام 1992 بدورة النهوض بالتعليم العالي، فكلنا شعرنا وقتها أن التدهور يدب في أوصال التعليم العالي وقد غادر البلد الأساتذة الكبار. لقد نودي وقتها بفتح الجامعات في المحافظات حتى بدون الحد الأدنى من الملاكات، وفتحت الدراسات العليا في الجامعات الحديثة ظناً من المسؤولين أن هذا سيوفر الملاكات المطلوبة ذات الخبرة، وجاءت النتيجة معكوسة لأنه أكثر المقبولين في الدراسات العليا كانوا من ذوي المستويات العلمية الواطئة. ناهيك أن الكثير منهم كانوا من العاملين في الأمن والمخابرات والذين تحولوا فيما بعد إلى تدريسيين جامعيين. وبعبارة أخرى فإن دراسة الماجستير والدكتوراه لم تكن حسب حاجة المجتمع، وإنما حسب رغبة وتصور الساسة في حينها. الصورة هذه هي ما سميته في البداية الأمية في التعليم العالي لان الدراسة لم تكن تطبيقية وإنما إنشائية. نحن منذ التسعينيات في دورة مغلقة فلا ايفادات للمؤتمرات ولا زيارات علمية لتبادل الخبرة والاطلاع على الجديد في العلوم والفنون المختلفة. أود الاشارة إلى أن الأمية راحت تنتج أمية والسبب تعيين من ليس له خبرة أو خدمة طويلة في منصب يجعله يقيم باقي الأساتذة الأجدر منه. أتصور– والى الآن– أن هنالك معرفة تعطى بدون ثقافة، وهنالك ترديد لكلمات الهيكلية العلمية بالكلام فقط، على عكس دول العالم المتقدم التي تفهم ما معنى الهيكلية العلمية.

" في مداخلة للدكتور صبحي الجميلي طلب من المتحدثين استخدام كلمة بعض التدريسيين وعدم التعميم لان هنالك أساتذة إجلاء اثبتوا أخلاصهم للوطن والشعب ولعملية التعليم العالي ولم يكونوا من الفاشلين والنفعيين. قال هذا بعد الاستئذان

من د. ميمون الخالدي".

الاستاذ رائد فهمي
(وزير العلوم والتكنولوجيا السابق)

تبين الصورة التي رسمت اليوم حجم المشكلة، التي من الواضح أنها مشكلة مجتمعية ولها علاقة ببناء الدولة والموارد البشرية وتتطلب اتخاذ قرارات بعيدة عن الاعتباطية. اعتقد أن قضية الجامعة والتعليم يجب أن تكون هوية اجتماعية وقضية رأي عام وان تكون هنالك أبواب الجامعة والسياسة والجامعة والطلبة والرؤيا الواضحة. كما وينبغي أن يكون لذوي الاختصاص الدور الأول في صنع القرار. الجامعة الان تتغير وفق تغير الحكومات والسياسيين وهذا لا يجوز لأن هذا يمثل رؤية غير صحيحة، بسبب كون رؤية الجامعة هي رؤية مجتمعية ويجب أن تمر من خلال المجتمع ولا يجوز أن يكون القرار وفق رؤية فردية. علينا إذن أن نعرف من يصنع القرار وما هي الحريات في الجامعة وما هي أنواعها. عند الحديث عن الجامعة والسياسة علينا أن نفهم ما المقصود بالسياسة أو إبعاد الجامعة عن السياسة. وما المقصود من إبعاد الطلبة عن السياسة في الجامعات.

اعتقد أن الحريات داخل الجامعة محور مهم جداً. نحن نأمل حل المشاكل في هذا الجانب ولكن يجب أن نتفق بماذا نبدأ من هذه المشاكل. اسأل هنا: هل يتفق الأساتذة على كيفية أصلاح المناهج، أو توفير البنى التحتية على سبيل المثال؟ هنا لا بد لنا أن نكون فعالين في ممارسة الضغط على صاحب القرار واعتقد أن أساتذة الجامعة يتمتعون بهيبة واحترام من قبل المجتمع وبإمكانهم التأثير على صاحب القرار السياسي. واكرر مرة أخرى ضرورة أن يكون أساتذة الجامعة فعالين في اخذ دورهم المطلوب.

د. عبد الأمير ضايف
(جامعة المثنى/ كلية الزراعة)

أتقدم بالشكر للجميع واعتقد أن الورقة تفتقر إلى موضوعة البحث العلمي وضرورة الفصل بين التعليم العالي والبحث العلمي لاختلاف مخرجي الجزئين. فمهمة البحث العلمي واضحة وهي المساهمة في التطور متعدد الجوانب للبلد في حين ينحصر دور التعليم العالي في تهيئة الكوادر الكفوءة والواعية. أود الإشارة هنا إلى إن الأستاذ الجامعي يشعر بثقل عمله بسبب العديد من العوامل، وفي مقدمتها عدم وجود الأجواء المناسبة للإبداع سواءً المادية أو المعنوية، بالإضافة إلى ما تطرق له السادة من متطلبات التدريس الحديث والقاعات والمختبرات والأجهزة.

د. سعد الطائي
(أكاديمية الفنون الجميلة/ متقاعد)

أود تأييد ما تطرق إليه د. ميمون الخالدي. في موضوع الدراسات العليا هنالك مشكلة عدم الأخذ بنتائج الامتحان التنافسي، فالطالب الراسب في هذا الامتحان (لم يحصل إلا على 10٪) يقبل حسب قرارات الوزارة ويتخرج ويصبح فيما بعد تدريسياً جامعياً. والمحزن أن بعض من هؤلاء أصبحوا عمداء كليات وهم بدون الكفاءة المطلوبة لهذا المنصب.

بعد سقوط النظام الدكتاتوري تنادينا لانتخاب العميد ومعاونيه وكانت تجربة ناجحة، ولقد كانت البداية الانتخاب الديمقراطي الشفاف لرئاسة جامعة بغداد.

يتم حاليا اختيار القيادات العلمية من قبل الجهات الأعلى. وفي جانب آخر القرارات المتكررة لإعادة المفصولين السياسيين "المرقنة قيودهم" إلى الدراسات العليا مما يتسبب في مشكلة كبيرة. إذن علينا العمل على وضع خطط وضوابط واضحة وصارمة للقبول في الدراسات الأولية والعليا ونبذ العمل بمبدأ القبول الخاص.

تشكل التخصيصات المالية محورا مهما، إضافة إلى محور الاهتمام بالطالب وخلق التنافس الشريف للخدمة في الكلية نفسها بعد التخرج. في البحث العلمي هنالك مبتكرات ولكن مع الأسف تركن على الرفوف في حين يجب أن تكون هنالك جهة علمية تقوم بتحديد الإفادة من هذه المبتكرات وتخصيص جوائز للمميز منها. وبهدف توفير الفرص للتدريسي الجامعي لحضور المؤتمرات وزيارة المؤسسات العلمية، يجب إعادة النظر في الايفادات ومخصصاتها وترشيح المستحق فعلاً لها. أنا أدعو الى إشراك الطلبة في اتخاذ القرارات الخاصة بهم، ولكن بشكل استشاري وإعطاء فسحة واضحة للاتحادات الطلابية لطرح الآراء وعدم تركهم مهملين وكأن لا حق لهم في صنع القرار. لاشك أن حالة الأقسام الداخلية بائسة وتتطلب الكثير لتحسينها لضمان الأجواء المناسبة للعيش والقراءة ومتابعة الجديد.

د. عيسى عمران (جامعة بغداد / كلية التربية ابن الهيثم)

أود التأكيد على العلاقة الوثيقة بين المجتمع والجامعة، فالجامعة تعني المجتمع والعكس صحيح. وأيضا التأكيد على خطأ النقل الاستنساخي لتجربة جامعات الخارج، لان لكل بلد ومجتمع خصوصياته وإمكانياته. لا بد من الإشارة إلى عدم الترابط بين القبول والتعيين مستقبلاً. فكثير من خريجي كلية الزراعة لا يجدون وظيفة في وزارة الزراعة لعدم الحاجة – حسب قول المسؤولين – إذن لماذا قضى هذا الطالب اعواماً في كلية الزراعة؟ ونقلاً عن احد زملائي أن كلينتون كان يوقع بقلم، وقد فرح عندما رأى صورة الباذنجان على القلم.

أنا مع تكريم الطالب المتفوق مادياً ومعنوياً وضمان تعيينه وتوفير الفرصة له لإكمال دراسته العليا داخل العراق وخارجه، ولا أجد نفسي وغيري قد طالبنا بغير الممكن فنحن لم نطالب بمنح المتفوق سيارة أو شقة!

د. صباح فرج باصات (جامعة بغداد / كلية التربية ابن الهيثم)

فيما يخص المناصب القيادية في الجامعات فانا أجد أن على من يخضع للترشيح لها إلى الضوابط التي كان يعمل بها في خمسينيات القرن الماضي، والتي على أساسها تم اختيار الراحل الاستاذ الدكتور عبدالجبار عبد اللّه رئيساً لجامعة بغداد. هنا أريد التأكيد على التدرج المنطقي لتقلد المناصب، فرئيس الجامعة يجب أن يكون قد عمل كعميد والعميد كرئيس قسم ورئيس القسم كعضو مجلس قسم، وان يكون المرشح قد أمضى فترة كافية بالمناصب الادنى وصولاً الى رئاسة الجامعة. من الضروري جداً أن تحدد فترة كل منصب قابلة للتمديد مرة واحدة بهدف خلق الكوادر القيادية القادرة على تسلم المنصب عند التغيير أو الأعفاء. أجد من الضرورة الإشارة الى أن هنالك مناصب خطرة في الجامعة مثل مدير الدائرة العلمية أو

القانونية أو الإدارية، التي تدار من قبل من هم بدرجة مدرس مساعد لم يمر على قرار منحه الماجستير حتى سنة واحدة. أنا مع الانتخابات للمراكز القيادية في الكليات والجامعات حتى وان ظهرت السلبيات عند إجرائها سابقاً. ولكي نضمن الكادر القيادي الكفوء لابد من الابتعاد عن عامل الحزبية والمحاصصة عند الترشيح للمناصب. بالنسبة للقبول فأنا لست مع مبدأ قبول جميع خريجي الدراسة الإعدادية في الكليات، بل مع الدعوة إلى التوسع في التعليم التقني. لقد اثبت الواقع عدم جدوى فتح العديد من الجامعات وذلك لان فتحها لم يسبقه توفير المتطلبات، من الكادر ذي الخبرة والبنايات والأجهزة والمناهج الرصينة ووضوح الهدف من فتح الجامعة، ومن والمفترض ألا يكون لاستيعاب كل الطلبة الناجحين من الإعدادية كما أشرت. يتفق الجميع على عدم كفاية التخصيصات والدعم المالي الحكومي للجامعات؛ ولأننا من البلدان الفتية فأنا أطالب، وكذلك الكثير من التدريسيين الجامعيين، ألا تقل نسبة التخصيصات للجامعات عن 20٪ من مجموع الموازنة العادية. وأود هنا الإشارة إلى تصريح الدكتور علاء مكي- رئيس لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب سابقاً –ان نسبة التخصيصات كانت حوالي 64٪ بينما هي الآن 6٪ ولا بأس أن اذكر الجميع بأن الحكومات السابقة كانت تتعامل مع مؤسسات عالمية داعمة للثقافة والدراسات والبحوث وتطوير التعليم الجامعي، ومنها مؤسسة كولبنكيان التي وفرت للعراق فرصاً كثيرة لدراسة الماجستير والدكتوراه. علينا إيجاد صيغ للتعاون مع هذه المؤسسات والإفادة من الدعم الذي تقدمه للتعليم الجامعي.

أعتقد أن الوقت قد حان لإعادة النظر في المناهج وطرق التدريس وقوانين إيفاد الأساتذة والإفادة من التدريسيين والجامعيين- خصوصاً حملة الأستاذية بعد الإحالة إلى التقاعد – وتوفير فرص لتعليم اللغة الانكليزية أمدها 6-12 شهراً في مراكز تعليم اللغات الرصينة، لمساعدة طلبة الدراسات العليا على التعامل مع المصادر الكثيرة والحديثة بهذه اللغة. ولابد أن اصطف مع الداعين إلى استقلالية الجامعات والاحتكام إلى الكفاءة عند التعيين الجديد أو الترشيح لمنصب أعلى، مع رجائي للجميع، وفي مقدمتهم أصحاب القرار في هرم الدولة، إلى أن يراجعوا النتائج التي جاءت نتيجة قرارات النظام السابق عندما قرر بعثنة التربية والتعليم. ومرة أخرى أريد التأكيد على أن القرارات التي تخص التعليم ومتطلباته يجب أن تبدأ من رئاسات الأقسام ومجالس الكليات ومجالس الجامعات، ولا تأتي من قرارات فوقية بينت الأحداث أنها تأتي ناقصة في أحسن الأحوال.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الجلسة الثانية:

أدار هذه الجلسة د. عبد الحسين حسن كاظم (كلية المستقبل الجامعة الأهلية/ بابل) وأعلن في بداية كلامه أن وقت الندوة سيحدد لكي يتمكن طالبو الكلام من تقديم آرائهم ومقترحاتهم.

د. سلام جبار

أود تقديم شكري للجميع أولا وأوضح لكم من خلال تجربتي الشخصية المتواضعة، وبعد مقارنة واقعنا الحالي مع الواقع العالمي، أن هنالك أزمة حقيقية في التعليم العالي في العراق تتمثل أول ما تتمثل بأنه يهتم بالكم وليس بالنوع، فالمعاهد والكليات تخرج بدون هدف واضح. وأضرب مثلاً فالتخصصات الهندسية تخرج الآلاف بينما يصل العدد لهذه التخصصات إلى حدود المئات في بريطانيا. السمة السلبية الأخرى أن التعليم في بلدنا يعتمد الشكل وليس المضمون، الأمر الذي يجعل الطالب يسعى للحصول على الشهادة ومنها الغش والرشوة.

وما يزيد الحالة سوءاً عدم وجود سياسات من قبل القائمين على التعليم تعنى بالطالب وطرق بنائه من الناحيتين النفسية والعلمية. والمخصص من ميزانية الدولة للبحث والتطوير محدود جداً على عكس ما موجود في بلدان العالم المتقدمة. هنا لابد لي من الاشارة إلى عدم وجود وضوح في عملية نقل العلوم أو عملية النقل والعقل، واليكم وضع الجامعة التكنولوجية التي تفتقر إلى كل ذلك فنحن لا نستطيع تشغيل آلة.

د. عامر القيسي (الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية)

باعتقادي انه لا جدوى من دراسة مشاكل التعليم دونما دراسة لمنظومة هذا التعليم. فهناك مخرجات التعليم ومدخلاته وهذه بمجموعها ضمن مدخلات التعليم العام. إن الطلبة يقبلون على أساس المعدلات بغض النظر عن الأمور النفسية والرغبة، وبالتالي يتخرج طلبة شبه أميين وهذا ينعكس على التعليم بشكل عام. أود الاشارة إلى تقرير منظمة اليونسكو الذي يبين أن الدول العربية – بالمعدل– تنفق 0.10٪ على ميزانية التعليم العام. ومازالت وزارة التربية في العراق تعيش على المركزية المقيتة ومنها الامتحانات المركزية، التي تنتشر فيها بيروقراطية بلا حدود. لا أجد هنالك أجواء ايجابية تضمن الحرية في تحرك الأستاذ وقيامه بواجباته التدريسية وإجراء البحوث والمشاركة في نشاطات منظمات المجتمع المدني أو تقديم المشورة العلمية. اعتقد أن وجود تعليمات حول اختيار الأساتذة ومناهجهم وكذلك الاهتمام بالتعليم الأساسي سيوفر للطالب مهنة للعمل بدلا من التقديم للجامعات وانتظار التعيين. القبول في الدراسات العليا مع الأسف بدون ضوابط علمية صارمة، وأصبحت هذه الدراسات مرتعاً لغير الكفوئين.

د. سعد مطر (جامعة بغداد/ كلية التربية)

هنالك جزئيات وكليات، وسوف ادخل بالجزئيات لأهميتها. يجب أن تكون الجامعة هي الأرض لأنها تنتج مواطن، ولكن ما يؤسف له أننا نرى التطرف وغيره. وأخشى أن ارى رئيس الجامعة هو نفسه رئيس العشيرة. وبدون تردد أقول أن الجامعات يجب أن تغطى بالعلم والتخصص والثقافة، ولكننا نرى مجتمعاً مغلقاً تسوده ثقافة التطرف والتخلف. وعند الخوض في الجانب الاستثماري نجد الجامعات بدون اقتصاد معرفة، واقصد هنا أن الجامعات في العراق ما تزال مستهلكة غير منتجة. أتمنى أن تعزز ثقافة الأمانة العلمية عند الطلبة كي

يقوم الطالب بإجراء بحثه بنفسه بدلاً من سرقته من بحوث أخرى.

" في تعقيب سريع أوضح د. عبد الحسين حسن كاظم أن الصدمة تصيب من يدخل رحاب الجامعات ولا يجد فيها مكتبة لبيع الصحف الرصينة والكتب العلمية الصرفة، أو تلك التي تهتم بالثقافة العامة وحقوق المواطن وواجباته".

د. عباس التميمي (كلية المستقبل/ الجامعة الاهلية)

عقد العديد من المؤتمرات حول التعليم العالي في العراق بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي وبالذات عام 1987 . لقد كانت الحروب ومآسيها من عوامل تخلف التعليم العالي في بلدنا مقابل التطور العلمي الهائل في بلدان العالم الأخرى. أود الاشارة هنا إلى بعض المشكلات ومنها رسائل وأطاريح الدراسات العليا التي لم تناقش مشاكل اجتماعية بهدف الحل، والسبب عدم تجاوب مؤسسات الدولة معنا وعدم طرحها لمشاكلها لكي يصار إلى جعلها مواضيع للرسائل والأطاريح. لقد اقترحنا في حينه أن نعمل على تمييز الجامعات مادام هنالك طلبة يحصلون على دروس إضافية، خاصة بهدف الحصول على معدلات عالية للدخول إلى الكليات المميزة (المجموعة الطبية) في الجامعات.

لقد كان عدد الجامعات وقتها لا يزيد عن 7 بدلاً من 15 المخطط له. أود الاشارة هنا إلى ان د. عبدالجبار عبدالله كان قرر إعادة الكثير من الأساتذة الذين فصلوا لأسباب سياسية. وها نحن الآن نرى عملية تفريغ الجامعات من الخبرات والكفاءات حيث حددت تعديلات قانون الخدمة الجامعية الأخيرة عمر الأستاذ بـ 65 سنة. ولإنصاف الأستاذ والحفاظ على هيبته وكرامته اقترح أن تكون معادلة التقاعد في الوزارة وليس في الهيئة الوطنية للتقاعد أسوة بوزارة العدل.

وبخصوص قانون التقاعد فقد تم حرمان الأساتذة الذين تقاعدوا قبل 2008 من الراتب الجيد مقارنة بأقرانهم الذين تقاعدوا بعد هذا التاريخ أي بعد صدور قانون الخدمة الجامعية سنة 2008 . وبخصوص التعديلات الأخيرة لقانون الخدمة الجامعية فقد جلبت الغبن الأكبر لهذه الشريحة.

الطالب ياسر محمد (سكرتير اتحاد الطلبة العام)

أشير اولا إلى أن موضوع الطالب كاد أن يكون غائباً في هذه الورشة. اعتقد أن هنالك ما يحدد عمق علاقة الأخوية والأبوية بين الطالب والأستاذ، وهذا ما يزيد من معاناة الطالب وكذلك معاناة الأستاذ، فكلاهما أمام قوة جملة من القوانين والتعليمات. وبصراحة فإن نقصاً يتولد في شخصية الطالب نتيجة معاملة بعض الاساتذه له، والتي تبرر دائماً من قبل هذا البعض. من الواضح الان التغييب المتعمد للروابط والاتحادات الطلابية مع أنها مهمة وتساهم نسبياً في مساعدة الطالب في المشاركة في القرارات التي تخصه.

يجري الحديث دائماً عن صناعة وتطوير الأستاذ ولا أجد مثل هذا الحديث عن الطالب. أنا عضو في اتحاد الطلبة العام في جمهورية العراق، أؤكد لكم أننا نسعى إلى إقامة أوثق العلاقات مع أساتذتنا الأجلاء على أساس الاحترام المتبادل وليس على أساس تهميشنا وتغييب دورنا.

الطالب كرار حسن

أنا مع زميلي ياسر في أن الحديث قد أقتصر بشكل عام على الأستاذ، وأرى ضرورة أن تفسحوا المجال للطلبة وان تقيموا ندوة خاصة بهم وبحضوركم.

اعتقد أن بعض ما طرح بخصوص كرامة الأستاذ يتعلق بالأستاذ نفسه الذي يجب أن يكون دائماً مصقول المعرفة ومتميزاً بعلاقاته الطيبة مع طلابه، ولا أبالغ عندما أقول أننا نعتبر الأستاذ إله، مع وجود البعض الذين لا يستحقون هذا التشبيه. فيما يخص المناهج الدراسية فانا اقترح عقد ندوة متخصصة بهذا الموضوع.

د. علي إبراهيم
(جامعة بابل كلية الاداب)

اعتقد أن المشاكل التي طرحت هي هم الجميع. فيما يخص المحور الأول المتعلق بالقيادات العلمية أود الإشارة إلى أننا طرحنا بعد سقوط النظام السابق قضية الانتخابات ولكن الانتخابات لم تنتج – في بعض الحالات– أساتذة يقودون الجامعات بامتياز، بالإضافة إلى أن الانتخابات لم تثبت كتقليد جامعي رصين. النتيجة أن يرشح شخص واحد ويجمع من حوله من هم باتجاه واحد. وعند الأخذ بمقترح أن تكون الجامعة سلطة فمن الضروري جداً أن تكون المسؤولية تداولية، ولا احد يستطيع إنكار أن الكثير ممن كلفوا بمناصب قيادية وصلوا إلى المناصب بطرق مختلفة.

من المشاكل في الجامعات هي القرارات البعيدة عن الواقع التي لا يمكن تطبيقها بسبب غياب الظرف الموضوعي للأستاذ وهي مضيعة للوقت. هنا لابد لي أن أشير إلى وضعية غرف الأساتذة في العديد من الكليات حيث يتجمع 10 أساتذة في الغرفة الواحدة فلا يستطيعون حتى المناقشة مع طلبتهم. هنالك موضوع الزي الموحد الذي تتصارع حوله رئاسات الأقسام من جهة وعمادات الكليات من جهة أخرى، عندما تطلب الكليات زياً يمثل كتلة معينة. أنا مع الطالب الذي تحدث عن جلوس الطالب مع أستاذه والذي يعتبره البعض نقيصه، بل العكس هو الصحيح لان جلوس الأستاذ مع طلبته أمر منتج يؤدي إلى تفهم المشاكل وحلها.

"في تعقيب للدكتورة فوزية العطية أوضحت أن الزي الموحد يجب أن تسوده فكرة انتماء الطالب للحرم الجامعي وليست طريقة فهم عدم انتظام".

د. خليل إبراهيم
(جامعة بغداد/ كلية التربية)

إن مشكلة التعليم العالي هي مشكلة مزمنة يرجع تاريخها إلى عام 1968 عندما بدأت فكرة إغلاق كليات التربية إلى أن يقوم النظام بتهيئة طلبة عقائديين يفكر بإعدادهم حزبياً، وهذا ما انعكس سلباً على واقع التعليم في مدارس المرحلة المتوسطة وصعودا، وتم انتاج خريجين ينتمون إلى حزب السلطة الوحيد يقومون بنشر أفكاره. يضاف إلى هذا تأثير الحروب العبثية على مجموع العملية التربوية والتعليمية والمجتمع ككل. وبعد سقوط النظام الدكتاتوري أصبحت الآمال معقودة لبناء دولة وجامعة حديثة، تبدأ بتولي لجان علمية من أصحاب الخبرة والكفاءة مهمة النهوض بواقع التعليم العالي وتحديد فلسفة ومناهج هذا التعليم. ولكن الذي حصل هو ثلاث وزارات خاضعة لمؤثرات السلطة، لم تقم إلا بحلول ترقيعية

رافقها تخبط في الرؤية الفلسفية. تحولت الجامعات إلى مواقع لامتصاص البطالة، وبادر احد الوزراء إلى تعيين أكثر من ثلاثة آلاف تدريسي في جامعة بغداد لوحدها، دون أن يمروا بالتدريس المستمر. وفي الوقت نفسه جرى تعيين الكثير من القياديين دون معرفة العديد منهم بجوهر المهام الموكلة إليهم. وتكاثرت المشاكل عندما تقرر قبول اعداد كبيرة من الطلبة في الدراستين الصباحية والمسائية دون مؤهلات علمية لهؤلاء الطلبة وخصوصاً في الدراسات المسائية. يضاف الى هذا عدم مراعاة الاختصاص الدقيق للتدريسي الجامعي عند تكليفه، وغياب الأنشطة الثقافية والعلمية للطلبة.

استطيع القول أن مستوى بعض طلبة الجامعات قد أصبح حتى أوطأ من مستوى طلبة المتوسطات والاعداديات المتميزة بطلابها.

د. خليل محمد

أحييكم جميعاً وأود إعلامكم أنني حضرت ورشة العمل هذه رغم عدم تسلمي دعوة لحضورها. أود الحديث هنا عن الأمية التعليمية واعني بها حالة اللاثقافة واللاعلم. لقد حضرت أكثر من مناقشة في قسم اللغة العربية فسمعت من يقول لطالب الدكتوراه (الباحث) انك لا تجيد كتابة الهمزة. هنالك من يأخذ كتاباً واحداً فيحصل به على الدكتوراه والماجستير.

وفي المؤتمر السابع للتعليم العالي عام 2003 قلت للوزير أن المكتبات تبيع الرسائل والاطاريح وبحوث التخرج.. فأين انتم من هذا؟ هنالك أساتذة- وهم قلة- يطلب من الطلبة كتابة، أو بالأحرى شراء، بحوث جاهزة يسلمها إلى الأستاذ الذي يقوم بدوره بتعديلها ونشرها باسمه ويترقى علمياً. وبكل تأكيد فإن هذه القلة من الأساتذة سوف تخرج تدريسيين فاسدين مثلهم لأنهم غير قادرين على تخريج الأكفاء.

د. عادل كنيش
(مستشار/ وزارة العلوم والتكنولوجيا)

المطلوب لكي تقوم الجامعات بدورها أن يكون هنالك كادر وبنى تحتية، وعند الحديث عن هذين العاملين نجد أن هنالك خللاً كبيراً في مجال تكنولوجيا المعلومات بسبب الفساد الإداري والمالي. لابد لدخول تكنولوجيا المعلومات في طرق التدريس فهي غير مستخدمة لا من قبل الطالب ولا من قبل الأستاذ. اعتقد يجب أن يكون لكل أستاذ موقعه الالكتروني من خلاله يقدم له الطلبة ما يحتاجون.

د. كفاح الجواهري
(استاذ كلية الهندسة/ متقاعد)

أنا أرى أن أزمة التعليم العالي بدأت منذ تحول العراق من دولة مؤسسات إلى دولة سلطة. أنا اعمل في جامعة بغداد منذ 1971 وبامكاني تحديد ذلك التاريخ كبداية لتوجه، ليس هدفه التعليم ولا غايته المعرفة، بل أصبح هدف التعليم تثبيت السلطة، واستمر الحال حتى بعد سقوط النظام الدكتاتوري والى الان وبصورة أسوأ. أن دولة السلطة الحالية لا تعرف ما يريده المجتمع. وعليه ليس التعليم هو الذي يفتقر إلى الهدف الأساسي لتكوين المواطن أو الخطة التنموية. لدينا الآن مع الأسف مجتمع طوائف (سني وشيعي).

أنا أرى أن لا وجود لجامعة وأستاذ

بدون طالب. إذن الهدف الأساس هو الطالب وهذه هي الناحية المهملة. وتوجهنا يجب أن يكون بماذا نبدأ؟ ولا يمكن أن نبدأ بتوجه محدد واحد، لان كل التوجهات ملغومة والفساد مشرعاً، وها هو البرلمان يدرس قضية العفو عن المزورين للشهادات.

د. صباح السوداني
(خبير/ وزارة العلوم والتكنولوجيا)

أنا أؤيد ما تطرق إليه الأستاذ قبلي واقترح أن يكون توجهنا على أكثر من نشاط. أمس كانت هنالك مناقشة لرعاية العلماء والمبدعين ورغم كثرة المناقشات أعادت رئاسة الوزراء دراستها حول هذا الموضوع. أنا ادعو الحضور للمساهمة في مناقشة هذا القانون مع الرأي أن الجامعات في المحافظات تحتاج إلى الكثير من الرعاية والدعم واعتقد أن الحاضنات التكنولوجية بحاجة إلى الجمع بين مجالس الجامعات ومجالس المحافظات لما لهذا الجمع من مردود ايجابي.

رائد فهمي

أثيرت قضية الابتكار وقانون العلماء والمبدعين وهذه ليست جديدة بل سبق وان توقفنا عند الحاضنات التكنولوجية كما توقفنا عند تعريف الابتكار والإبداع. علينا الاهتمام بكل العناصر التي تعني تحويل العملية إلى منبع مع إسناد مادي بسيط والربط بينها وبين البحث العلمي.

أود الإشارة هنا إلى أن البحوث في مجال العلوم التكنولوجية هي عملية موجهة إلى العمل التطبيقي، أما البحوث في الجامعات فهي موجهة إلى الترقية العلمية. فيما يخص الزي الموحد فإن الغرب ينظر له من ناحية الانتماء أو الهوية، أما إذا كانت الدولة تلزم الطالب بهذا الزي فاعتقد أن ذلك مخالف ولا يمكن القبول به.

د. عبدالحسين حسن كاظم (أستاذ في كلية التربية/ ابن الهيثم/ متقاعد)

أحييكم وأشكركم جميعاً وأود أن اثبت رأيي في ما جاء في الورقة وأتصور أن تكرار طرح السادة الأفاضل الموضوعات نفسها دليل الاتفاق في الرأي، كما هو دليل على أهمية هذه الموضوعات ووجوب تكرار الحديث عنها.

أنا مع أن تعقد ندوة متخصصة للدراسات العليا وأتصور أن الورقة الحالية لم نثبتها كمحور مستقل سهواً وبدون قصد. فيما يخص الدراسات العليا الآن فأنا مع إبقاء دراسة الماجستير داخل العراق فقط. اما الدكتوراه فتكون خارج العراق، خصوصاً وان العالم منفتح الآن على العراق، إضافة إلى أن لدراسة الدكتوراه خارج العراق ايجابيات كثيرة يعرفها الجميع، ولكن علينا رفع المعدل المطلوب بحيث يكون 75٪ للماجستير و85٪ للدكتوراه. ولتهيئة وتطوير القيادات العلمية ابتداءً من رئاسة القسم ووصولاً إلى رئاسة الجامعة، فانا اقترح العمل بمبدأ الرئيس الظل الذي يحق له التواجد مع الرئيس الأصيل ليتعلم منه ويتعرف على المنهج القيادي العلمي في الإدارة، مع تحديد المدة المعقولة لتولي المنصب القيادي وإمكانية تمديد هذه المدة. علينا أن نعيد النظر في القبول المركزي وتسلسل الكليات حسب المعدل، والاعتماد على أهمية مهنة أو تخصص الخريج في تطوير المجتمع وضمن المرحلة أو الحيز الزمني. أنا مع الرأي الذي يدعو إلى قبول المتميزين في الكليات

وتوسيع رقعة القبول في التعليم التقني بهدف تهيئة كوادر وسطية كفوءة. بشكل عام أنا لست مع القبول المركزي وادعو إلى استقلالية الجامعات التي من حقها وضع الضوابط الخاصة بها لقبول طلبتها. لم تتضمن ورقة عمل الورشة أية أشارة إلى كيفية الإفادة من التدريسي الجامعي بعد إحالته إلى التقاعد. من المفترض العمل بقرارات "الأستاذ المتمرس" وإعادة النظر في التعليمات حول كيفية مواصلة من هم بدرجة الاساتذية نشاطهم في كلياتهم والحقوق التي تمنح لهم، وكذلك من هم بدرجة أستاذ مساعد.

د. صبيح الجابر (جامعة بغداد كلية الآداب مركز البحوث التربوية)

إن الواقع المرتبك لمستوى التعليم العالي في الجامعات العراقية، وما يرتبط بها من كليات ومعاهد عالية ومراكز بحوث، لم يكن ناجماً عن سقوط النظام الدكتاتوري فحسب، بل هو امتداد لترد متواصل منذ أن هيمنت أيديولوجية الحزب الحاكم على الدولة ومؤسساتها المختلفة. فقد عمدت سلطة البعث بعد 17 تموز 1968 إلى إغلاق كليات التربية ولم تسمح بإعادة فتحها إلا بعد أن تيقنت سلطة البعث من إعدادها لأساتذة وطلاب عقائديين.

ليس هذا فحسب بل تحولت الكليات ومراكز البحوث إلى مؤسسات مغلقة وحكراً على جهة حزبية محدودة. استمر تدهور التعليم العالي ليتراجع بشكل ملحوظ بعد حرب عام 1980 حينما استثمرت كل الإمكانيات لتلك الحرب العبثية وما تلاها من حروب.

بعد عام 2003 كانت الآمال معقودة على إعادة بناء الدولة ومؤسساتها بناءً عصرياً على أسس علمية سليمة تبدأ بالتعليم العالي ومؤسساته، ضمن خطة علمية أصلية تتولاها لجان من الخبراء والمختصين الأكاديميين والتربويين من أصحاب الخبرة والكفاءة، بهدف الوصول إلى فلسفة صحيحة للنهوض بالواقع الجامعي إدارة ومناهج تدريسية وبنى تحتية، ينتظر منها أن تعطي نتائج مأمونة وسليمة ومعافاة وقادرة على معالجة ما خربته سنوات الحروب والدمار والحصار والاحتلال وانهيار الدولة بكل مؤسساتها.

ولكن ما قام به المسؤولون على المؤسسات التعليمية لم يتعدَ الحلول الترقيعية في هذا المكان آو ذاك أو في هذه الجامعة أو تلك. ومع تعاقب ثلاثة وزراء على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، فإن الأمور لم تتغير وكانت تصورات كل وزير وقراراته تتميز بالولاءات السياسية أو الأيديولوجية للسلطة الحاكمة، وقد رافق فترة الوزارات الثلاث أخطاء إدارية وعلمية وتخبط في الرؤية الفلسفية لطبيعة النهوض بالواقع الجامعي المتردي. كذلك لم تظهر للوجود دلالات حقيقية عن تحقيق تطور في المناهج أو تطوير الجو الجامعي والنهوض بالأستاذ والطالب، ولا بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ولا تطوير لخطة القبول أو وضع تصور واضح للهدف من الدراسات العليا ولا بربط الجامعة بالمجتمع. هنا أريد التأكيد على عدم مراعاة الاختصاص الدقيق عند تكليف الأستاذ بتدريس موضوع ما، وعلى عدم مراعاة الاختصاص وطبيعة الشخص عند تكليفه بالقيام بمركز قيادي. ففي جامعة مثلاً يكلف أستاذ من كلية الزراعة لإدارة كلية من كليات التربية في

هذه الجامعة، وفي جامعة صلاح الدين (أربيل) يدير أستاذ من كلية الزراعة كلية الفنون الجميلة فيها. ولابد لي هنا من التأكيد على خطورة اعتماد الولاءات الحزبية والتكتلية عند إسناد المهام القيادية لإدارة العملية التدريسية والإدارية في الجامعات والكليات والأقسام لأشخاص لا يتميزون بالمؤهلات والشهادات والدرجات العلمية المطلوبة.

د. صباح ناصر العلوجي
(جامعة بغداد / كلية العلوم)

اعتذر لعدم تمكني من التقديم المباشر للاحظاتي بسبب مرضي المفاجئ وتقديمها مكتوبة. وأود إعلام الجميع أنني اعددت دراسة بسيطة مقدمة إلى صفحة تربية وتعليم في جريدة (طريق الشعب) و أمل أن تنشر قريباً.

أود هنا التركيز على بعض سلبيات الدراسات العليا وسبل معالجتها لأهمية الموضوع بالنسبة للعديد من الأساتذة الأفاضل. ولا اعني هنا إلا النقد البنّاء لنظم الدراسات العليا السائدة في جامعاتنا، لان هذه النظم قد وضعت بالتأكيد لتصب في هدف واضح يرمي إلى خلق كوادر كفوءة.
لما كان التعليم الحي والصحيح في جميع مستوياته يعتمد في الأساس على معرفة الفرد لذاته وقدراته، لذا وجب أن تهدف اللجنة التعليمية إلى وسائل النمو لملكات الفرد وقدراته وميوله، والى تمكينه من معرفة ذاته ومجتمعه الذي يعيش فيه، وان يكون تفكيره في ذلك مبنياً على الحقائق العلمية الناجعة. أنا أولا مع إبقاء الدراسات العليا للماجستير في العراق وإرسال طلبة الدكتوراه إلى الخارج، وكذلك اعتماد مبدأ إرسال طلبة الدراسات العليا إلى الخارج لفترات معقولة للتدريب وإكمال أجزاء من البحث واكتساب الخبرة وتوسيع وتسهيل الحصول على "الزمالات البحثية". كما وادعو إلى اختبار طلبة الدراسات العليا وخاصة الدكتوراه بدقة متناهية وإدخالهم دورات تأهيلية وتربوية ولغوية لتطوير مهاراتهم وتصفيتهم عن طريق الاختبارات العلمية والعملية، ثم اختيار الصفوة منهم وعدم اعتماد الكم دون النوع. كذلك من الضروري التقليل من فتح الدراسات العليا في الجامعات الفنية التي لا تكفي كوادرها لمثل هذه المهمة الجسيمة. بالإضافة إلى ضرورة الابتعاد عن المجاملات والمحسوبيات سواءً عند اختبار الطالب أو المشرف أو اللجنة المتحنة. ولابد من التأكيد على دعم الصفوة الباقية في العراق من أساتذة الجامعة والمشرفين على الدراسات العليا من ذوي الخبرة العلمية العالية واعني من هم بدرجة الأستاذية.

الأستاذ نعمة عبد اللطيف
(خبير تربوي)

يعد التعليم الجامعي قمة الهرم التعليمي في وطننا والعالم، وعلى مستواه وجودته وملاءمته الظروف الداخلية والتطورات العالمية العلمية يتوقف المردود البناء على الوطن والمواطنين. وتتوقف مكانة التعليم العالي ورقيه على مجموعة متطلبات منها:

1- استقلالية الجامعات بكل ما تعنيه هذه الكلمة أو هذا المتطلب من معنى.
2- الابتعاد عن تسييس الجامعات.
3- إعطاء المكانة اللائقة للأستاذ الجامعي والعمل على تطويره ورفع مكانته العلمية والاجتماعية والاقتصادية.
4-تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين التدريسيين

في الجامعات من حيث الترقيات العلمية واستلام المراكز القيادية والايفادات والإشراف على الدراسات العليا.

5-تقوية علاقات الجامعات العراقية مع الجامعات العالمية المتقدمة ومراكز البحوث العالمية والمشاركة في ندواتها ومؤتمراتها.

6- ربط البحوث العلمية باحتياجات المشاريع التنموية في الوطن وتقوية صلة المناهج الدراسية باحتياجات الوطن والمواطنين والقضاء على بطالة الخريجين.

7- التنوع في البحوث العلمية والابتعاد عن تحديد أنماط معينة من البحوث والتي اعتاد بعض الجامعات وكلياته على إتباعها.

في ختام الجلسة تحدث د. غازي الخطيب مخاطباً الأساتذة المشاركين بأنهم أداة الفعل والتطوير والتغيير عن طريق عقد العديد من الندوات وورش العمل وتمنى للجميع الموفقية داعيا إلى تجديد اللقاء.

❖ نظمت الطاولة المستديرة اللجنة العلمية في الحزب الشيوعي العراقي، والتي قامت مشكورة بإعداد هذه الخلاصة وخصّت مجلة (الثقافة الجديدة) بنشرها.

نصوص
قديمة

هذه الوثيقة عمرها 68 عاما بالتمام والكمال، فقد تم نشرها في (جريدة القاعدة - لسان حال الحزب الشيوعي العراقي، السنة الثانية، العدد 3-16 آذار/1944)، وهي تتضمن القسم السياسي من تقرير الرفيق (فهد) الذي ألقاه في المؤتمر الأول (كونفرنس) للحزب الشيوعي العراقي الذي درس طائفة من القضايا كما مشار إليها أدناه.

تنشر (الثقافة الجديدة) هذه الوثيقة ضمن باب (نصوص قديمة) تعميما للفائدة ولتكون في متناول المنشغلين بتاريخ العراق السياسي ومن ضمنه تاريخ الحزب الشيوعي العراقي ويقرأونه من مصادره الأساسية المباشرة وليس عبر وساطات، وأيضا في متناول الأجيال الجديدة من الشبيبة لكي تتعرف مباشرة عن الظروف السائدة في حقبة النظام الملكي ورؤية الحزب الشيوعي لتلك الفترة وكيف يقيمها، والتي اعتاد العديد من المشتغلين في الشأن السياسي أن ينافح للدفاع عن الملكية وتقديمها وكأن سلطتها كانت تدير الحكم وهي تلبس قفازات حريرية!

اجتماع مؤتمر الحزب الأول (كونفرنس) للحزب الشيوعي العراقي

في نيسان المنصرم اجتمعت اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي، فبحثت الواجبات التي كانت تجابه الحزب آنئذ، وأهمها دفع الحركة الوطنية التحررية بمحرك الأحزاب الديمقراطية، وتنشيط حركة الشباب، وجر طبقة الفلاحين الى التنظيم والنضال. وبعد تعيين موقف الحزب وسياسته العملية تجاه هذه الأمور الثلاثة الجوهرية، قررت اللجنة المركزية دعوة مؤتمر (كونفرنس) حزبي، لبحث وتحديد واجباتنا، تجاه وداخل الأحزاب الديمقراطية، إلا ان دعوة المؤتمر أجلت مؤقتا، لعدم إمكانية جمع أعضائه في الوقت المحدد بسبب الإرهاب الوحشي الذي قامت به شرطة الحكومة العراقية ضد الشيوعيين، والمظنون بهم، وضد الديمقراطيين والوطنيين وغيرهم.

ومنذ نيسان المنصرم والظروف التي جابهت حزبنا بواجبات كبيرة ومتشعبة، ارتأت اللجنة المركزية دعوة مؤتمر حزبي (كونفرنس) تطرح أمامه تلك الواجبات لمعالجتها، وتعيين موقف وواجبات الحزب تجاهها. فاجتمع هذا المؤتمر من ممثلين من جميع منظمات الحزب (عدا منظمتين محليتين لم يتسنَّ حضور ممثلين عنهما) وعقد اجتماعه في محل ما في العراق، ودرس المواد التالية كما جاءت في محضر الاجتماع، فصوت لها بالإجماع وأصبحت نافذة على الجميع، وأصبحت منهاجا لحزبنا في مرحلتنا هذه.

محضر الاجتماع
خطاب الافتتاح

1- تقرير الرفيق فهد عن، أ- الحالة الدولية. ب- الحالة الداخلية. ج- تثبيت النفوذ البريطاني في العراق. د- الحكومة الحاضرة. هـ - شعارنا وميثاقنا الوطني، أي منهاجنا في مرحلتنا الراهنة. و- كيف نحقق ميثاقنا الوطني. ز- تقوية التنظيم الحزبي.

2- العمل بين الشباب، تقرير الرفيق حازم.

3- واجب الحزب التثقيفي، تقرير الرفيق صارم. 4- تصديق ردود الرفاق الحزبيين حول استفتاء " الوحدة ". 5- تقرير عن حل الأممية الشيوعية –مقال الرفيق فهد المنشور في جريدة الحزب القاعدة في عددها الخامس.

فالقاعدة تهنئ نفسها بهذه الخطوة الكبيرة الأولى التي خطاها في مضمار النضال الوطني التحرري.

وتحي مؤتمر الحزب الأول، بدخولها بالمباريات الاشتراكية التي شرعت بها بعض منظمات حزبنا، وتعد الحزب بأنها سوف لا تكون في المؤخرة ولا في الوسط بل في مقدمة السير مع المنظمات المتقدمة، وندعو الرفاق كافة والمؤيدين وجميع المواطنين السائرين في موكب النضال التحرري الوطني، الى مضاعفة النشاط والإسراع للحاق بموكب الشعوب السائرة نحو الانعتاق والتحرر. لتمت النازية، لتمت العبودية، ولتحي حريات الشعوب.

* * * *

"القسم السياسي من تقرير الرفيق فهد الذي ألقاه في المؤتمر"

- 1 -

الحالة الدولية

في الوقت الذي يجتمع فيه مؤتمرنا الأول (Conference) ينزل الجيش الأحمر ضربات قاتلة بالقطعان النازية الأوغاد مطهرا ارض الوطن الاشتراكي من أعداء البشرية الوحوش الذي انتهكوا حرمة أراضيه، بعد أن داسوا بأقدامهم شعوب القارة الأوربية وأخضعوها.

اجل في هذا الوقت الذي نجتمع نحن فيه هنا يطوق الجيش الأحمر الفرق الألمانية ويبيدها في منعطف الدنيبر وفي ميدان لنينغراد وجمهوريات البلطيق، بينما طلائعه تقترب من حدود العدو الأصلية، رافعة ألوية الحرية والانعتاق لشعوب أوربا المداسة ولشعوب وأمم العالم اجمع، والتي كان ينتظرها نفس المصير الذي حل باليونان وبولونيا والنرويج وغيرها، لولا بطولة الجيش الأحمر ولولا تضحيات الشعوب السوفيتية المجاهدة.

فالكوارث المتتالية التي مني بها الجيش الهتلري في جبهات القتال وتقدم الجيش الأحمر السريع نحو أراضي العدو الأصلية، والغارات الحليفة الماحقة على ألمانيا والبلدان المحتلة والقتال في الجبهة الايطالية، والجبهة الثانية الوشيكة، وفوران العاصفة الثورية لدى شعوب البلدان المحتلة من قبل العدو، واشتداد مقاومتها، المقاومة المسلحة في يوغسلافيا وفرنسا وايطاليا وإفلاس النازي سياسيا وأدبيا (كما تظهرها لنا فقر دعايتها ومحاولة أذنابها الدويلات الصغيرة، التملص من مسؤوليتها واشتراكها في الحرب) الخ..... فهذه العوامل تدلنا على ان اجل النازية الألمانية قد جاء وأم مَلَك الموت سوف ينتظرها حتى عام 1945 بالرغم من وجود شرائم رجعية امبريالستية في أمريكا وانكلترا تحاول إعاقة حكومتيها في تدابيرهما لفتح الجبهة الثانية، وقصد تلك الشرائم الرجعية إطالة أمد الحرب لإيجاد مخرج لألمانيا النازية من انهيارها المحقق بعقد صلح منفرد أو بانتظار

آية سماوية تمنع انهيارها المحتوم، هذا من جهة ولها (للرجعية) في محاولتها عرقلة فتح الجبهة لمنافع طبقية تجنيها من أرباح الحرب المفرطة، ولتثبيت نفوذها الاستعماري على الأمم الصغيرة. غير ان دسائس هذه الرجعية مفضوحة وفشلها محتوم لحتمية اندحار النازية وانهيارها، ولان رابطة الشعوب المتحدة المناضلة ضد الفاشية تريد دحر النازية وتريد الإسراع في إنهاء الحرب، كما تريد ذلك الأمم والشعوب التي تئن تحت كابوس السيطرة الألمانية.

ان مؤتمري موسكو وطهران قد ختما مصير الهتلرية وأذنابها، ولا مجال للشك في أمر ذلك ولابد ان يكون موعد فتح الجبهة الثانية قد تقرر كذلك، وهذا برهان قاطع على ان الشعوب سوف لا تنتظر طويلا للخروج من هذه الحرب التي كلفت البشرية ضحايا وتدميرات وأهوال، حملت أكثر أعبائها شعوب الاتحاد السوفياتي، وهي لا زالت تحمل القسط الأعظم في هذه الحرب.

ان شعوب الأمم المتحدة تريد الإسراع في كسب الحرب للرجوع الى البناء السلمي الذي أوقفت دواليبه العصابات الهتلرية بشنها هذه الحروب، لذلك ترى هذه الشعوب ان تزيد من ضغطها على حكوماتها –بريطانيا وأمريكا– بالإسراع في فتح الجبهة الثانية وتستبسل في ميادين الإنتاج الحربي لمد جيوش التحرير بالمعدات والمؤن، وتقف بالمرصاد للفئات الرجعية، التي تريد مدّ اجل الحرب بتأخيرها فتح الجبهة الثانية. ان مؤتمري موسكو وطهران قد أجابا على أهم ما تصبو إليه شعوب الأرض الحرة: دحر الهتلرية، التخلص من الحرب بأقرب وقت والاعتراف للشعوب بحقها في تقرير مصيرها، بحقها في اختيار شكل الحكم الذي تريده.

إن الشعوب التي ذاقت أهوال الحكم الهتلري أو التي عاشت في خوف مستمر من بطش الدول الفاشية، والشعوب في المستعمرات والبلدان التابعة، التي قاست وتقاسي حكما أجنبيا أفقدتها سيادتها الوطنية وحرياتها الديمقراطية التي لم تستطع في السابق أن تضمن حرية ديمقراطية صحيحة، وعاشت في خوف مستمر من مستقبلها، ومجمل القول أن الشعوب في العالم لم تعد ترضى لنفسها الاستمرار على العيش وفق النسق القديم، كما أن حكومات الدول العظمى ذاتها لم تخف عقم الأساليب القديمة في الحكم، فراحت تضع المشاريع لإصلاح الحال في بلادها، وإعطاء الضمانات للطبقة العاملة، وان هذه الحكومات نفسها أعلنت لشعوب العالم في تصريح الأطلسي، حقها في اختيار نوع الحكم الذي تقرره بذاتها، وثبت هذا التصريح بانضمام عشرات الدول إليه، واخذ شكله القطعي في مؤتمرات موسكو وطهران، وقد شرعت بعض الأمم – التابعة –بالفعل المطالبة به والسير في تحقيقه ومنها القطر الشقيق لبنان.

فالشعب العراقي المجاهد، يهمه الآن قبل كل شيء إنهاء الحرب بالنصر على جيوش الشر بأقرب وقت، والتخفيف عن الضائقة التي خلفتها ظروف الحرب وجيش المحتكرين، والتمتع بحقه في العيش كشعب حر في وطن حر يملك سيادته الوطنية، التي بدونها لا يتمكن من حل المشاكل التي تتعلق بشكل حكمه وحرياته الديمقراطية، ووضعه الاقتصادي وشتى قضاياه الاجتماعية والثقافية. وخلاصة القول، ان الوطن الحر شرط لسعادة الشعب، ولقد أصاب الحزب الشيوعي السوري الشقيق كبد الواقع في شعاره " وطن حر وشعب سعيد".

ان شعبنا العراقي يرى في تصريح الأطلسي ومقررات موسكو والقاهرة وطهران

حق دولي مشروع للمطالبة بتحقيق أهدافه الوطنية ويرى في الجمهوريات الستة عشرة وفي الدول الديمقراطية المعادية لأساليب فرض سيطرة الأمم الكبيرة على الصغيرة، قوة دولية تدعم مطالبه، تدعم حقه في بناء كيانه الدولي الحر.

فعلى شعبنا المجاهد ان يدرك ان الاعتماد على الحق الدولي والتصريحات وحدها لا تكفي لنيل شعب من الشعوب حقه ما لم تدعم تلك التصريحات والحقوق الدولية تنظيم حزبي وطني يوجه الشعب ويسيّر نضاله، وعلى طليعة هذا الشعب الواعية ان تدرك ضرورة هذا التنظيم، وان تفهم واجباتها ومسؤولياتها الوطنية في تنظيم جماهير شعبنا العراقي، وفي تنظيمها منذ الساعة في حزب جماهيري، يوجه الشعب منذ اليوم في نضاله ضد القوى الهتلرية وبهيئة منظمة للمطالبة بحق تقرير المصير. إن كل يوم نؤخر فيه تنظيم صفوفنا سيسبب لنا متاعب اشهر وتضحيات جمة وربما أدى تأخرنا الى فقدان قضيتنا لسنين عديدة، وإذا لم نستعجل وننظم أنفسنا اليوم، فيرسم مصيرنا من رَسَم ماضينا، سيقرر مصيرنا الموظفون العراقيون (والمقصود هنا حكومة الموظفين العراقية) وفق ما يرسمه لهم السفير البريطاني وموظفوه، هذا إذا كانوا لم يرسموه منذ الآن، فالحوادث تدل على أنهم قد رسموا مصيرنا منذ الآن.

* * *

-2-

الوضع الداخلي

العراق قطر مستقل، ينطق بذلك دستوره واعتراف الدول به، وعضويته في عصبة الأمم، وهو ملكية دستورية –ديمقراطية، يمثل إرادة شعبه مجلسان –نواب واعيان –ومرتبط مع بريطانيا العظمى بمعاهدة تحالف وصداقة، تعهدت فيها (بريطانيا) الدفاع عنه، وتعهد هو بإعطائها بعض الامتيازات، كوجود قوات عسكرية داخل القطر، ووضع وسائط النقل تحت تصرف جيوشها عند الضرورة (أثناء الحرب)، هذا هو المفهوم الرسمي لوضع العراق الدولي أو الوضع بين الدول المستقلة والدول التابعة الشبيه له. أما الواقع، فالقطر العراقي لم يتحرر قط من السيطرة السياسية الأجنبية (ولا العسكرية) ولم يمارس قط سيادته الوطنية كقطر إلا في نواح لا تمس مصلحة الامبريالزم ، وإلا في نواح ضيقة حصل عليها الشعب نتيجة نضال. ولقد سارع العراق خلال سني " استقلاله " في سياسته الخارجية كذيل لبريطانيا العظمى في عصبة الأمم، وفي علاقته الدبلوماسية مع هذه الدول أو ضدها، وسلك كأداة منفذة لسياستها بين الأقطار العربية المجاورة وبين الدول الشرقية المجاورة.

أما السياسة الداخلية فقد كانت ولا تزال في جوهرها، تمليها مصلحة الامبريالزم وظروفه الآنية بالنسبة الى الظروف العالمية، وبالنسبة الى ظروفه عندنا.

والعراق مملكة دستورية برلمانية إلا ان دستوره معطل في كل ما يخص مصالح الشعب وحقوقه، كما ان انتداب أعضاء المجلسين لا اثر للتمثيل الشعبي فيهما.

تستقيل الوزارات ويؤتى بغيرها، ويستقيل وزراء ويؤتى بغيرهم، وتحل مجالس ويعين بديلها والشعب لا يدري أسبابها ودوافعها، والشعب لا يهتم بما يحدث من هذا القبيل، أو على الأقل فقد عوّدوه أن لا يهتم بوجود هذا على رأس الحكومة أو ذاك، فالكل لديه سواسية، وقد اختبر الشعب العراقي رجال السياسة الذين تناوبوا ولا يزالون يتناوبون دست الحكم ، فلم يجد فيهم سوى أداة عنف لإخضاعه، ولتسليمه بالأمر الواقع، وهذه الحقيقة تفسر لنا الهوة السحيقة التي تفصل

بين الشعب العراقي وبين السلطتين المحلية والأجنبية. والوطنيون من رجال السياسة الذين خارج الحكم، بموقفهم السلبي من النضال وانتظارهم الطويل لإصلاح الأمور من ذاته، ساعدوا في موقف الشعب هذا اللامبالي مما يدور حوله من أمور تتعلق مباشرة بحياته السياسية وما ينتج عنها الخ...

والعراق بوصفه دولة ديمقراطية لا يملك من الديمقراطية سوى اسمها، فالشرطة والإدارة –تتحكمان في القضاء، ولهما كذلك سلطات جزائية –إلا أنها تصدر أحكامها بصورة كيفية وبدون الالتفات الى القوانين –يساعدها على ذلك وجود القوانين الاستثنائية والمراسيم المناقضة لروح الدستور العراقي، وكذلك ما يسمونه بقانون العشائر، والمحاكم العرفية، وحالات الطوارئ التي لم يخل العراق منها منذ سنوات عديدة مضت. فهذه الأساليب الشاذة المنافية لروح الدستور العراقي، والتي يستنكرها بحق شعبنا التواق للحرية، جعلت حرية المواطنين الشخصية غير مضمونة، وحرماته منتهكة وآراءه وعقائده مهانة مداسة، وأصبح يكفي لإرسال شخص الى المعتقل وشاية شرطي أو العثور على جريدة شيوعية في حوزته.

أما مظاهر الديمقراطية الأخرى، مثل حق المواطنين في تأليف الأحزاب السياسية والنقابات والجمعيات والنوادي فهذا الحق قد منع عن المواطنين كما منعت حرية النشر والاجتماع والتظاهرات.

ثروة العراق

ان العراق غني بالخيرات الطبيعية وبإنتاجه الزراعي وبجهود أبنائه، غير ان الشعب لم يصبه من هذه الخيرات سوى كدّه المتواصل في استخراجها وإنتاجها، فالنفط والتمر مقسم بين الشركات الأجنبية وإنتاج القطر بأكمله (القابل للتصدير) خادم لأسعار الشركات العالمية الاحتكارية ولشركات النقل، والمنتج الحقيقي مسلوب حتى الجلد من قبل الشركات الاحتكارية الأجنبية، واستغلال الشيوخ والسراكيل والمرابين والتجار الجشعين بالإضافة الى الضرائب المباشرة وغير المباشرة، التي تفرضها الحكومة على الناس لقاء خضوعهم لها.

لقد دمر تدفق البضاعة الأجنبية خلال نصف قرن الصناعة الحرفية في العراق، لا لتأخذ مكانها صناعة حديثة آلية، ولقد شعر العراقيون خصوصا في هذه الأيام، بافتقارهم الصناعي وباعتمادهم " حتى بعلبة الكبريت والإبرة " على الخارج.

ان تأخر العراق الصناعي كان نتيجة سياسية اتبعتها السلطات في العراق لإبقاء العراق قطراً تابعاً، يضاف الى ذلك السيطرة الأجنبية المالية والعوامل الداخلية كوجود الأساليب والعلاقات القديمة في الإنتاج الزراعي وموقف غرفة تجارة بغداد والتجارة بصورة عامة، المعادي من تصنيع القطر لارتباطهم بالبضاعة الأجنبية ولوفرة الأرباح من التجارة والربى.

العوامل التي عملت على عرقلة تصنيع القطر هي ذاتها المسؤولة عن تأخرنا الزراعي، واعتمادنا على أساليب وأدوات إنتاج يعود معظمها الى عهود بابل ونينوى، وهذه العوامل ذاتها مسؤولة عن فقر الإنتاج الزراعي ورداءته، وهي ذاتها مسؤولة عن فقر القطر وشعبه بصورة عامة، والعراق، كما أسلفنا رغم غناه الطبيعي ورغم كونه من الأقطار التي تنتج الحبوب واللحوم والأسماك والفواكه والقطن والصوف والجلود وغيرها، فالطبقات لها مستوى واطئ جدا، وسبب ذلك الاستثمار المركب الفظيع الذي تعرض له قطرنا وشعبنا.

1– نهب الشركات الأجنبية لثروات العراق بشكل وحشي فظ، فرض أسعارها الاحتكارية

على أثمان المنتجات المصدرة الى الخارج، فرض أسعار احتكارية لوسائط النقل البحري.

2- العلاقات الإقطاعية وعلاقات ما قبل عصر الإقطاع، كفرض رسوم واستقطاعات لا نجد لها اسما في قواميس الضرائب، فالفلاح عدا ما يدفعه بدل إيجار الأرض والضرائب الحكومية، فهو ملزم بدفع ضرائب للشيوخ والسراكيل قد تبلغ أحيانا نصف حصته من الحاصل أو تفوق، هذا عدا الربا الفاحش بين الفلاحين والذي لا يقل في أية حال -إلا ما ندر -عن الـ 60٪، وعدا نهب التجار للفلاحين بدون رحمة في كلا المعاملتين، في شراء حاصلاتهم وفي بيعهم ما يحتاجون إليه، وهذه الصفقات تتم في اغلب الأحيان بطريقة تجارية في ظاهرها، أما جوهرها فربا فاحش، واقصد هنا حاصلات الفلاحين بالطريقة التي تسمى "على الأخضر" وهذه تتم عندما يضطر الفلاح على الاستقراض للاستمرار على الإنتاج، فبيع حاصل الموسم المقبل بر بع أثمانه الحقيقية أو اقل، وقلما استطاع الفلاح الذي باع "على الأخضر" من إيفاء ديونه ولو دفع عشرات أضعاف أصلها.

3-الضرائب المباشرة وغير المباشرة.

ولقد تعرض فلاحو العراق في السنوات الأخيرة الى خسران أراضي كانوا هم وآباؤهم وأجدادهم قد عمروها، ولا يزال هذا الانتقال لملكية (ملكية تصرف) أراضي الفلاحين يجري، فتسجل الأراضي باسم رجال الدولة المتنفذين ورجال الإقطاع الأغنياء، فالأراضي الزراعية -الصالحة للزراعة -وغيرها كانت في السابق (ولا تزال الآن الأميرية تقدر بـ 80٪ من المجموع) كلها أميرية قبل إيجاد الطابو، ولم يسجل الطابو إلا جزءاً صغيرا من الأراضي، وكان أكثر الفلاحين والملاكين الصغار يملكون الأراضي (أو حق التصرف بها) بأوراق اعتيادية، وعندما بدئ بالتسجيل أخذت هذه الأراضي العائدة للملاكين الصغار والمغضوب عليهم من الملاكين الكبار لمواقفهم الوطنية، وللفلاحين، تسجل بأسماء المتنفذين "على عينك يا تاجر" ولم يكتب نصيب التعاب في المنطقة الجنوبية في البصرة بأحسن من نصيب أخيه في الوسط والشمال فان معظم التعابة غارسوا النخيل فقدوا حقهم في التعبية بطريقة لصوصية.

والعراق رغم كونه قطراً يعتمد في إنتاجه بالدرجة الأولى على الزراعة، ورغم ان هذا الإنتاج يربط المنتج الحقيقي -الفلاحين - بروابط إقطاعية وقبلية فيوزع الحاصل بين المنتج وبين طبقة وجماعات لا شأن لها بالعمل الفعلي، أقول والعراق رغم وجود الإقطاعية والمشيخة القبلية فيه، إلا ان طبيعة الإنتاج القديمة التي كانت تلازم العصر القبلي والإقطاع قد تركت مكانها للإنتاج البضاعي، فالوحدة الاقتصادية الزراعية البطريركالية (طبعا وتربية الدواجن والبستنة الخ....) التي كانت تنتج لسد احتياجاتها، للاكتفاء الذاتي، أصبحت اليوم تنتج للسوق، تنتج بضاعة، وتنتجها للتصدير الى خارج القطر، أي أن الفلاح العراقي أصبح -أحب أم كره - مرتبطاً بالامبريالزم الاحتكاري عن طريق بضاعته الذي ينتجها، فهو يقابله كبائع لحاصلاته، وكمشترٍ لبضاعة -الخام والسكر والشاي وما أشبه -وهذه الحقيقة ذاتها -إنتاج البضاعة -دفعت برجوازية المدن وكبار المشايخ على استثمار الأراضي بطريقة رأسمالية أو نصف رأسمالية، وشجعتهم على نصب الماكنات وتوسيع أراضيهم واستخدام العمال الزراعيين - وطبعا الخضوع أكثر فأكثر -لا عن حب وطواعية بل بدافع المصلحة الاقتصادية -

للشركات الأجنبية، وللمصارف الأجنبية ومن ثم للنفوذ الأجنبي السياسي، ولقد أصبح ملاكو الأراضي وشيوخ الإقطاع تجارا واخذوا يقلدون تجار الغرب لا بالمعاملات فحسب، بل حتى اللباس واحتساء الويسكي والصودا أو واللعب بالبوكر وصرف بعض أوقاتهم بمناداة حمامات الكتكات.

وهكذا يتبرجز ملاكو الأراضي وشيوخ الإقطاع عندنا، ويسيرون مع الزمن، أما أساليب استثمارهم ونهبهم الفلاحين فيسير بعكس الزمن، يرجع أكثر فأكثر الى الخلف، الى نهب صريح بالقوة، نهب منظم تسنده "القوانين" و"العادات" المرعية، وتسنده السياسة القائمة بكل قواها.

الطبقة البروليتارية العراقية

بالرغم –كما بينا في موضوعنا السابق– من كون العراق قطراً زراعياً بالدرجة الأولى وتسود نظام إنتاجه علاقات إقطاعية وقبلية، بالرغم من وجود العوامل، التي ذكرناها، المعرقلة لتصنيع القطر، فان نمو الطبقة العاملة العراقية في نمو مطرد في العدد والقوة، وبالرغم من عدم وجود الإحصائيات الرسمية عن عدد الطبقة البروليتارية العراقية فبإمكاننا أن نجزم بأنها تؤلف اليوم أكثر من ربع سكان القطر. فقد كان يعمل في العام الماضي في الأعمال العائدة للقوات البريطانية بين الـ 60–70 ألف عامل، ويقدر عدد العمال المشتغلين في النقليات، السكك والميناء والسيارات وغيرها بمثل هذا العدد، عدا مئات المعامل الحديثة التي أنشئت، من التي تستخدم كل منها أكثر من 50 عاملا، كمعامل النسيج والسكاير والطابوق –الكاشي والكهرباء ومشاريع إسالة الماء ومعامل التصليح والأحذية، وعدا معامل الجيش والمصالح العمومية، مع العلم ان في العراق نسبة كبيرة من العمال المشتغلين بالبناء ومن الذين يعملون في مشاريع الري والزراعة والسداد وكبس التمور وغيرها.

والطبقة البروليتارية العراقية رغم حداثة عهدها وقلة اختياراتها في التنظيم والنضال، وضعف النظرية الثورية فإنها سائرة على الطريق، طريق النضال، من اجل التنظيم ومن اجل ترفيه أحوالها وتحسين ظروف عملها، وفي اكتساب التجارب النظرية الثورية – الوطنية.

لقد أدى نضال الطبقة العاملة العراقية بتأليف نقابات لها عام 1939 وبتأليف حزبها الشيوعي عام 1934 وبالقيام بإضرابات اجتماعية ومظاهرات سياسية عديدة، وكذلك أدى نضالها الى إرغام الحكومة عام 1936 على سن تشريع لها وعام 1937 على إضافة حقوق زيادة على ذلك التشريع بتحديد ساعات العمل والتعويضات وغيرها. إلا ان تنظيمات طبقتنا العاملة ونجاحاتها لم تكن ثابتة منتهية فقد كانت تلاقي انتكاسات وجزر في حركتها، ويرجع أسباب ذلك بالإضافة الى ما ذكرت، عن حداثة عهد الطبقة العاملة، الى ان نضال الطبقة العاملة العراقية من اجل قضاياها الخاصة، مرتبط بمرحلتنا هذه كل الارتباط بالحركة الوطنية التحررية، وبالنضال من اجل الحقوق الديمقراطية لكافة الشعب، فانتكاسات الحركة العمالية في بلادنا كان نتيجة لانتكاسات نضال الشعب في الحقل الوطني، والنضال من اجل الحقوق الديمقراطية، ولعدم فهم هذا الارتباط الرئيسي بين حركة العمال والحركة التحررية الديمقراطية، لم يستطع العمال الصمود على هجوم الرجعية على نقاباتهم، فأغلقت تلك النقابات وهي لا تزال في سنتها الثانية أو الثالثة، وكان مصير الحزب الشيوعي عام 1937 مثل مصير النقابات. لذلك اقتصر نضالهم على حركات موضوعية منعزلة ذاتيا،

لم تمكنهم من توسيع حقوقهم حتى ولا على المحافظة على ما كانوا يربحونه في معاركهم مع أصحاب الأعمال، ولم يستطيعوا حتى الآن من جعل بنود قانون العمال محترمة من قبل أصحاب الأعمال –حكومية كانت أم أهلية– ويرجع الفضل في تنفيذ بعض مواد هذا القانون واستئناف العمال نشاطهم مجددا للمطالبة بتنفيذ قانون العمال والاعتراف بنقاباتهم الى نشاط حزبنا بين العمال منذ سنتين، أي بعد ان أعاد تنظيم صفوفه مجددا. إلا ان هذا النشاط لم يكن كافيا لإرغام أصحاب الأعمال والحكومة على احترام حقوق العمال القانونية والاعتراف لهم بنقاباتهم.

ان الظروف الناشئة عن هذه الحرب وظفت عشرات الألوف من الأيدي العاملة العاطلة وجذبت الى صفوفها البروليتاريا كثيرا من سكان الريف، وفي الوقت نفسه تحملت الطبقة العاملة العراقية النصيب الأوفر من المصاعب الناشئة عن الحرب، أو بالأحرى الناشئة عن احتكار التجار والمضاربين بضروريات المعيشة، فأثمان المواد الغذائية كالحنطة والرز والسمن ارتفعت من ١٢–١٨ ضعفا بينما مخصصات غلاء المعيشة –أي أجورهم –لم تزد على النصف الواحد إلا نادرا، وفي قضايا انفرادية.

فالعامل العراقي يجابه اليوم، أكثر من أي وقت مضى، حالات وظروفا سيئة شددتها ظروف الحرب العالمية واصلتها الى ابعد حدودها، فأجوره الزهيدة لا تكفي تغذية كافية ومسكن صحي، وظروف عمله غير الصحية وعدم الاعتناء بتطبيبه وإسعافه بالأدوية، وعدم حصوله على الإجازات (للأكثرية) وأيام الراحة، وعدم وجود ضمان اجتماعي يكفل له الخبز عند الشيخوخة أو لأيتامه في حالة موته مبكرا، ففقدانه حق النضال منظما في أحزاب سياسية ونقابات، كثرة الأمية بسبب اضطرار العمال والطبقات الفقيرة على إرسال أولادهم للعمل وهم لم يبلغوا العاشرة بعد، وفي حالات يعمل في سن السابعة الخ...

وليعلم رفاقنا العمال ان انتهاء الحرب قد لا تزيل عنهم هذه الظروف السيئة ما لم يناضلوا مستميتين من اجل تأليف نقاباتهم، واعتراف أصحاب الأعمال والسلطات بها، وإلا سوف يجابهون ظروفا تزيد من متاعبهم، ظروفا توقف كثير من الأعمال بعد الحرب، فيطرد عشرات الألوف من العمال العراقيين عن العمل، ويبقون عاطلين جائعين متشردين، فنضال العمال اليوم يضمن لهم كذلك تخلصهم من كارثة الغد أو على الأقل تخفيفها.

المحتكرون وخبز الشعب

أدى الاحتكار والمضاربة بالمواد الغذائية وبكافة ضروريات الحياة الى ارتفاع الأثمان بطفرات جنونية حتى بلغت أثمان الحنطة من خمسة الى ستة دنانير للوزنة الواحدة بعدما ثمنها سبعة دراهم، وبلغ ثمن كيس التمن 12 دينارا بعدما كان دينارا واحدا، ولم يقل ارتفاع أثمان المواد الغذائية الأخرى عن عشرة أضعاف أثمانها الأولى، أما الحاجيات الأخرى فقد بلغ بعضها خمسون ضعفا. كل هذا جرى تحت أنظار الحكومة، بمعرفتها وعلمها، وبمساهمة بعض كبار موظفيها ووزرائها والنواب الإقطاعيين والتجار في احتكار الضروريات أو الاشتراك مع التجار وفي تشجيع هؤلاء وحمايتهم.

وهكذا ربح المضاربون بخبز الناس الملايين، وتضاعف عدد المليونيرات وأصبحوا يعدون بالعشرات، لا في العاصمة فحسب، بل حتى في مدن ثانوية كالبصرة ومثيلاتها.

ان هذه الملايين جمعت وتكدست في أيدي فئة قليلة، لا نتيجة تضخم العملة العراقية،

كما يروق للتجار والمدافعين عنهم أن يبرروا تضخم ثروتهم، بل نتيجة توفيراتهم من اللقم التي عجز الشعب عن أكلها، وعن اللباس الذي عجز الناس عن شرائه وارتداده، وعن مطاردة توفيرات الطبقات الشغيلة في أيام السلم. لقد صودرت توفيرات وصودرت نفس الكمية التي كانوا يأكلونها قبل الحرب، وصودر لباسهم وأدويتهم وغرفة تجارة بغداد والمدافعين عن المضاربين وما انفكوا ينادون بالتضخم المالي، وبان ارتفاع الأسعار أمر طبيعي، وحاولوا دائما ولا يزالون الوقوف حتى في وجه الإجراءات البسيطة التي تريد أو تتظاهر الحكومة باتخاذها لحل أزمة الغلاء، ناسين اختفاء المواد المنوي معالجة توزيعها أو تسعيرها الى إجراءات الحكومة "غير الطبيعية" وهم يطلبون "حرية التجارة" أي حرية سرقة الناس تحت هذا الشعار، وقد كانت لديهم هذه الحرية منذ بداية هذه الحرب ولا تزال لهم هذه الحرية في حجز أهم ضروريات الحياة عن متناول أيدي السواد الأعظم من الشعب.

ان الشعب اليوم يقاسي صعوبة في الحصول على ضرورياته أكثر من أي وقت مضى، ويحل قضية الشاي والقهوة كليا أو جزئيا على أيدي إدارة التموين الجديدة (على أيدي البريطانيين) وتسعير بعض المواد لم يبدل قط في جوهر القضية بل عقّدها في بعض النواحي، إذ ان المواد المسعرة اختفت من السوق، ولم تؤخذ إجراءات ضد مهربيها –قد تؤخذ أحيانا ضد باعة المفرد لذر الرماد في العيون –فالحل الوحيد للتخفيف من أزمة الغذاء هو تأليف لجان شعبية من العمال وعامة الناس، تنتخب في المعامل الكبيرة والأصناف وعلى أساس المحلات وباستطاعة هذه اللجان ان تساعد إدارات التموين في مهمتها وفي مراقبة عدم تهريب الأموال، والكشف عن المخزونة ومراقبة تنفيذ احترام التسعيرات، هذا إذا كانت تريد إدارة التموين حقيقة القيام بمهمتها المفروض عليها إتمامها، وإلا فبإمكان هذه اللجان، ومن ورائها ناخبيها ان يضغطوا على الحكومة، على اتخاذ الإجراءات ضد المحتكرين من جهة، واستيراد الحاجيات الضرورية للاستهلاك، وبيعها مباشرة من قبل الحكومة.

سومهما بلغت الإجراءات والتسعيرات للحاجيات، فستبقى الشقّة واسعة بين أثمان الحاجيات، ودخل العمال والموظفين وأمثالهم، ومهما خفت التسعيرة للاثمان المحدودة، فستبقى نسبتها لا تقل عن 6 الى واحد (ستة أضعاف) أثمانها قبل الحرب، بينما مخصصات غلاء المعيشة لم تتجاوز الواحد الى واحد، أي الى الضعف، لذلك وجب على ذوي الدخل الثابت أن يناضلوا لأجل زيادة أجورهم، بنسبة زيادة أثمان الحاجيات، وان يعبروا هذا النضال ضمن النضال لحل مشكلة التموين، ولكن في مقدمة الطلبات، توزيع المواد الغذائية، الحنطة والتمن والدهن بالبطاقات، بأثمان تتناسب ودخلهم.

الرتل الخامس

لقد أفلست دعاية الرتل الخامس المحوري، وهبطت قيمة دول المحور الى الصفر، وذلك بفضل ضربات الجيش الأحمر، والكوارث التي انزلها بجيوش هتلر وأذنابه، وتحطيمه لجهاز ألمانيا العسكري، الذي كان يعتبر أقوى جهاز عسكري في العالم، وانتشار المعلومات عن النظام السوفيتي الذي أوجد الجيش الأحمر الباسل، وخلق شعوبا استطاعت أن تخلق هذا الجيش، وتمده بأحدث الأسلحة وبالمؤن، جيش مثقف ومدرب أحسن تدريب، وعلى رأسه قواد أتقنوا أحدث أساليب الحروب، شعب أوجد وتعدى خلال ربع قرن ما لم تستطع خلقه أمم أوربية عريقة في

مدنيتها خلال 200–300 سنة. لقد عرف العالم خلال هذه الحروب، هذا الشعب، وعرف الكثير من نظمه الاقتصادية في الصناعة والزراعة، ودرجة رقيه العلمي والثقافي والصحي، وتماسكه الأخوي ووحدته في الأهداف.

ويعود كذلك الفضل في إفلاس الدعاية النازية عندنا لضربات الجيوش الحليفة في أفريقيا وشمال أفريقيا، وايطاليا والغارات الماحقة على بلدان العدو وكذلك للجهود التي بذلتها الفئات المعادية للنازية في بلادنا، وللسلطات الحكومية التي كافحت عملاء الرتل الخامس، واعتقلت قسما كبيرا منهم، وأخيرا الى أخبار الأعمال الفظيعة التي ارتكبها النازيون في البلدان التي داستها أقدامهم.

فالدعاية النازية أفلست، ولم يبق لها قيمة لدى جماهير الشعب لكن هذا لا يعني ان الرتل الخامس قد قضي عليه. لا ينكر أن دول المحور استلت ظروف الحكم الاستبدادي، وظروف حياة الجماهير السيئة، فاستطاعت أن توجد لها أنصارا ودعاة كثيرين، أي أنها أوجدت لها قاعدة اجتماعية بين الشعب العراقي لتسهل لها أمر الاستيلاء على العراق الذي كانت تطمع فيه، لما فيه من ثروات طبيعية ولمركزه الاستراتيجي، منذ عشرات السنين، غير أن أنصار ألمانية النازية (والمحور على العموم) كانوا يتألفون من صنفين رئيسيين متميزين، أولهما المخدوعون الذين أصيبوا بحمم الدعايات النازية، وهؤلاء وحدهم من بين الناقمين على الوضع والكارهين للاستعمار البريطاني، والوطنيين "المتعصبين" و"العرب المتعصبين" والشباب المتحمسين "للحركة" والتظاهر، ومن الأميين، والأميين بالسياسة، وعبدة القوة، ومن بين أشباههم، فهذا الصنف قد تخلى بالحقيقة عن موقفه السابق من النازية، إلا أن أفكاره المغلوطة الناتجة عن الجهل، والظروف الموضوعية لا تزال الى حد بعيد موجودة وقابلة للاستغلال من قبل أي جهة رجعية. أما الصنف الثاني فهو الرتل الخامس بمعناه الصحيح، وهذا يتألف من أناس يحترفون مهنة الجاسوسية وخيانة الوطن، لقاء أجور أو مناصب عالية ومنافع شخصية. ومن الرجعيين ذوي المصالح الطبقية الذين يرون (نظرة خاطئة بالطبع) بالفلسفة النازية وبأسلوب حكمها وبالاتفاق معها وخدمتها وسيلة للمحافظة على مصالحهم الطبقية.

ان باستطاعتنا ان نقول ان الرتل الخامس هذا قد اندحر وأفلس سياسيا وتبدل موقف أكثريته تجاه الفاشية، إلا ان هذا الرتل لا يزال موجودا وبإمكانه ان يجدد نشاطه، وهو بالفعل يقوم بنشاط رجعي، وهذا الرتل بطبيعته مستعد الى خدمة أية جهة رجعية تطمن له رغباته، وقد تحول بالفعل قسم منه عن النازية الى استعمار آخر.

وهذا الرتل الذي يحتمي بالمراكز الحكومية ذات النفوذ، وبالنفوذ الحكومي، وبمركزه الاجتماعي، قد أضرّ بالحركة الوطنية التحررية، وأخّر نضال الشعب العراقي الى حد بعيد، وهو لا يزال عقبة في طريق نضالنا، وسنداً اجتماعياً يعتمد عليه هذا الاستعمار أو ذاك، فعلى الشعب العراقي، وعلى المدركين الغيورين في كافة طبقاته ان لا يغفلوا وجود هذا الرتل الخامس المخرب، وان يناضلوا ضده، ويبعدوا تأثيره ونفوذه عن الجماهير، وهذا لا يتم إلا عن طريق تطهير الجهاز الحكومي من أفراده، تطهير الصحافة منه، منع أفراده من تأليف الجمعيات والأحزاب والنوادي مهما كانت غايتها، أو بالأحرى مهما تظاهروا به في مناهجهم العلنية التي لا يعبرون فيها عن أهدافهم الحقيقية، وطردهم عن كادر التدريس، ومن جميع المؤسسات

التي لها صلة بالجماهير، واتخاذ الإجراءات الصارمة ضد كل نشاط فكري أو عملي يقومون به.

النفوذ الأجنبي في العراق

لقد استغلت بريطانيا العظمى فشل مغامرة رشيد عالي ورهطه (مايس 1941) والإتيان بساسة الحكم (معظمهم الآن في الحكم) الفارين، الى العراق وحمايتهم، وبتدهور وانحطاط نفوذ رجال الحكم الوطني الأدبي وضعفهم، وكره الجماهير لهم، استغلت هذه العوامل لفرض إرادتها المطلقة عليهم، كما استغلت ظروف الحرب التقدمية، الحرب ضد الدول الفاشية المعتدية، لتثبيت نفوذها السياسي والاقتصادي والأدبي، لقد عدل الدستور العراقي الذي حصر سلطات جديدة بالبلاط، لغرض تثبيت النفوذ البريطاني من الوجهة التشريعية، وازداد عدد البريطانيين في إدارات الدولة، وتكاد تكون إرادات التموين الآن تحت إدارتهم المطلقة. ويقوم ضباط سياسيون بريطانيون في الألوية الى جانب المتسولين، يدخلون في كل شيء، ويرى فيهم الاهلون، في المدن الصغيرة، السلطة العليا لفض المشاكل الكبيرة والصغيرة، وهؤلاء مرتبطون (رسميا) مباشرة بالسفارة البريطانية وبالجيش البريطاني.

ازداد نشاط دوائر الارتباط، وأسست لها شبكة واسعة من العملاء، منبثين في جميع فروع الإدارة الحكومية، والمدارس العالية، وجميع المؤسسات الأهلية، وبين جميع الطبقات، وفي الطرقات والمقاهي.

زيادة تثبيت نفوذهم الاقتصادي بسبب نظام الكوتا (حصة الاستيراد) الذي أوجدته ظروف الحرب الحالية، توسيع شروط احتكارهم لتمر البصرة، حتى أصبح لهم السيطرة على كل ما يصدر منه أو ينقل الى بلد آخر في العراق، سيطرتهم التامة على وسائط النقل البرية والمائية والجوية.

أما تعزيز مكانتهم الأدبية، فيسعون الى ذلك بوسائل الدعاية، وبذل الأموال واستغلال نفوذهم السياسي والاقتصادي. لقد اوجدوا "نوادي أخوان الحرية" وجمعوا فيها أناسا لا تهمهم سوى منافعهم الذاتية، ومصالحهم الطبقية، ومن أناس ديدنهم خدمة الأجنبي، فهذه الجمعية التي قيل عنها أنها أنشئت لمكافحة الدعاية النازية، تقوم هي بدورها بالدعاية لا للديمقراطية أو لجبهة الشعوب المتحدة، بل للدعاية للامبريالزم البريطاني، وبأعمال دكتاتورية يعود نفعها على المتنفذين فيها، هذا بالإضافة الى محاربتها للعناصر التقدمية، وموقف بعض أعضائها الصريح ضد الاتحاد السوفياتي ولا يفوتنا ان نذكر بان فرع نادي " أخوان الحرية " في النجف كان يشجع الناس على تطبير رؤوسهم في موسم التعازي، ووزع عليهم الأكفان مجانا. والى جانب نوادي أخوان الحرية يوجد في كثير من المدن "مكاتب إرشاد" تدار من قبل دائرة العلاقات.

ولقد أوجدت في بغداد والبصرة معاهد تدريس اللغة الانكليزية، وفيها قاعات للمحاضرات تعرف بـ"معهد الثقافة البريطاني" وهذه تدار من قبل أشخاص لهم دهاء وخبرة ومعرفة بأحوال البلاد وبأشخاصها، يتصلون بعدد كبير من الناس، خصوصا بالمثقفين.

ان هذه المعاهد معاهد بشرية، ورجالها مبشرون من طراز جديد، أي أنهم يهدون الناس الى " أفكار سياسية جديدة" لا الى دين جديد، كما هو شأن الإرساليات الدينية.

وتنتشر المجلات والكراسات بمقادير كبيرة، منها النفير ومجلة أخبار الحرب، وهذه تهتم بالدعاية لبريطانيا ولشخصيات حكام البلاد العربية كشيخ البحرين والكويت وغيرهم،

وبالمنائر والصيام وأنواع الفطورات في رمضان في السودان والكويت وغيرهما، أكثر مما تهتم بالدعاية لجبهة الأمم المتحدة أو بالدعاية للديمقراطية والتقدم. كما أن لدائرة العلاقات العامة صلة وارتباط وثيق مع الصحافة المحلية يعد معظم أصحابها بالمساعدة المالية، وباعتماد هذه الصحف على الورق الذي تحتاجه، إذ أن ورق الجرائد اليوم تمونه الجهات البريطانية، وتمونه لمن تريد فقط، وبالنسبة التي تحددها، ولهم على هذه الصحف وما ينشر على العموم من الكتب، نفوذ غير مباشر، عن طريق نفوذهم على رقابة الصحف في مديرية الدعاية العامة.

ترون مما تقدم أيها الرفاق، ان بريطانيا العظمى، مستغلة ظروف هذه الحرب، تقوية وتثبيت نفوذها في العراق، سياسيا واقتصاديا وأدبيا، متبعة لغرضها هذا أساليب غير شريفة كاستغلالها ضعف الحكومة الوطنية التي ليس لها في قلوب الشعب العراقي اقل احترام أو حب وكتضييق الخناق الاقتصادي، واعتمادها على الدعايات الفارغة، والجاسوسية المفضوحة، وشراء أشخاص يعرفهم اليوم –أو سيعرفهم غدا– الشعب العراقي أداة لتمشية السياسة الاستعمارية في العرق، مصبوغة بألوان "الديمقراطية" و"التقدمية" و"الوطنية" الزاهية.

قد يقول البعض ان لبريطانيا العظمى الديمقراطية إحدى دعائم جبهة الأمم المتحدة، ضد الفاشية والطغيان، لا يمكن ان تنسب إليها هذه الأعمال التي تناقض ما تحارب من اجله، وتناقض تصريحها الأطلسي، ومقررات مؤتمرات شمال أفريقيا وموسكو وطهران، قد يكون ممثلوها في العراق هم المسؤولون عن هذه التصرفات –السياسية –الخرقاء المنكرة.

إننا نتمنى ان يكون قول هذا البعض صحيحا، ولكن ما بال الحكومة البريطانية تنتدب لها سفيرا في العراق، تدرج الى هذا المركز الخطير في الاشتغال كمستشار في وزارة داخلية العراق، واكتسب ثقافة السياسة –الإدارية –في مدرسة الاختبار الاستعماري، ان السيد كورنواليس قضى حياته وهو يعمل في خدمة الاستعمار عندنا، ويتقن الأساليب الاستعمارية، وقد تعودها، ولا يستطيع ان يسلك إلا على ما تعود.

ان الشعب العراقي الذي كره الأساليب القديمة في حكمه الوطني –الاستعماري، قبل حرب النازية، ويكرهها الآن، لا يرضى الاستمرار عليها، فكيف يرضى بتثبيتها. ان الشعب العراقي يأمل من وراء هذه الحرب ان يحيى حياة حرة سعيدة، ليساهم مع شعوب العالم الأخرى، في بناء سلم عالمي جديد، قائم على حقه وحق غيره في تقرير مصيره. فعلى الحليفة بريطانيا ان أرادت حقيقة صداقة العراقيين، ان تهيئ لهم الظروف التي تمكنهم من أهدافهم، عليها منذ الآن ان تستدعي من بلادنا السيد كورنواليس وحاشيته، الذين لا يمكننا ان ننظر إليهم إلا بعين الريبة، لان ماضي خدماتهم وحاضرها مرتبط بسني ألامنا وحرماننا، عليها ان لا تفرض علينا حكومات "وطنية" ليس لنا رأي في انتخابها، عليها ان ترخي حصارها الاقتصادي عنا، وان توقف نهبها لثرواتنا ولجهود شعبنا، عليها ان ترفع هذه الشبكة الجاسوسية التي نشرتها في جميع أنحاء قطرنا.

هذا هو الحل الوحيد لكسب صداقة شعبنا، ولتبادل مصلحة قطرينا، ولبناء حلف عراقي بريطاني، على أسس متينة، يعود نفعها لشعبنا وللشعب البريطاني النبيل.

❖❖❖

الحكومة الحاضرة

سياستنا الخارجية وموقفها من بريطانيا

بيّنا آنفا كيف ان الحكومات العراقية المتعاقبة سارت في سياستها الخارجية كذنب

لبريطانيا العظمى، وأداة لتنفيذ خططها في البلدان العربية والأقطار المجاورة، والآن لا نأتي بشيء جديد إذ نقول ان الحكومة الحالية هي أكثر الحكومات العراقية انقيادا للامبريالزم البريطاني، وليس بين أعضائها من لا يقول "نعم" لم يمله بلاده، فنرى حكومتنا التي تعلن الحرب على دول المحور (بالبريطاني فقط) وتعترف بحكومة بولندا، لم تتقدم حتى الآن بإيجاد علاقات دبلوماسية مع دولة الاتحاد السوفياتي، القطب الجبار في جبهة الأمم المتحدة، ولا اعترفت بلجنة التحرير الفرنسية، مع العلم أن مصلحة العرب عامة والعراق خاصة تفرض علينا الإسراع بإيجاد علاقات لنا مع دولتين ديمقراطيتين لهما مكانتهما الدولية في الشرق القريب منا، ويهمنا نحن الذين نريد الاستفادة من تصريحات مؤتمرات الأطلسي وموسكو وطهران، ويهمنا حفظ السلم في هذه البقعة من الكرة الأرضية اعتراف أقوى دولة (والآن 16 دولة) عسكريا واقتصاديا، ليس فقط في آسيا وأوربا، بل وفي العالم، فهذه السياسة المغلوطة –سياسة تجاهل وجود هذه الدول الحرة وغيرها من الدول الديمقراطية هي، من الواضح، ليست في مصلحتنا، والمفروض على الحكومة ان تسيّر سياستها وفق مصلحتنا، وهي كذلك ليست في مصلحة دول الأمم المتحدة، وان مثل هذه السياسة لا ترضي سوى البيروقراطية الاستعمارية في بلادنا. فالشعب العراقي يريد ويلح، على لسان المخلصين من أبنائه عقد اتفاقية دبلوماسية، وأكثر من هذا، عقد اتفاقية ود وصداقة مع دول الاتحاد السوفياتي والحكومة العراقية تعد وتصدر التصريحات وتنشر الإشاعات حول قرب التبادل الدبلوماسي، ولكن شيئا من هذا لم يجر، وكل ما في الأمر تسويف وخدع.

وهذا التكتل الذي يسمى أحيانا بالوحدة وبالاتحاد والحلف العربي، والذي تكتنف محادثاته الانفرادية والمجتمعة الغموض والشكوك، اتحاد أية أقسام من العرب هو؟ وضد من هذا الاتحاد؟ وفي صالح من هذا الاتحاد؟ فإذا كان في صالح الشعوب العربية، فلماذا لم تكشف أغراضه ومحادثاته؟ ولماذا لا تبحث أهدافه في برلمانات الأمم العربية؟ ان كل ما هو ظاهر من هذا الاتحاد، هو ضم أقطار عربية جديدة الى الأقطار العربية المرتبطة والتابعة لبريطانيا. هذا هو الظاهر من مهامسات ومشاورات ومحادثات الاتحاد العربي، وهكذا يفهمه حتى رجل الشارع العراقي الذي لا يهتم كثيرا في السياسة.

ان هذه السياسة (الخارجية) التي تسير عليها الحكومة الحاضرة أو بالأحرى، التي تسيرها بريطانيا العظمى، لا يمكن ان تنتج لنا سوى المآسي، وتبعدنا عن أهدافنا، فعلى كافة المخلصين من هذا الشعب، وخصوصا على طليعته الواعية ان لا تقف موقف المنتظر، من أمور كهذه، يتعلق علينا –الى حد بعيد– مصيرنا ومصير الشعوب العربية والأقطار المجاورة لنا.

وكان لحكومة نوري السعيد الفضل الكبير في تثبيت وتوسيع النفوذ الاستعماري في البلاد، فتعديل الدستور جاء مثبتا لهذا النفوذ، وإعلانها في خطاب العرش عن استقلال الموظفين العراقيين قوانين الدولة، لمنافعهم الخاصة، أنتج تسليم إدارة التموين الى موظفين بريطانيين، إعطائها احتكار السكر وغيره الى (شركات بريطانية)، توسيع نطاق احتكار تمور البصرة من قبل الشركة البريطانية المحتكرة، تكثير عدد الموظفين البريطانيين في دوائر الدولة، السماح لضباط الانكليز ولموظفي السفارة وممثليها في الألوية من التدخل بصورة مباشرة في شؤون الدولة، السماح لبريطانيا بنشر هذه الشبكة الواسعة

من العملاء والجواسيس، في طول البلاد وعرضها، والسكوت عن موظفيها المستخدمين في هذه المصلحة، وإحلالهم مكانا ممتازا، كل هذه الأمور وغيرها تجعل تصرفات هذه الحكومة، تصرفات لا تتفق والسيادة الوطنية التي نص عليها الدستور العراقي، والتي اعترفت بها المعاهدة الانكليزية –العراقية.

حكومتنا في حرب مع الفاشية

وحكومتنا منظّمة بحكم إعلان حربها على النازية، الى جبهة الأمم الديمقراطية، فماذا يعني كل ذلك؟ هل كان من المنتظر ان ترسل جيشا الى الميدان للقتال؟ لم ير في خلد احد ذلك، فاعلان الحرب على النازية –الفاشية، والانضمام الى جبهة الأمم الديمقراطية معناه –خصوصا بالنسبة لنا –مكافحة النازية كنظرية فلسفية –سياسية –اجتماعية رجعية متطرفة في أهدافها الاستعمارية، وغمط ميزات الشعوب، كبشر لهم حق في الحياة والحرية. فإعلاننا الحرب على النازية معناه إعلاننا الحرب على الأفكار النازية، المناقضة لأهدافنا الوطنية ولعزتنا القومية، ومعناه إعلان الحرب على ناقلي ومروجي تلك الأفكار في قطرنا العزيز وبين مواطني شعبنا الكريم، معناه محاربة الرتل الخامس وقطع دابره، فالإجراءات التي اتخذت لتأدية واجبنا كدولة محاربة لم تضرب في جذور القضية، ان محاربة النازية والعوامل المساعدة على تنمية الأفكار عند الجماهير، واقتصرت الإجراءات على اعتقال بعض مروجي تلك الأفكار المفضوحين، لكنها لم تلبث ان أطلقت سراحهم، وسمحت لهم مجددا بالعودة الى نشاطهم القديم، وان كان نشاطهم اليوم يختلف بالشكل عن القديم، فهو بالطبع بجوهره رجعي مشابه للأول.

ومحاربة النازية، معناه ضرب الجذور الاجتماعية التي سهلت لجواسيس المحور تسميم أفكار جمهرة كبيرة من هذا الشعب، وهذه الجذور كائنة في التذمر العام الشامل لدى طبقات الشعب العراقي، تذمرهم من فقدان حقوقهم الدستورية، تذمرهم من ظروفهم المعيشية السيئة، تذمرهم من ظروفهم الاجتماعية والصحية عامة. كان يجب ان يزال هذا التذمر بنشر الديمقراطية أي بتطبيقها وبمعالجة مشاكلنا، هذا هم معنى إعلاننا الحرب على النازية –الفاشية، وانضمامنا الى الجبهة الديمقراطية، فهل حققت حكومة نوري السعيد شيئا من ذلك؟ طبعا لا .... إنها على العكس، استغلت ظروف الحرب لتشديد الخناق على الشعب وعلى حرياته، وساعدت على نهب المحتكرين والمضاربين له والاعتناء المفرط على حسابه، إنها شجعت موظفيها على ان يقاسموا المضاربين.

فساد الجهاز الحكومي

ان الجهاز الحكومي الحالي بيروقراطي متفسخ من القمة حتى الأسفل، جهاز لم يفكر أعضاؤه يوما من الأيام بأنهم وجدوا لخدمة الشعب الذي يعيلهم بالضرائب التي يدفعها لمرتباتهم، بل حسبوا أنفسهم أصحاب حق مشروع في استبزاز أموال الشعب، بشكل ضرائب وسرقات ورشوات، وإذلال مواطنيهم. فالشرطي والموظف الصغير والكبير المكلفين بتمشية أشغال الناس، والمدراء والوزراء، كل هؤلاء أصبحوا يأخذون الرشوة على المكشوف، ويشاركون اللصوص والمحتكرين، ولهم أسهم وشركات تجارية، يستغلون مراكزهم الحكومية لأرباحها، فمن يريد دفتر نفوس، عليه أن يدفع رشوة 250-500 فلس، ومن يريد التوظف عليه أن يدفع راتب شهر أو أكثر، وحتى دخول بعض المعاهد العالية، كالطب، يقتضي دفع عشرات ومئات الدنانير، هذا في العاصمة أما في الأرياف، في النواحي، فحدث ولا حرج فالتموين، السكر وغيره، لا يصل الناس نصفه وأحيانا كله، ويكفي لشخص يتوظف كمتصرف أو

مدير تموين لمدة سنة، أن يصبح له قصر وآلاف الدنانير، وان يكون له أراضي وما أشبه، ولا يسعنا المجال هنا لتعداد مساوئ الجهاز الحكومي، هذا الانحطاط الذي وصل إليه، واقل ما يقال عنه انه قد فاق في تفسخه جهاز الدولة العثمانية على عهد " عبد الحميد الطاغية المستبد "، مع الفرق أن هذا الجهاز قائم على ظلم منظم، وسرقات منظمة ورشوات باهظة.

ولقد كشفت جريدتنا القاعدة الشيء الكثير عن تصرفات رجال هذه الدولة الشائنة، الذين لم يعد يخجلهم شيء، ولم يعد يخيفهم شيء، طالما قد كسبوا رضا الخليفة، وقد بلغ الاستهتار بهم الى فساد جهازهم الحكومي على الملأ في عدة مناسبات، دون ان يهتموا بإصلاحه –وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر –وهل في مصلحة الاستعمار ان يكون موظفينا غير ما هم عليه من فساد، لاهية بما لديهم من قشور، ليتسنى للاستعمار تمشية مصالحه وإدامتها؟ أو على الأقل هكذا تعود ان يفكر.

ففساد نظامنا الحكومي ورجاله نتيجة لوجود الاستعمار في بلادنا.

موقف الحكومة العدائي من القوى التقدمية

ان حكام العراق الذين تعودوا النظر الى كل ما هو ديمقراطي وتقدمي باعتباره من الأمور التي تهدد سلطانهم، استمروا في وجهة نظرهم هذه، حتى بعد إعلانهم الحرب على النازية، وانضمامهم الى جبهة الأمم المتحدة الحرة، ولم يتغير شيء في جهازهم القمعي –الشرطة السرية –المخصصة لمراقبة ومطاردة واضطهاد العناصر التقدمية، وطنية كانت أم ديمقراطية أم شيوعية، فالتحقيقات الجنائية سائرة اليوم كما كانت على عهد ما قبل الحرب –مع بعض الفارق بسبب الظروف العالمية –بالرغم من الادعاءات والتبجحات بالديمقراطية.

لقد رأينا هذه الشرطة تغير في مناسبات عديدة على مساكن " المشبوهين " وتعتقلهم لأيام وأسابيع، ورأينا عمالا يرسلون الى معسكرات الاعتقال، بدون ما عمل قاموا به سوى وجود –كما ادعت الشرطة –جريدة سرية في حوزة بعضهم، ورأينا الشرطة في الصيف الماضي تغير على عشرات المساكن وتعتقل العشرات، ثم تبدأ بمحاكمات منها أمام محكمة عسكرية ومنها أمام محكمة شرطة، والغريب في الأمر ادعاء الحكومة أنها لم تفعل ذلك بقصد مطاردة الشيوعيين، أو محاربة الشيوعية، بل الاستيلاء على أدوات طباعتهم وحملهم على ترك نشاطهم. وهذا يعني أنها لا تريد مطاردتهم بل حملهم على ترك الشيوعية. وقد نجحت مع البعض على حملهم توقيع استنكار للشيوعية، وأكثر من هذا على كره الموقّع للشيوعية، وهكذا نرى ان الشرطة أمام المحكمة العسكرية لم توجه أي تهمة ما بالشيوعية، وأمام محكمتها (محكمة مدير الشرطة العام) اعترفت بأنها أرسلت على فلان فوقع لها بحل منظمته وفلان كذلك وقع لها، إلا ان القاعدة –حسب قول ممثل الشرطة في المحكمة –استمرت رغم التوقيفات على الصدور، ومن هذا نرى ان الحكومة العراقية لن تغير موقفها السابق من الشيوعية والشيوعيين، وهي مجدّة في عزمها على حمل الشيوعيين على ترك الشيوعية، وسيشجعها نجاحها هذا على الاستمرار في حمل أكثر وأكثر من الشيوعيين، إلا ان المشكلة الوحيدة التي جابهتها هي عدم تمييزها بين الحنظل والليمون ولا بين "الشيوعية الأمامية" و"الشيوعية الشرارية الجديدة" أو بين "الشيوعية القاعدية الواعية" أو "الشيوعية الوزارية" فهذه الشيوعيات الكثيرة المتشابهة بالاسم حيّرت فكر محي

الدين معاون التحقيقات الجنائية ورمته في ورطة من أمر جريدتنا وقادة حزبنا الذين لم يستطع إرغامهم على التوقيع بالتخلي وترك ميدان العمل. أن محي الدين معذور ومشكور لعدم تمييزه هذا الخليط من الشيوعيات، فالشيء الوحيد الذي عرفه هو انه لم يستطع التوصل الى جريدتنا بسوء.

ان ادعاء الحكومة بعد مطاردتها للشيوعية كذب واضح لأنها لم تكتف بإلقاء القبض على شيوعيين، بل أنها ألقت القبض على أناس لم يقترفوا "جريمة شيوعية" وكل ما في الأمر وقعوا على طلب احتفال بانتصارات جيوش الحلفاء، ومنها الجيش الأحمر، وألقت القبض على نساء وأناس لا شأن لهم بالسياسة، كرهائن بدل شخص لم يعثروا عليه، وأنهم ارتكبوا حماقات كثيرة، حتى أنهم ارهبوا وارهبوا كامل بك الجادرجي صاحب جريدة "صوت الأهالي" فلجأ الى نشر كلمة في جريدته يستنكر فيها الأعمال الشيوعية، ويطلب من الحكومة معاقبة الشيوعية.

ان الحكومة العراقية تريد من الشيوعيين ان يغلقوا صحيفتهم ويسرحوا أعضاءهم، ولا تريد منهم سوى ذلك لا أكثر ولا اقل، وتعدهم بأنها ستنسى كونهم شيوعيين إذا هم أنفسهم نسوا ذلك، ولكن ما بالها حكمت على عبد اللّه مسعود بعد ان لبى جميع طلباتها.

إنها أرادت من الشيوعيين ما أرادته من قبل من الديمقراطيين والعمال والوطنيين، اتركوا صحفكم وإضرابكم وسموا أنفسكم بالأسماء التي تحلوا لكم، وعلى هذه القاعدة تمنعت من الموافقة بتأليف الأحزاب والنقابات، ورفضت السماح بإصدار الصحف الى الديمقراطيين والتقدميين والعمال، وسمحت لهم بان يسموا أنفسهم بما يشاؤون دون ان تحاسبهم على أسمائهم إلا في ظروف عدم تمييزهم.

تذكرون أيها الرفاق، تصريحات الحكومة –في خطاب العرش وغيره –عن عزمها فسح المجال للأحزاب

الخ... معترفة بأنه لا ديمقراطية بدون أحزاب، ولكنها ماطلت ولا تزال تماطل عندما تقدم شبان ديمقراطيون يطلبون السماح بتأليف حزبهم، وعندما تقدم عمال بضعة صناعات يطلبون إفساح المجال بتأليف نقابات لهم.

ان تصريحات الحكومة لا تتفق وأعمالها، وخطبها ليست سوى أفانين دعاية.

هذا هو تقديرنا لهذه الحكومة ببناء من اختيار حركتنا، ومن صميم تجاربنا والواقع. فماذا يجب ان يكون موقفنا منها في هذه الظروف الراهنة؟

ان موقفنا من الحكومة العراقية القائمة هو النضال من اجل تحقيق مطالب شعبنا التي سنبينها في الموضوع التالي.

❖❖❖

وطن حر وشعب سعيد

ان مطالب شعبنا التي تقدم بها حزبنا، وأعلن عنها في جريدتنا " القاعدة " منذ عددها الخامس، تستهدف بمجموعها، حرية وطننا وسعادة شعبنا، لذلك لا أجد بأسا من ان يستعير أو يشارك شعبنا العراقي شعار الحزب الشيوعي (السوري) الشقيق " وطن حر وشعب سعيد " ويناضل من اجل تحقيقه بالمطالب التالية:

1- ان نناضل من اجل سيادتنا الوطنية، لجعل استقلال قطرنا حقيقة لا لفظاً، لتخليص شعبنا من استثمار الشركات الكبيرة الفظيع.

2- نناضل لإيجاد حكومة تعمل لمصلحة الشعب، وجهاز حكومي ديمقراطي لائق، ونظام ديمقراطي صحيح في نظام حكومتنا، برلمان ومجالس بلدية ينتخبها الشعب وتمثله حقا، إعادة الدستور العراقي أي، تطبيق بنوده المحبوسة المتعلقة بحقوق الشعب

الديمقراطية، وإزالة القوانين والمراسيم والتعديلات التي لا تتفق وروح الدستور الذي كسبه الشعب العراقي نتيجة ثورته عام 1921 - 20

3- نناضل لحل مشكلة التموين، بالضرب على أيدي المضاربين والمحتكرين، بتوفير المواد الضرورية لدى الشعب وتمكينه من شرائها بأثمان تتناسب ودخله.

4- نناضل من اجل تنمية اقتصادنا الوطني، من اجل تطوير بلادنا الصناعي، من اجل استثمار ثروتنا الطبيعية لهذا الغرض، ولغرض سعادة ورفاه شعبنا، نناضل من اجل رفع مستوى الإنتاج الزراعي بترقية الزراعة ومحاربة العوامل التي تأخر تطورها.

8- نناضل من اجل إيقاف نهب أراضي الفلاحين والملاك الصغار والمحافظة على ملكيات التعبة، وإيقاف نهب الأراضي والمقاطعات الأميرية من قبل المتنفذين، وإيقاف إعطاء اللزمات الكبيرة –المقاطعات –الى الشيوخ المتنفذين، وتوزيع هذه الأراضي بقطع صغيرة على الفلاحين مباشرة بدون بدل إيجار، من اجل مساعدة الفلاحين وتخليصهم من نهب السراكيل والمرابين، منحهم القروض الحكومية، نقدية وبذور، رفع الضرائب والرسوم و " الخاوات " والإيجارات غير العادلة واللاقانونية عنهم، تلك التي يفرضها عليهم الشيوخ والسراكيل، من اجل تخليص الفلاحين من سرقات التجار لهم، وذلك بإنشاء جمعيات تعاونية لهم.

6- نناضل من اجل الدفاع عن مصالح العمال، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية، في سبيل تنظيمهم ونقاباتهم، من اجل سن قوانين تحمي مصالحهم، من اجل احترام وتنفيذ قانون العمال المعدل رقم (72) وذيوله، في سبيل توسيع هذه الحقوق ومن اجل ضمان اجتماعي يقيهم عوز البطالة والشيخوخة، ونناضل ضد تصرفات أصحاب الأعمال الكيفية واستبداد السلطات بهم.

7-نناضل من اجل نظام ضرائب يعفي ذوي الدخل الصغير من أعبائها، تخفيف الضرائب غير المباشرة عن كاهل الشعب، إعفاء الحرفيين وأصحاب الحوانيت من رسوم البلدية.

8-توسيع نطاق التعليم لأبناء الشعب من كلا الجنسين وبدون تمييز في القومية والمركز الاجتماعي، ونناضل من اجل ترقية الحياة الاجتماعية والرياضية عند الشعب عن طريق النوادي والجمعيات العلمية والرياضية الخ...

9نناضل (للدفاع) عن المرأة كمواطنة عاقلة ومساواتها بالرجل في الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

10-نناضل في سبيل إيجاد مساواة حقيقية في الحقوق للأقلية القومية الكردية مع مراعاة حقوق الجماعات القومية والجنسية الصغيرة كالتركمان والأرمن واليزيدية.

11-من اجل الاعتناء بالجندي العراقي المكلف، بصحته وتغذيته وتثقيفه وتربيته التربية الديمقراطية من اجل إلغاء الأساليب غير الإنسانية المتبعة في الجيش، كالضرب والسجن، ونناضل في سبيل جيش يخدم مصالح الشعب ويدافع عن استقلاله الوطني.

12من اجل الصداقة والتعاون السياسي والثقافي مع الشعوب الديمقراطية –لتأسيس علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي.

هذا هو ميثاقنا الوطني، هذا هو دستور مرحلتنا الحالية، لكل مواطن شريف بحب وطنه وشعبه، ومن اجل هذا ندعو كل مواطن شريف الى النضال لتحقيقه.

المصدر: جريدة القاعدة –لسان حال الحزب الشيوعي العراقي، السنة الثانية، العدد 3-16 آذار/ 1944

نصوص مترجمة

أي اشتراكية في القرن الحادي والعشرين؟

رؤية حزب اليسار الالماني ❖

ترجمة: رشيد غويلب

أقرت المرحلة الثانية للمؤتمر الثاني لحزب اليسار الألماني في الثالث والعشرين من تشرين الأول الماضي البرنامج الجديد للحزب بنسبة 96.9 ٪ من أصوات الناخبين، وصادق أعضاء الحزب في منتصف كانون الأول 2011 في استفتاء حزبي عام عليه بعد أن حصل البرنامج على 95.82٪ من أصوات المساهمين في الاستفتاء. نقدم للقراء ترجمة الفصل، الثالث من البرنامج، الخاص بتصور الحزب عن الاشتراكية في القرن الحادي والعشرين.

الرأسمالية ليست نهاية التاريخ، بل مرحلة في تطور البشرية شهدت الوصول إلى تنوير هائل، ونموهائل في القوى المنتجة البشرية، ولكنها جلبت أيضا الحرمان الكبير والإبادة الجماعية وحروب لا يمكن تصورها، واليوم أصبحت الرأسمالية نظاما عالميا يصعد من استغلاله للناس والطبيعة في إطار أزمة عالمية تهدد الحضارة الإنسانية. اننا مقتنعون بان تجاوز السيناريوهات المتعددة للازمة غير ممكن، إلا من خلال تجاوز نظام الاستغلال الرأسمالي، وتغيير نمط الإنتاج والحياة عبر تضامن عالمي، ومن خلال تجاوز التعارض بين الجنسين، ودمقرطة كل مجالات الحياة، وتغير العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وسيصبح تجاوز الرأسمالية ممكنا، اذا تمكنا من كسب الأغلبية من اجل الانتقال إلى نمط آخر للعمل والعيش.

لقد فشلت المحاولة الكبرى، في القرن العشرين، لبناء نظام ليس رأسماليا بسبب نقص في الديمقراطية، والمركزية الشديدة وعدم الكفاءة الاقتصادية، وجرى، في ظل تحريف فكرة الاشتراكية، ارتكاب الجرائم، وهذا ما يلزمنا بتجديد فهمنا للاشتراكية. نسعى الى اشتراكية ديمقراطية قادرة على استيعاب التحديات الاجتماعية العالمية

والفرص المتاحة في القرن الحادي والعشرين.

المساواة بلا حرية، كما قالت روزا لوكسمبورغ، تنتهي بالقمع، والحرية بلا مساواة تؤدي للاستغلال. ولهذا فنحن نسعى إلى مجتمع اشتراكي يقرر به كل إنسان حياته بحرية ويعيشها سوية، في مجتمع تضامني، مع الآخرين.

إن تجاوز هيمنة الملكية الرأسمالية في الاقتصاد وبناء دولة الرفاه والقانون تمثل الأسس الأهم لذلك. يجب أن يتقاسم جميع الناس امتلاك الثروة، ويتمتعوا، على قدم المساواة، بالمساواة الاجتماعية في ظل شروط حياة حرة متلازمة مع دمقرطة نواحي الحياة كافة، فالاشتراكية والديمقراطية لا ينفصلان. نحن نريد نوعاً آخر من التنمية الاقتصادية وتقدماً علمياً- تكنولوجياً، والحفاظ على البيئة الطبيعية، لكي نورث الاجيال القادمة عالماً أفضل. نريد الوحدة بين دولة القانون ودولة الرفاه، ونناضل من اجل نظام عالمي يسوده السلام والتضامن والعدالة، وبهذا نستطيع خلق حياة جيدة تعمها الديمقراطية الاجتماعية وتتسع فيها باستمرار.

اننا لا نناضل بمفردنا من اجل بديل مجتمعي لنمط الإنتاج والحياة الرأسمالية، فقوى وحركات مختلفة مقتنعة ان عالماً آخر ممكناً: عالم بلا حرب واستغلال وبلا هيمنة أجنبية وتدمير للبيئة. هم يبحثون كما هو الحال في أمريكا اللاتينية عن طرق جديدة للوصول إلى تطور غير رأسمالي ويفرضون علينا ليس التضامن معهم فقط، وإنما استعدادنا للتعلم منهم. في بلدان الجنوب تتطور أشكال جديدة للملكية والتعاون وتطرح مساهمات جديدة وهامة ضد الليبرالية الجديدة، ويتابع حزب اليسار باهتمام كبير نموذج بلدان * * ALBA التي اتفقت على تعاون اقتصادي تضامني.

إن المشاكل المعقدة والظروف القائمة تقف حائلا أمام المطالبة بالدور القيادي لهذا البلد أو ذاك، أو تلك الحركة أو لحزب بمفرده.

هنالك اليوم إمكانية لتوفير الضمان الاجتماعي والكرامة لكل إنسان، ويمكن تجاوز الحرمان والفاقة في جميع أنحاء العالم.

نحن نسعى إلى توزيع جديد وعادل للعمل المأجور، وغيره من الأعمال المجتمعية الأخرى. نريد مشاركة كل الناس في عملية تنظيم العمل والتنمية الاجتماعية على قدم المساواة، وفي قيام ثقافة ديمقراطية وتأثير في عملية صنع القرار. وبهذا الخصوص نناضل من أجل نظام تعليم عام لا يستثني احدا، بل يجعل الجميع في وضع يمكنهم من اختيار مساراتهم المهنية والحياتية بأنفسهم، نظام تعليم لا يقتصر على جعل الناس مجبرين على الانسجام مع الهياكل المحددة سلفا. ونظام التعليم هذا يجب ان يجعل الناس قادرين على تغيير العالم، وتطوير وتنفيذ الإصلاح الاجتماعي والبيئي والديمقراطي. نريد ان نجعل التضامن والمشاركة والتعلم البحثي مساراً رئيسياً ثابتاً في نظام التعليم، وبهذا نخلق الأرضية للتغييرات الاجتماعية المشتركة. نريد تجاوز المجتمع الطبقي، فالنظام الجديد والأفضل هو الذي يسعى نحو الاشتراكية الديمقراطية، هو مجتمع متحرر من الحواجز الطبقية.

يهدف اليسار إلى جعل الناس، وبغض النظر في أي مكان من الأرض يعيشون، يتمكنون من العيش بحرية وبكرامة وتضامن، وينطلق هذا الهدف من عالمية حقوق الإنسان وعدم إمكانية تجزئتها، تأسيسا على مقولة: لأني إنسان. يرى ماركس في (البيان الشيوعي): "سيحل محل المجتمع البرجوازي

بطبقاته وتناقضاته الطبقية رابطة يكون فيها تطور كل فرد شرط لتطور الجميع". هذه الرؤية تحقق القضاء على الحروب وتوقف تدمير البيئة والموارد الطبيعية، فضلا عن إحراز تقدم في القضاء على الاستغلال والاضطهاد والتمييز والفقر والجوع والتخلف. ويصبح ذلك ممكنا فقط من خلال دمقرطة شاملة لجميع مناحي الحياة، إنها يوتيبيا وواقعية في آن. ان هدفنا هو اشتراكية ديمقراطية للقرن الحادي والعشرين، وهذا يعني مجتمعاً بلا تسلط يستطيع جميع الناس العيش فيه بكرامة.

إن الاشتراكية الديمقراطية تركز على قيم الحرية والمساواة والتضامن والسلام والتنمية الاجتماعية –الايكولوجية المستدامة، وهذا يحدد الوسائل على طريق ديمقراطي –اشتراكي. الاشتراكية الديمقراطية تعزز إمكانيات تطوير التنمية الحضارية للمجتمع وهدفها تغيرات أساسية لمجتمع الملكية المتسلطة وعلاقات السلطة السائدة. هذه التغيرات تربط الاحتجاج بالمقاومة، وتعمل من اجل تحسين الأوضاع الاجتماعية وتطبيق مشاريع الإصلاح اليسارية في الظروف المعينة وتتجاوز حدود الرأسمالية إلى عملية تحول اجتماعي كبرى ستحدد ملامح القرن الحادي والعشرين تتواصل مع التطورات الاقتصادية التي تتجاوز اليوم أشكال الإنتاج الرأسمالية.

يناضل حزب اليسار من اجل عملية تحول اجتماعي كبير لإعادة التنظيم باتجاه الاشتراكية الديمقراطية في القرن الحادي والعشرين، وهذه العملية مطبوعة بالعديد من الخطوات الإصلاحية الكبيرة والصغيرة والتحولات والانعطافات ذات العمق الثوري، والاشتراكية الديمقراطية هي دوما حركة ديمقراطية لتحرير الناس من كل أشكال العلاقات القمعية.

الملكية والديمقراطية الاقتصادية

كانت وستبقى مسألة الملكية مسألة مقررة في التغيرات الاجتماعية، فالسلطة الاقتصادية تعني أيضا سلطة سياسية، ومادامت قرارات الشركات الكبرى تركز على الرغبة في الربحية بدلا من المصلحة العامة، ستبقى السياسة قابلة للابتزاز وستبقى الديمقراطية متآكلة. إن مجتمع يتبنى العدالة الاجتماعية والسلم ومراعاة البيئة وديمقراطي يتطلب الضغط على السلطة الاقتصادية، لأولئك الذين يربحون من الفقر والاستغلال وتدمير البيئة والتسلح والحروب، ويتطلب تجاوز تلك السلطة.

يناضل حزب اليسار من أجل تغيير علاقات الملكية، ويريد تجديداً جذرياً للديمقراطية يمتد أيضا إلى القرارات الاقتصادية ويخضع لجميع أشكال الملكية والمعايير الاجتماعية والتحررية والبيئية، فبدون ديمقراطية في الاقتصاد لا يمكن للمصالح العامة فرض نفسها في مواجهة المصالح الربحية الضيقة. تبقى الديمقراطية غير مكتملة، لهذا نعتقد إن دمقرطة الاقتصاد تمثل حجر الزاوية في الاشتراكية الديمقراطية، والمطالبة بمزيد من الديمقراطية في الاقتصاد كان دوما قضية الحركة العمالية التي نجد أنفسنا سائرين على تقاليدها.

في ظل الظروف السائدة اليوم يأخذ فرض دمقرطة الاقتصاد بعدا عالميا وأوربيا ووطنيا وإقليميا، وبسبب عمليات العولمة الاقتصادية، فان هذه الدمقرطة ممكنة ليس على صعيد الدولة الوطنية فقط، وإنما القواعد العالمية، التي تضغط على سلطة الاقتصاد وتحد منها ضرورية هي الأخرى. ويتعلق الأمر هنا أيضا بجعل المعارف والمعلومات متاحة للاطلاع العام، ومن غير المقبول إن تكون نتائج البحوث المدعومة من

المال العام غير متاحة للجميع لتحقيق مجتمع سلمي وتضامني وديمقراطي، فوصول الجمهور إلى المعارف والمعلومات أمر ضروري، ولا يجوز أن يبقى مقتصراً على الإفراد. نحن نريد الاقتصاد الخاضع للمصلحة العامة، ليصبح فعله الاجتماعي والبيئي مقبولا.

الإدارة الديمقراطية للاقتصاد تفترض ترويض الأسواق المالية وإعادتها إلى وظيفتها الفعلية لخدمة الاقتصاد الحقيقي. إن اقتصادا يخدم الناس وليس الإرباح عليه أن يؤدي الوظائف الرئيسة التالية:

أولا: يجب أن يلبي احتياجات الناس ويضمن للجميع حياة يتوفر فيها الرخاء والضمان الاجتماعي.

ثانيا: فعل بيئي مستدام.

ثالثا: الاستجابة المبدعة للتحديات الجديدة.

رابعا: الاستخدام الكفوء للموارد الاجتماعية. يضاف إلى ذلك يجب تنظيم الموارد، بحيث يستطيع جميع الناس العاملين بشكل مباشر أوغير مباشر في الاقتصاد تطوير مهاراتهم المهنية ومواصلة تعليمهم.

في نظام الاقتصاد التضامني، كالذي يسعى حزب اليسار لتحقيقه، تجد إشكالاً مختلفة للملكية مكانها فيه: ملكية الدولة وملكية محلية (البلديات) وملكية اجتماعية، وخاصة وتعاونية، ويجب أن يكون للعاملات والعاملين وللمستهلكات والمستهلكين، ولممثلي الصالح العام حق الرأي المشارك القوي والديمقراطي، وان يساهموا مباشرة في اتخاذ القرارات الاقتصادية.

ما نعنيه هو التوصل إلى تحقيق، عادل ومشترك وعالمي يساوي بين الجنسين، لكل ما يحتاجه الناس ويرغبون فيه، بحيث يستطيع الجميع العيش بكرامة من الإيرادات، وان يكون الجميع في وضع يسمح لهم المشاركة في جميع المجالات الاجتماعية، العاملين باجر، العوائل، الرعاية، العمل المنزلي، الأعمال الاجتماعية، وكذلك في الأنشطة السياسية، وأن يشعر جميع العاملين بأجر أو بدون أجر بالتقدير.

ان التوزيع العادل للثروة الاجتماعية وكذلك مشاركة الجميع في الإعمال الضرورية، والقرارات المتعلقة بمجتمع المستقبل هي من بين الشروط الأساسية لمجتمع اشتراكي ديمقراطي. نحن نطور مقترحاتنا للإصلاح في اطار رؤيتنا لمجتمع أكثر عدالة، ونريد ألآن وهنا حياة جديرة بأن تعاش.

تمثل فترة العمل نقطة مركزية في الصراع بين العمل ورأس المال. نحن نطالب بخفض جذري لعدد ساعات العمل المأجور باعتبار ذلك خطوة ضرورية ومستعجلة، ونطالب كذلك بالحق في العمل، وفي الوقت نفسه بالأجر المتساوي لقاء ذات العمل. وهذه شروط أساسية لإخراج العمل، من اجل الحياة وظروفها الطبيعية في الرعاية والعناية الصحية للإنسان، من زاوية الإهمال، ورفع التخصص المجاني للنساء فيها، وتنظيم هذه الأنشطة اجتماعيا، وبمشاركة جميع إفراد المجتمع.

الملكية العامة وملكية العاملين

نحن نريد المزيد من الملكية العامة وبأشكال متعددة، وتحديد بنية المصانع الكبيرة في الاقتصاد وتحويلها إلى أشكال ملكية اجتماعية ديمقراطية، وتجاوز الملكية الرأسمالية، وإلى أي مجالات، شركات ومصانع تمتد الملكية الاجتماعية الديمقراطية، وفي أي أشكال من الملكية العامة أو الجماعية (ملكية دولة، محلية، تعاونية، العاملين) ينبغي وضعها، يجب أن يتقرر ذلك في إطار عملية ديمقراطية. ويلتزم حزب اليسار بخلق أشكال قانونية مناسبة

تشجع وتسهل استلام العاملين للمصانع، وبسبب التجربة التأريخية المرة فان التأميم الشامل ليس هدفنا.

يجب أن يكون للعاملين تأثير حقيقي في القرارات التنفيذية، ونحن نعمل على ان يكون العمال مشاركين في الملكية الجماعية لثروة المصنع التي أنتجوها، دون التنازل عن جزء من أجورهم، ويجب تنظيم استفتاء للعاملين حول القضايا المهمة كعمليات التسريح الجماعي أو إغلاق مصانع. إن علاقات الملكية أكثر من مجرد علاقات حيازة، فتغير عنوان الملكية وحده لا يكفي، فالأمر يتعلق في نهاية المطاف بحق التصرف وبالوصول للثروة الاجتماعية.

كما أن الخدمات العامة والبنية التحتية الاجتماعية واقتصاد الطاقة يجب إن تعود للقطاع العام وتراقب ديمقراطيا، ولا يجوز إدارتها وفق حسابات الربح لشركات القطاع الخاص، وخصوصا يجب إيقاف اعتداء المؤسسات الأوربية على نظام الملكية في البلدان الأعضاء والضغط الهائل لليبرالية الاتحاد على قطاع الخدمات العامة، وبدلا من ذلك يجب على الاتحاد الأوربي حماية الممتلكات العامة، وإعطاء الأولية القصوى للخدمات العامة، وجعلها في متناول الجميع. ولا يجوز أن تترك الاحتياجات الحياتية الأساسية للناس، كالطاقة والمياه والنقل، وكذلك أيضا السكن، والبنية التحتية الاجتماعية والصحة والتعليم والثقافة والرياضة لدوافع الربح الرأسمالي، بل يجب أن تنظم وتضمن وفق الحاجات العامة، لان الشركات التي تركز على الربح لا تقدم عروضها وفق احتياجات الناس، بل وفق طلب الأثرياء، وهي تغازل امتيازات المرفهين وتهمل الفقراء.

الشركات الخاصة المزودة للطاقة تراعي زبائنها من الصناعيين الكبار وتثقل كاهل الأسر الفقيرة، وبدلا من ذلك يجب أن تصبح الطاقة مكلفة للمستهلكين الكبار، وذلك لتشجيع استخدام التكنولوجيا في توفير الطاقة، وبالضد من ذلك يجب التخفيف عن كاهل الأسر الفقيرة، ودعمها في عملية توفير الطاقة، وعلى نحو مماثل لا ينبغي للسكك الحديدية، وشركات النقل العام للمسافات القريبة والبعيدة أن تركز على الربحية. المهم أن توفر أيضا إمكانية للنقل بين القصبات الصغيرة، وتكون جذابة، ويسهل الوصول إليها، ورخيصة، وصديقة للبيئة، وبديلة للنقل الخاص. يجب أن يكون الهدف دوما، خفض استهلاك الطاقة في قطاع النقل والمواصلات، مثلا من خلال تحول نقل البضائع من النقل برا إلى خطوط السكك الحديدية. التزود بالكهرباء والماء، ومياه الصرف الصحي، والاتصالات السلكية واللاسلكية، والسكك الحديد، والخدمات الأخرى تربط في شبكة على صعيد الاتحاد، والولايات، والبلديات، وأن يحتكرها القطاع العام، أما إذا احتكرها القطاع الخاص فالنتيجة التي لا مناص منها تقريبا، هي الأسعار الباهظة، وغالبا ما يؤدي منطق الربحية إلى إهمال صيانة الشبكة والحفاظ عليها، والنتيجة آثار سلبية على المدى الطويل. يجب الدفاع عن حيادية شبكة الاتصال الرقمية ضد محاولات الشركات الكبرى تفضيل كبار الموردين، ويجب أن تبقى الخدمات المتعلقة بالشبكة ومرافق النفع العام ملكية عامة أو تنقل للملكية العامة وتخضع لرقابة ديمقراطية.

الموارد الطبيعة الكبيرة أيضا هي ملكية عامة، وكما جاء في القانون الأساس (الدستور) ينبغي أن تكون الملكية في خدمة رخاء الجميع وليس في خدمة العشرة آلاف العليا من المجتمع. يمكن تطبيق هذا المبدأ

الدستوري فقط في اقتصاد لا يملك فيه، المستثمرون الكبار والمستثمرون الماليون، تفوقاً سلطوياً، ويقوم على أساس قطاع عام قوي، ولا يمكن فيه الاستغناء عن نقابات عمالية ومنظمات مجتمع مدني قوية ونشطة، يمكن معها تنظيم دولة الرفاه ديمقراطيا.

يناضل حزب اليسار من اجل نظام مصرفي يقوم على ثلاثة أعمدة هي: البنوك العامة والتعاونية وبنوك الدولة الكبيرة. إن نظاما مصرفيا فاعل هو بضاعة عامة، ولذا فان توفيره مهمة عامة، وينبغي أن يخضع النظام المصرفي والمالي الأوربي لرقابة اجتماعية. ولا ينبغي أن تركز البنوك المركزية على قيمة النقود واستقرار العملة فقط، بل على تكافؤ فرص العمل وتحقيق التنمية المستدامة.

إن شكل الملكية، سواء كان عاما أم خاصا، لا يحدد بمفرده نوعية التنمية الاجتماعية والايكولوجية، فحتى الشركات المملوكة للدولة الاتحادية، الولايات أو البلديات بحاجة إلى الرقابة، ويجب أن تخضع للمعايير الاجتماعية والايكولوجية وتلزم قانونا بمراعاة الصالح العام. يجب أن يكون للعاملين حق قوي للمشاركة في القرار، لضمان تصحيح قرارات الإدارة، وينبغي أن تمنح المواطنات والمواطنون فرصا للمشاركة في تطوير الخدمات البلدية. على عكس شركات القطاع الخاص لا تتوقع شركات القطاع العام الربح على المدى القصير. الملكية العامة ليست ضمانة، ولكنها شرط لمعايير وأولويات جديدة للاقتصاد، فضلا عن إن إرباح شركات القطاع العام تعزز الواردات العامة على صعيد البلديات والولايات والدولة الاتحادية، وتعود بالمنفعة على عامة الناس وليس على فئة صغيرة من المالكين.

اقتصاد التضامن

التعاونيات وإشكال المساعدة الذاتية التضامنية هي محاولة لتطوير هياكل وممارسات اقتصادية جديدة في أحضان النظام الرأسمالي، تركز على احتياجات الناس وقدراتهم، لأنها تستند إلى الملكية المشتركة والمساواة والاستخدام المشترك، وتهدف إلى الحفاظ على أو استعادة ظروف معيشة كريمة وإنسانية وعلاقات تضامنية في المجتمع، وهي جزء من تقاليد الحركة العمالية، والحركات الاجتماعية الجديدة، وحركات التحرر والتصحيح في العالم.

لاقتصاد التضامن مساهمة مهمة على المدى القصير في انخفاض تكاليف المعيشة وتحسين توريد السلع والخدمات الضرورية للحياة، وهو رائد في مجالات عديدة كالمنتجات البيئية، وإعادة التدوير، وتحقيق أشكال عمل وحياة تضامنية. جديدة. يريد حزب اليسار تحقيق اقتصاد تضامني من خلال تعزيز الأطر المناسبة للسياسة الاقتصادية المحلية والمساعدة في بناء المستقبل الاقتصادي للإفراد، وخصوصا تعاونيات المساكن وغيرها من الشركات المنظمة جماعيا وديمقراطيا ومنظمات المساعدة الذاتية في قطاع السكن، شريطة أن تسعى إلى تحقيق هدف اجتماعي وهو توفير المساكن بأسعار معقولة لفئات واسعة من السكان.

أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة

إن الموازنة بين مصالح أصحاب المهن الحرة للشركات الصغيرة والحقوق النقابية للعمل المأجور مفيد للديمقراطية والاقتصاد. وبدون الجرأة الدائمة للورش الحرفية، ووالاختراعات والمخترعين وأصحاب المحلات الصغيرة ما كان في الغالب بالإمكان فرض المنتجات البيئية المستدامة، فضلا عن إن

الشركات الصغيرة والمتوسطة وصغار العاملين في القطاع الخاص يتمتعون في الغالب بمستوى عالٍ من الإبداع والابتكار. يشترك حزب اليسار بالفعل والكلمة في توسيع الصراع من اجل تقوية القدرة الشرائية في السوق المحلية وتحريرها من الاحتكار الرأسمالي ومن املاءات البنوك.

لا يمكن لاشتراكية ديمقراطية في القرن الحادي والعشرين الاستغناء عن الحرف اليدوية والفن والخدمات الأخرى الواعية في القطاع الخاص. إن نظام الملكية التعددي في الاشتراكية الديمقراطية يشمل أساسا الملكية الخاصة للشركات الصغيرة والمتوسطة، ويسري الشيء نفسه على حق الفلاحين الصغار في امتلاك الأرض. نحن نريد خلق الظروف التي تحول دون استغلال الذات ودون الضغط على العاملين.

من اجل أطر عمل فاعلة، ديمقراطية، اجتماعية وبيئية

لا يجوز ترك التنمية الاقتصادية للسوق والشركات فقط، بل يجب إدارة اتجاهاتها الرئيسة على أسس ديمقراطية. فالمطلوب وجود شركات عامة جيدة الأداء تهدف إلى الاستثمار العام، ويجب أن تسعى السياسة الاقتصادية –المالية إلى تحقيق التشغيل الكامل الذي يؤدي إلى تقوية الطلب في السوق الداخلية، وإلى تنمية اجتماعية –بيئية مستدامة، وفي ظل إنتاجية متصاعدة. ويجب تقليص ساعات العمل تدريجيا، دون خسارة في الدخل. كما يجب إن يكون للسياسة ألاقتصادية المحلية والقطاعية، القائمة على إطار ديمقراطي من التخطيط الاستراتيجي والسياسات الهيكلية الإبداعية، تأثير على القرارات ألاستثمارية للشركات.

إن حزب اليسار يدعو إلى بناء الديمقراطية المباشرة ويسعى لتوسيعها عبر الطاولات المستديرة والمجالس الاقتصادية والاجتماعية على جميع الأصعدة، والتي ينبغي أن تمثل فيها النقابات والبلديات، واتحادات المستهلكات والمستهلكين والاتحادات الاجتماعية والبيئية والمصالح الأخرى، لتحدد عبر الحوار المهام في المجالات المختلفة انطلاقا من المصالح المشتركة وإمكانية تطبيقها اجتماعيا، كما ينبغي إن تساهم في تنمية نماذج لسياقات ديمقراطية، اجتماعية بيئية، وتوفر الفرص لمبادرات تشريعية.

* المادة هي الفصل الثالث من برنامج حزب اليسار الالماني المنشور على موقعه الالكتروني وادناه رابط المادة:
http://www.die-linke.de/partei/dokumente/programmderparteidielinke/iiidemokratischersozialismusim21jahrhundert/

* ALBA *تعني التحالف البوليفاري لشعوب الأمريكيتين (Spanish: Alianza Bolivariana para los Pueblos de Nuestra América, or ALBA)

وهو منظمة دولية للتعاون تاسست عام ٢٠٠٤ وتقوم على فكرة التكامل الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي لبلدان امريكا اللاتينية والكاريبي، وتضم بلدان: انتيغوا وبربودا، بوليفيا، كوبا، الدومنيكان، الاكوادور، نيكاراغوا، سانت فينسنت، غرينادا، فنزويلا. (المحرر)

حـــــــــــــــوارات

حوار مع القاص والروائي
حنون مجيد

"أعمال الكاتب لا تتضمن بالحتم شخصيته بالكامل، وإنما قد تشير إليها أو تعيّن بعض ملامحها.."

حـــاوره : سعـــدون هلـيل

حنون مجيد، قاص وروائي من مواليد محافظة ميسان- ناحية المشرح عام 1939. بكالوريوس في التربية وعلم النفس، كتب القصة القصيرة والقصيرة جدا والرواية والمسرحية وقصص الأطفال. نشرت قصصه في الصحف والمجلات العراقية والعربية. صدرت له الأعمال الآتية: المجاميع القصصية: تعاقب الفصول؛ البحيرة، الطائر، العراف، لوحة فنان – عن اتحاد الكتاب في دمشق، رواية "المنعطف" في طبعتين، رواية "مملكة البيت السعيد"، وردة لهذا الفطور مجموعة قصصية ضمت 120 قصة قصيرة جدا، تاريخ العائلة مجموعة قصصية، مغامرة في ليل الغابة، قصة مصورة للأطفال وقد ترجمت قصته "ورقة" الى معظم اللغات الحية عقب الاحتفالية الكبيرة التي أقامتها كلية اللغات في جامعة بغداد تكريما له ويعد حنون مجيد من بين أهم القصاصين والروائيين العراقيين، ويعبر في منجزه الابداعي عن الاتجاه الأكثر طليعية وجرأة في تجربته القصصية والروائية. كما تزخر أعماله بنضج فني ونضارة في الرؤية والأسلوب وكتب عن أدبه أبرز النقاد والمثقفين في العراق، وترجمت بعض قصصه الى العديد من اللغات الاجنبية الحية كالانكليزية والفرنسية والألمانية والروسية والفارسية والتركية والكردية واليونانية وغيرها. والأستاذ حنون مجيد رئيس تحرير الموسوعة الثقافية التي تصدر عن دار الشؤون الثقافية ببغداد، وعضو المكتب التنفيذي للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

حول هموم الكتابة الأدبية وتحديدا جنس القصة والرواية كان لنا معه هذا الحوار:

● يشكو بعض الادباء مما يطلقون عليه بالضمير النقدي والخلقي للناقد الأدبي، كيف ترى ذلك؟

– يبدو ان هذا السؤال متطارَح الان بحيث تُواجَه به اكثر من مرة، وسأجيب كما أجبت من قبل لقناعة راسخة بما يلي: في المدار الأدبي والثقافي بل وفي المدارات جميعاً التي تؤشر علاقة الثقافي بالثقافي ينبغي الفصل بين الضمير النقدي وأخلاق الناقد، ذلك أن النشاط النقدي لدى أي ناقد هو الموضوع محدداً بقيمته الفنية وما يترشح عنه من دلالات موضوعية بغض النظر عما تكون عليه أخلاق كل من المبدع والناقد فالناقد حينما يتصدى للعمل الابداعي يتحزم بحزام الابداع لا بأخلاقه الشخصية الخاصة مهما كانت علاقته بالمبدع صاحب النص، أو هكذا يتوجب أساساً وقد لاحظنا ذلك في كثير جدا من الإجراءات النقدية التي عرضت لأعمال أدبية مختلفة.

إن النقد علم ولا يمكن ان يخالط العلم هوى او شطط عاطفي ولا سيما في النقد الحديث. وقد تعد مقولة موت المؤلف خطوة للتأشير على المسافة الفاصلة بين الناقد ومبدع النص ومن مؤشراتها العامة الرامية الى إماتة تاريخ صاحب النص وعلاقته بنصه بعد صدوره. إن هذا لا ينفي اننا نقرأ نقوداً تنفرد بالعلاقة الشخصية دون القيمة المعيارية للنص فتسود الاحكام الجاهزة وفي تعميم مجاني وغير صادق يسقط الستارة عن طبيعة المنهج النقدي أولاً وتخليه عن مسؤوليته التاريخية ثانياً وعن موضوعيته التي هي دليله الصائب ثالثاً. إن ما ينبغي الإشارة اليه هنا ان النقد عموماً تخلى عن بعض مهماته الجوهرية المتعلقة بالإشارة الى لغة النص وسلامة سياقاته وحسن تراكيبه وإيجاز صوره وحجم موضوعه، منصرفاً الى النظر الى النص على انه مجموعة انساق وتراكيب تربطها بنى داخلية هي ما ينبغي ان ينظر اليها فحسب. ان النقد الحديث هو زاوية النظر الى العمل الابداعي بفن العلم، والمبدع يطمح ان يكون النقد كذلك، لكن إهمال الجوانب التي تم ذكرها آنفاً يطفئ كثيراً من الجوانب المشرقة في النص الابداعي.

● هل كتبت عملاً وندمت عليه؟ وهل كتبت قصتك وروايتك؟

– من حسن حظي انني لم انشر كل ما كتبت فما تزال قصصي الاولى التي كتبتها منتصف الستينيات مركونة لم تنشر وكذلك محاولتان روائيتان وما نشرته في اعقاب ذلك، وجاء في ست مجموعات وروايتين، جاء متمهلا نوعاً ما فلم يأخذني عليها ندم كبير. ولعل من الطبيعي ان نكبر على ادبنا كلما قطعنا شوطا في الممارسة والتدريب ولكن اذا اخذنا اعمالنا بمنظار زمنها الذي كتبت فيه فلن يكون ندمنا عموماً ندماً مؤلماً ومما هو ثابت ان الكاتب الكبير نجيب محفوظ يثبّت في قوائم اعماله ان مجموعته القصصية "همس الجنون" صدرت عام 1938في حين يثبت الناقد عبد المحسن بدر انها صدرت عام 1947 تحديداً منه لمستواها الفني كما صرح هو للناقد المذكور. ويمكن الخلوص من هذا الى اننا مرهونون بثقافة عصرنا سواء كان ذلك في الفنون ام في مناحي الحياة الأخري العلمية منها او المادية أو سواها.

أما ما يتعلق بِ: هل كتبت قصتي أو

روايتي فاعتقد انني إن لم اكتب ذلك في قصة او رواية واحدة فلقد كتبتها في مجمل اعمالي على خير وجه.

إن قول القاص او الروائي انه لم يكتب نصه قول فضفاض لا يخلو من التهويم إذ ما الذي كان يفعله في ما كتبه طوال عمره. ثم ما المقياس لمعرفة ان آخر ما انتجه المبدع هو افضل ما كتب قياساً على تاريخ تجربته، ثم اذا لم يكن كذلك فمتى يحقق ذلك؟

ليس هنالك من شك في أن اطلاعنا على أعمال غيرنا توسع من نظرتنا وقد تهيئنا لأعمال اخرى ولكن لماذا لا ينطبق الأمر نفسه على الاخرين يقرأ أعمالنا؟

● هل ثمة ازمة في الثقافة العراقية وما الحلول والمقترحات للخروج منها؟

– يدفع هذا السؤال الى التريث نوعاً ما قبل الاجابة بنعم أو لا بتلقائية ويسر، ذلك لأن الحدود الإجرائية لمصطلح "أزمة" حدود واسعة ومتشعبة، ثم لأن الثقافة العراقية الآن تنطلق بأقصى سرعاتها متخطية الصعاب والعقبات التي تعترضها وتحاول ان تقف بوجهها، متخذة من اللحظات التاريخية هاجساً مفعماً بالإدراك للإعلان عن تنوعها وثراء تربتها، فأزمتها إن كان ثمة أزمة ما، ليس كميتها أو دافعية حركتها إنما في تعيين هويتها التي هي الان جماع هويات متعددة ومتضاربة ولها وقائع وركائز في الساحة الثقافية لا يمكن تجاهلها. بل ان إشكال الثقافة العراقية،هو في السبل التي تتكفل نشرها وتسويقها ومن ثم التعريف بها. لقد انشطرت الثقافة العراقية الواحدة بين الداخل والخارج، فإن تحقق لأديب الخارج فضاءً واسعاً للنشر والتوزيع، حرم بهذا القدر أو ذاك اديب الداخل الذي جعل اخيراً يتوسل دور النشر العربية التي بدأت تمنحه اهتماماً واضحاً لأسباب كثيرة ليس آخرها الربح المادي السهل والسريع الذي جعلت تجنيه بصورة لافتة للأنظار وغير مسبوقة من قبل ابدا.

إن من ابرز الحلول التي قد تحمي الثقافة العراقية من أزمتها إنشاء دور طباعة حكومية ومدنية ذات طاقات كبيرة وإنتاجية عالية تستوعب النتاج العراقي الغزير، وتتكفل توزيعه الى اماكن في الداخل والخارج وعبر منافذ آمنة ومتيسرة، ونشر المؤسسات الثقافية في عموم البلاد، ومغادرة النظرة الرسمية الى الثقافة من فوق، وإيلاء الثقافة الوطنية والتقدمية موقعها الذي تستحقه في الطبع والنشر والتوزيع، وإقامة مجلس أعلى للثقافة يرعى مصالح المثقف والثقافة دونما وصايات، وإقامة علاقات ثقافية متكافئة عربية وعالمية، لتبادل الخبرة في مجالات واسعة وممتدة تهيئ للثقافة العراقية النمو والازدهار ومن ثم تجاوز اي شكل من اشكال الازمات التي كثيرا ما تحدث بفعل عوامل موضوعية وليست ذاتية فقط.

● كيف ترى الواقع النقدي في العراق؟

– ينتمي الواقع النقدي في العراق الى مجمل حيثيات الثقافة العراقية ولا ينفصل عنها، وهو في تقديري الفقرة الأعلى في سلم المراتب الثقافية لحساسيته العالية، والاشتراطات المعرفية التي تستلزمه لكي يكون كذلك، لتزايد العلوم أولاً وتسارع وتائر الاتصالات ثانياً.

وأحسب ان الواقع النقدي في العراق

عانى القصور المعرفي والركود الاجرائي عندما أغلقت بوجهه سبل الاتصال بما هو قائم في مراكز النقد في العالم، وأمسى يتابع ما كان يصل اليه بطرق شائكة كان من أبرز صورها تبادل الكتاب الواحد، والاستنساخ الذي شاع في العراق كظاهرة ثقافية صارت مطلوبة، واختص بها مثقفون مقدامون ومغامرون. بذا كان الواقع النقدي العراقي قد تخلف عن مسيرته المتقدمة المفترضة، أو التي كان من المؤمل ان يكون عليها. ولكي يردم الهوة العميقة مضى يتابع وبحسب ما كانت تسمح به وسيلته آخر المستجدات في النظرية النقدية معرضاً بقدر أو بآخر عن التصدي لصور الابداع المحلي وباتت الساحة مفرغة من ابرز ممثليه، حتى ظهر نقاد شباب أخذوا مواقعهم في هذا اللون من الابداع بجدارة مرموقة شفت عن كفاءات طيبة ربما كانت هي الأبرز خلال عقد مضى. ومع كل ما تقدم يمكن القول ان الصوت النقدي ما يزال ضعيفاً امام هذا الكم الهائل مما تزخر به الساحة العراقية من قصة وقصيدة ورواية وأجناس اخرى ما يطبع منها في العراق او خارجه.

● إذن هل هناك أزمة نقد بالفعل؟ وما بعدها وصداها في العراق؟

ليس من شك في ان هناك ازمة نقد في العراق، وهي صدى لوقائع كثيرة احاطت بآليات النقد العراقي وسبل تطوره، فرضت عليه، في معرض ما فرضت على الفنون جميعا، أساليب من التفقير والتحجيم والتقزيم فانعكست ظلالها، في ما انعكست، على النقد الذي ظل يناضل مثل هذه الاوضاع في مكابدة كانت قاسية ومؤلمة قبل ان يسترجع صوته بعد ان توفرت امامه موارد الثقافة التي يحتاج اليها؛ ليواكب الحركة النقدية المتطورة في العالم. ومن يتابع المشهد الابداعي يزداد يقيناً بان النقد العراقي غلب على امره قسراً وليس طواعية، وإنه في سبيله الصحيح لتسلم مكانته الطيبة في المحافل النقدية العربية، وفي ظني وعطفاً على هذا السؤال ان النقدية العربية عموماً تعاني أزمة ليست باليسيرة، ما دامت لم تمتلك حتى الآن قيمها المعيارية والجمالية ومصطلحاتها الفنية الخاصة بها، إستقاءً من مجمل مكونات الثقافة العربية، قديمة وحديثة، وأطرها التاريخية والاجتماعية والنفسية والاخلاقية. وجواباً على سؤالك اللاحق عن مكانة النقد العراقي بين صنويه العربي والعالمي، فأعتقد أنها متواضعة قياساً على ما قطعته النقدية العربية وقبلها النقدية العالمية التي ارست مفاهيمها ومنطلقاتها على أسس مكينة وراسخة وصدرتها الى بقاع العالم المختلفة في ما يشبه عولمة متقدمة ومبكرة. لقد اصيب النقد العراقي في الصميم حينما أغلقت سبل الاتصال بالكتاب العربي والغربي الحديثين، ففقرت بذلك المكتبات والأسواق وشحت المصادر التي تزود النقاد بأحدث نظريات النقد، وهي كما هو معلوم متطورة ومتبدلة على الدوام، فصار الناقد، كما يردد بعض من متابعي الشأن الثقافي في العراق، يكرر نفسه ويعتاش على ثقافة قديمة يتناول بها ابداعات حديثة. بيد ان ما بدأ يلوح أخيراً ان الناقد العراقي جعل يسترجع مكانته وقد يتأهل في آنات قادمة الى ان يكون صوتاً مسموعاً في محافل الثقافة العربية ومدوناً في مراجعها ومصادرها البحثية كذلك.

● من هم النقاد العراقيون الذين

تصدوا بجدارة للابداعات العراقية؟

ينطوي هذا السؤال على شمولية واسعة، فالنقاد الذين تناولوا النتاجات العراقية بالنقد والمتابعة والعرض كثر، وليس سهلاً عدّهم إلا بصورة سريعة قد لا تغطي الاسماء جميعها، ولكن قد يكون متيسراً ذكر قامات بارزة تابعت الابداع العراقي بصبر ومثابرة لا حدود لهما، كما كان شأن الناقد الكبير الدكتور علي جواد الطاهر والدكتور عبد الاله احمد والدكتور علي عباس علوان وعبد الجبار عباس وعبد الجبار البصري والدكتور شجاع العاني وفاضل ثامر وياسين النصير والدكتور مالك المطلبي وباسم عبد الحميد حمودي وعبد الرحمن طهمازي والدكتور صالح هويدي والدكتور نجم عبد اللّه كاظم والدكتور حسين سرمك حسن والدكتور قيس الجنابي والدكتور عبد اللّه ابراهيم وغيرهم من اسماء اخرى مكافئة لهم أمست نتاجاتهم مرجعيات لا غنى عنها للنقاد الذين ظهروا بعدهم وهم اكثر بكثير من سابقيهم ولا يمكن احصاؤهم

● الى اي تيار تنتمي وسط هذه التيارات المتلاطمة والمتداخلة في مسيرة الرواية العربية؟

– ربما سيكون من الصعب الاجابة على هذا السؤال، لأنه يستلزم استحضار المنجز الروائي العربي برمته، لكي يتحدد لأي روائي عراقي او عربي موقعه منه والتيار الذي ينتمي اليه. فلقد حفلت الرواية العربية بأسماء كثيرة حققت في هذا الشأن منجزات كبيرة وصلت الى جائزة نوبل مثلاً. ليس من شك في ان الهرم الكبير الذي شكلته الرواية العربية، منذ زينب محمد حسين هيكل الى اليوم، ينتمي الى الرواية العربية في كل بلد عربي أو في اي مكان يكتبها فيه كاتب عربي، ولا يمكن فصل الرواية العراقية منه، ولا سيما الرواية التي كتبها غائب طعمه فرمان وفؤاد التكرلي ومهدي عيسى الصقر ولطفية الدليمي وعبد الرحمن مجيد الربيعي وعبد الخالق الركابي وغيرهم. كما ان أية رواية تصدر لاحقا إنما تضاف الى هذا الرصيد ولا تعزل عنه، ولكن ما يميز الاصوات الروائية بعضها عن بعض، خصوصية التجربة والطريقة التي تكتب بها وعلاقتها بأساليب الكتابة الحديثة إن بهذا القدر أو ذاك، وأعتقد ان عملاً روائياً أو عملين بمقدورهما الاشارة الى هوية الروائي وحدود ملامحه ونوع أدبه، الامر الذي ينطبق على تجربتي الروائية بل والقصصية كذلك التي حاولت ان ارسم من خلالها، الملامح الخاصة التي تفرز هذه التجربة عن سواها وفي حدود المدرسة الواقعية الحديثة، التي تتجدد باستمرار بما تملك من قدرة على التمثل والاتساع لاستبطان احدث منجزات السرد الروائي لتقدم نموذجها الباذخ والرصين، ووفق رؤية اجتماعية وإنسانية مطلوبة لأنها تحدد الهدف الاسمى للفن، ولا سيما الفن الذي لا يريد ان ينفصل عن التجربة الإنسانية وهذا ما سعت اليه تجربتي في ما اكتب جميعا. ولعلك تستطيع ان تؤرخ ذلك منذ ان نشرت قصتي "الطائر" في جريدة الجمهورية وأعقبتها بقصص أخرى مثل "ثلاثية الفار"، التي نشرت متتابعة في الصحف والمجلات، و"تاريخ العائلة" التي نشرت في الاقلام منتصف التسعينيات وحملت عنواناً آخر مجموعة صدرت لي ببغداد وعمان، وكلها

تشير الى، بل وتدين، الطابع السياسي القهري الذي خيم على العراق، فضلاً عن روايتي "المنعطف" التي عدت من أجرأ الروايات التي عرضت لذلك النظام، كما أشار بذلك معظم النقاد والقراء إن لم تكن أجرأها على الإطلاق وطبعت بطبعتين قبل السقوط وبعده ببغداد، وكذلك روايتي "مملكة البيت السعيد". وبناء على هذا تكون هذه التجربة أعلنت عن هويتها في خضم ما يعلن عنه من هويات وانتماءات، في بحر اصبح متلاطماً الان بفعل ما تصدره المطابع العربية من قصص وروايات.

● هل ظهرت الى حيز الوجود الرواية العربية التي تعبر عن واقع العالم العربي؟

– نعم وبالتأكيد، وهناك أمثلة لا تعد ولا تحصى، هذا إذا علمنا أن أي أدب لا بد أن يكون معبراً عن واقعه ضمن صفحة زمنية معينة أو محددة، إن لم يكن في جميع الصفحات. ذلك ان الفعاليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، غالباً ما تكون ضاغطة بما لا يمكن تلافيها، بل ولا يجوز، تبعاً للعلاقة العضوية بين الثقافة عموما والواقع المعيش، وانتماء الاديب الى كلّ منهما انتماءً لا فكاك له منه. واعتقد أن الحرية الممنوحة للأديب في مجال الفن ليس للتنصل عن مسؤوليته في هذا المجال، وإنما لاختيار الزاوية التي ينفذ من خلالها الى فنه في إطار واقع له مؤثراته الحتمية عليه. ونظرة سريعة الى الاعمال التي لامست تجليات الواقع العربي وبهذا القدر أو ذاك يمكن الإحالة الى أعمال نجيب محفوظ، حنا مينه، عبد الرحمن منيف، جبرا ابراهيم جبرا، الطيب صالح، غائب طعمه فرمان، فؤاد التكرلي، مهدي عيسى الصقر، عبد الرحمن مجيد الربيعي، برهان الخطيب، عبد الخالق الركابي، لطفية الدليمي، محمد خضير، جمال الغيطاني، يوسف القعيد، صنع ابراهيم، نبيل سليمان، الطاهر وطار واسماء كثيرة لا تعدّ في هذا الباب، ذلك ان هذه الاعمال أو بعضها إن عبرت عن واقع محلي ما، فإنها صبّت في الواقع العربي العام كذلك، لتشابه التشكلات البشرية العربية وما ينتابها من إشكالات معظمها ينصب على البحث عن الحرية والإنعتاق من التسلط الفاشي الذي أحاق بالمواطن العربي على كل أرضه، وعانى منه طويلاً وما يزال. وعلى هذا فإن الرواية العربية ستظل تئن طويلاً تحت سياط عالم موار بالأحداث الجسام، ومنها أحداث الربيع العربي التي اسقطت قلاع الدكتاتوريات وطرحت سؤالها الحار والعميق عن ماهية الثقافة العربية بعد هذا ومعطياتها القادمة في ظل بروز تيارات متضاربة، قد يكون لبعضها قدرة عاتية على الهدم والتدمير.

● ما حدود التلاقي والافتراق بين الناقد والمبدع؟

– تكمن حدود التلاقي بين الناقد والمبدع في السمة العامة للإبداع بينما تكون حدود الافتراق بينهما في نوع الاختصاص، فللمبدع مداره الخاص الذي يشتغل عليه وهذا الاشتغال هو ابداعي خالص يتجسد قصةً، قصيدةً، روايةً، مسرحية، لوحة، موسيقى، وغير ذلك من فنون كالباليه والسينما وهكذا، بينما للناقد فضاؤه الخاص الذي يدور فيه على الفنون جميعاً لينتج شيئاً مغايراً يسمى النقد. واذا كان يبدو لنظرة ما ان تحدد العلاقة بين الاثنين

كونهما تعبيرين ثقافيين مختلفين فالواقع الاكيد يشير الى تشابك العلاقة الاتصالية بينهما بما يجزم على ان لا غنى لأحدهما عن الآخر. فالمبدع غالباً ما يكون على صلة وثيقة وضرورية بما ينتج الناقد ليواكب آخر المنجزات التي توصل اليها النقد ليغني نصه بما يديمه ويطوره من طرائق وابتكارات ووسائل حديثة، في الوقت الذي يمتدح فيه الناقد من كشوفات النص الممتاز ما يعينه على إدراك القوانين التي تشكل هذا النص أو هذه النصوص ليجترح منها قيمه ومعاييره، وهكذا في جدلية مستمرة ومثمرة ولن تنتهي، وربما تقاربت الحدود بصورة ما حين يلم المبدع بقوانين النقد الماماً كافياً يؤهله للجمع بين الصناعتين، وهذا أمر قليل ما يتأتى لمبدع إلا في الندرة، كما أنه ليس شائعاً بصورته المطمئنة حتى الآن إذ ما يزال الاختصاص المسؤول قائماً بصورة لا تقبل الزوغان.

● ما الأوضاع التي تأخذ فيها المرأة موقعها في أدبك؟

– المرأة عنصر شريك في الحياة منذ أن نشأت الخليقة حتى الآن، بل هي صانع رئيس لهذه الحياة، يؤازرها في المهمة العظيمة رجل زوج أو أخ أو حبيب. وأنت تعرف كثيراً أن المعارف القديمة والحديثة، أكدت على أن الأدوار الأولى لصناعة الحياة البشرية كانت بقيادة المرأة، حتى أُلّهت ونصبت لها التماثيل العظيمة والجميلة معاً، وهذا ليس بالكثير على الكفاءات المتعددة التي تمتلكها المرأة، وربما أهمها إنها المصدر العظيم للحب وكذلك للعطاء. وقد تناولتْ أعمالي جوانب متعددة من صور المرأة منذ قصتي "اللعبة المزدوج" التي تضمنتها مجموعتي الثانية "البحيرة" وحاولت فيها أن أنفذ الى الجوانب النفسية لامرأة وحيدة ومجموعة التداعيات المختلفة التي تصاحب حياتها وتغالبها ولا سيما عند وحدتها، التي وضعت مكافأها الموضوعي، عملها وصلاحيتها للحياة. ينطبق القول على قصتي "عند بائع الورد، ويوم المطر" اللتين تضمنتهما مجموعتي القصصية "تأريخ العائلة"، وكانت المرأة فيهما قريناً للرجل وحبيباً جميلاً، فضلاً عن المرأة الاخرى التي حملت عنوان المجموعة آنفة الذكر، التي جعلت منها رمزاً لمجموعة بشرية كبيرة، كانت ضحية من ضحايا الرجل حينما توهم أنه اله. كذا الأمر في رواية "المنعطف" ورواية "مملكة البيت السعيد"، وغير ذلك من أعمال كانت المرأة فيها فاعلاً جميلاً ومؤثراً ملهماً ودافعاً الى حياة جميلة وغنية وراقية، لا يمكن الاستغناء عنها لأن ذلك يعني عدم الحياة، وليس سراً من الأسرار القول ان المرأة في قصصي كانت جميلة الصورة لأن ذلك جزء من تطلعي اليها كونها الصورة الأسمى للكمال، ليس كما صورتها لوحات ومجسمات أعظم الفنانين، بل لأنها كذلك على الحياة.

● ما العلاقة بين الادب والأيديولوجيا؟

– يفهم كثير من الناس على ان الايديولوجيا هي فلسفة الاحزاب والتنظيمات السياسية وحدها، أو انها نابعة من هذه في الاساس لتشكل سلطة عليا قاهرة في أغلب الأحوال، بينما الايديولوجيا هي شكل من الاشكال العامة للفلسفة الانسانية التي ترى انها قادرة على تعيين مجموعة من الخبرات الصالحة وتترك للأفراد او للجماعات حرية

الاختيار. وإذا كان من سيماء الايديولوجيا إيمانها العام بما تحدد أو تطرح من رؤى وفلسفات فإنها بالمقابل تفهم عمق الاشكالية الفكرية حين يتحول شرط الحرية الى إلزام هذا إذا اخذنا بنظر الاعتبار الفلسفات الاخرى المجاورة التي كانت تدعو الى إسقاط الأيديولوجيا، بهذه الحجة أو تلك وتجد ابلغ صداها في المجتمعات الليبيرالية بشكل خاص. وإذا شاع في فترة ما طابع الإلزام لظروف أحاطت بالتوجه الايديولوجي نحو بناء مجتمعات عادلة، فسرعان ما حل محله شعار الالتزام. في الحقبة الزمنية التي كان فيها الصراع محتدماً بين تطلعات الفكر الاشتراكي والتطلعات والمبادئ الرأسمالية التي كانت هي الاخرى تلزم الادب والفن بتبريرات فكرية منهجية مناهضة، ظهر الانتماء الى الايديولوجيا جليّاً ومباشراً إذ كان لابد وبحسب قناعات ذلك الوقت للأدب التقدمي ان يتخذ مساره العلني ويطرح شعاره الشهير الفن للشعب وهو مبدأ سليم وصحيح حتى الآن ليتقابل مع شعار الفكر البرجوازي الفن للفن، وهو شعار جميل ولكنه كما مر آنفا ملزم كذلك او لا يخلو من الإلزام ولعل القارئ قرأ في هذا وفي ذاك "الأم" و"الدون يجري هادئا" و"لمن تقرع الأجراس" و"مدام بوفاري" و"نساء عاشقات" و"الصخب والعنف" وغير ذلك من مئات الروايات والأعمال الادبية الاخرى كان الفيصل فيها للإبداع أولاً ولقربها من مشاعر الناس وتطلعاتهم ثانياً. إن ما يمكن قوله الآن ان الايديولوجيا تخلت عن هيمناتها على مواقع الادب والفن بفعل المتغيرات السياسية والثقافية والحضارية التي اصبح الانسان فيها متمركزا على ذاته وموجها رئيساً لها. وعلى مستوى التجربة الشخصية لم تكن الايديولوجيا منهجا قسريا بقدر ما كانت هادياً الى منابع الخير والصفاء، والى ما هو اجمل وارقى وفي حرية هي في عمق نظريتها لأنها من ضروراتها.

أدب
و
فن

البروفسور مهدي مرتضى . . . وداعا!

عام 2011 أبى إلا أن يختتم مواسمه بأخبار محزنة. هكذا داهمنا، كما كثيرين، نبأ رحيل الشخصية الوطنية والديمقراطية والأستاذ الجامعي المرموق والعالم الكبير البروفسور مهدي مرتضى. وبرحيله فقد العراق واحدا من المع علمائه وأطبائه في العقود الستة الأخيرة.

لم يكن البروفسور مهدي مرتضى مجرد عالم حبيس جدران غرف البحث أو صفوف الدروس الجامعية أو المختبر العلمي، على أهميتها، بل اختار منذ بواكير حياته العلمية أن يرتبط أيضا بحركة الواقع وبصراعات تاريخ العراق المعاصر وما أثراها. فإضافة الى إبداعه الدراسي انخرط البروفسور مرتضى مبكرا في النضال الطلابي والوطني والطبقي منذ كان طالبا في الإعدادية المركزية ولاحقا في الكلية الطبية بجامعة بغداد. فقد كان من نشطاء اتحاد الطلبة العام ومن المشاركين في مؤتمر السباع الخالد (نيسان 1948). وفي أوائل الخمسينات من القرن الماضي انتمى الى صفوف الحزب الشيوعي العراقي ليجسد في وحدة جدلية الارتباط بين النضال المهني والنضال الطبقي ومن ثم برز عضوا نشيطا في نقابة الأطباء العراقيين وفي حركة السلم العراقية. كما كان من المساهمين في تأسيس مجلة المثقف التي كانت لسان حال الخريجين وليصبح لاحقا رئيسا لتحريرها حتى وقوع انقلاب شباط الأسود عام 1963، وطاله ما طال الآلاف من الوطنيين والديمقراطيين والشيوعيين من أذى وعسف حيث تعرض الى مختلف أنواع التعذيب في أقبية سجون البعث ثم تم فصله من عمله. كما تعرض للأذى مرة ثانية بعد أن عاد البعث لحكم العراق في 1968 فقد كان من ضمن العشرات من أساتذة الجامعات الذين أحالهم الدكتاتور السابق على التقاعد بشكل متعسف.

وللبروفسور مهدي مرتضى الكثير من الأبحاث والمقالات العلمية الرصينة المنشورة في داخل الوطن وفي المجلات العلمية الرصينة في الخارج. كما نشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات العراقية بما فيها مجلة (الثقافة الجديدة).

إن رحيل البروفسور مهدي مرتضى خسارة كبيرة لوطننا وشعبنا وخصوصا كادحيه وبسطائه الذين نذر الراحل نفسه للدفاع عنهم وعن القضية النبيلة التي ربطته بهم والتي جمعت بين عالم جليل وبسطاء الناس على هدف نبيل هو الوطن الحر والشعب السعيد.

لقد كانت حياة البروفسور مهدي مرتضى، على امتدادها الواسع، درسا كبيرا لأجيال عديدة من زملائه وتلامذته وأحبته، وعزاؤنا أن الفقيد الكبير ترك لهؤلاء، وغيرهم أيضا، ارثا ثريا من المنجزات العلمية والإبداع الطبي الأصيل والمواقف النبيلة والذكريات الطيبة والسلوك الإنساني الرفيع والروح الشفيفة والتي لا تساوم على القيم والمبادئ الكبرى للرعيل الذي انتمى إليه الفقيد.

الذكر الطيب دوما لواحد من باسقات نخيل العراق، البروفسور مهدي مرتضى!
ولأهله وتلامذته وكل أصدقائه ومحبيه صادق مشاعر التضامن في هذا المصاب الكبير.
وما عسانا أن نقول الآن في حضرة غيابك أستاذنا الكبير مهدي مرتضى سوى: أنك ستبقى بين أنبل أبناء وبنات بلادنا المسكونين بـ"جنون" الحرية والعدالة والمساواة والكرامة.

هيئة تحرير (الثقافة الجديدة)

****

السيدة المحترمة باسمة الظاهر
العزيزين صالح و زينب

بمزيد من الحزن والألم تلقينا نبأ رحيل الرفيق الدكتور مهدي مرتضى بعد عمر حافل بالحيوية والنشاط الأكاديمي والمهني والثقافي، والسياسي، كرسه الفقيد لوطنه الحبيب ولكل ناس بلاده و للفقراء والكادحين من أبناء شعبه، الذين أحبهم وربط مسيرته بقضاياهم العادلة منذ وقت مبكر من حياته، حيث انخرط في النشاط الثقافي والوطني الديمقراطي إبان العهد الملكي، وانتمى الى صفوف الحزب الشيوعي العراقي في عقد الخمسينيات، ونشط للترويج لبرنامج جبهة الاتحاد الوطني التي مهد انبثاقها لاندلاع ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨, وبعد انبثاق الثورة تحمس لآفاقها الواعدة، ونهض بالعديد من المهام والفعاليات الثقافية والسياسية والمهنية دعما للثورة الشعبية وأهدافها الوطنية الديمقراطية، وساهم مع نخبة من المثقفين والأكاديميين في إصدار مجلة "المثقف" التي تولى رئاسة تحريرها. وبسبب من نشاطه الديمقراطي المشرف تعرض مع مئات من الشيوعيين والديمقراطيين للاعتقال على يد سلطات العهد الجمهوري، كما نال نصيبه من الاعتقال والتعذيب، مع زوجته ورفيقة دربه السيدة باسمة الظاهر، غداة انقلاب 8 شباط الأسود، أسوة بعشرات الآلاف من الديمقراطيين واليساريين.وكان الفقيد ضمن قائمة ضمت أكثر من 20 أستاذا جامعيا لامعا من خيرة أطباء العراق ممن كانوا يمارسون التدريس في كلية الطب/ جامعة بغداد، الذين أحالهم الجاهل المهووس صدام حسين بقرار تعسفي جاحد عام 1979 الى التقاعد، ليس لأي خطأ اقترفوه سوى أنهم احتفظوا بكبريائهم الإنساني والأكاديمي ورفضوا الانتماء الى صفوف حزب البعث الحاكم آنذاك. ورحل الرفيق الدكتور مهدي أمس الأول وفي قلبه غصة لأن العهد الجديد تنكر له ولنضالاته وتاريخه الإنساني المجيد، ولم ينصفوه بإعادة حقوقه التي اقرها القانون واعتباره من المفصولين السياسيين.

برحيل الدكتور مهدي خسر العراق إنسانا نزيها صادقا وطبيبا نطاسيا لامعا وأستاذا جامعيا يشهد له طلبته وزملاؤه دأبه العلمي والأكاديمي، وحرصه على تعليم أجيال متعاقبة من

طلبته والأخذ بيدهم في هذا المضمار الإنساني الواسع. كما خسرت الحركة الثقافية والديمقراطية برحيله رجلا مخلصا منتجا وملتزما بقضايا الشعب وقيم العدالة الاجتماعية والديمقراطية والإنسانية ومناضل ظل يعمل بصمت، بعيدا عن الأضواء، ويواصل التحدي في اقسى الظروف التي مر بها العراق. ويذكر له حزبه ورفاقه من نشطاء العمل السري خلال عقد التسعينات جرأته وشجاعته حين أبقى بيته وعيادته الخاصة مفتوحين أمامهم، وظل حريصا على إدامة الصلة بالحزب ومتابعة أخباره وإيصالها الى شبكة من أصدقائه المسكونين بهموم الوطن وشجونه. ويذكر له رفاقه أيضا دعمه المادي السخي الدائم والمنتظم عبر اشتراكاته والتبرعات التي كان يجمعها في تلك الظروف الاستثنائية بقساوتها وبربريتها.

وظل الرفيق الفقيد بعد سقوط النظام أمينا للأفكار والتطلعات الإنسانية التي رافقت مسيرة حياته الثرة، رغم تقدم العمر ووطأة المرض الذي لازمه في السنوات الأخيرة.

خسارتنا كبيرة برحيل الشخصية الديمقراطية والأكاديمية الدكتور مهدي مرتضى.

ستبقى سيرته طيبة عطرة وملهمة في ذاكرة كل الذين عرفوه وعاشوا معه وتتلمذوا على يديه.

لكم منا ولكل أصدقائه ومعارفه خالص العزاء.

المكتب السياسي
للحزب الشيوعي العراقي
27 **كانون الأول** 2001

إشكالية التجنيس وخلخلة النص
دراسة في نص (رغوة السحاب)
لمحمود عبد الوهاب

د. عبـد الجبـار عبـود الحلفي

إن النص المتجدد دائماً هو ذلك النص الذي يتوهج بروح متدفقة بالقيم التعبيرية والدلالية والتي تمنحه الفسحة لاجتياز المتعة الآنية للمتلقي ولحظة التدفق والتبلور. وبذلك لا يكون لسلطة المكان أو الزمان أن تعبث بها أو تطمس بصماتها ويبقى المؤلف شاخصاً حاضراً بين ثنيات النص الإبداعي بالرغم من حلحلته وتأطيره بأشكال تؤكد نوع الجنس الأدبي في المشهد رقم (5) (1) هل كان المتكلم في ساعة متأخرة من الليل شخصاً آخر حقاً أم هو السارد نفسه؟ وإذا افترضنا انه شخص آخر لا يعرفه السارد وبعد اختفاء ذلك المتكلم عند منتصف الليل فهل ظل الهاتف يرن مرات أخر... وهل أن السارد كان يرفع سماعة الهاتف؟ اغلب الظن أن السارد استمر في العبث بأرقام الهواتف وبطريقته الاعتباطية كما كان يفعلها قرينه المتلبس به.

وبناءً على ما سبق، لم يعد قارئ النص مجرد عنصر هامشي استهلاكي للثقافة، فأن إحدى استجابات القارئ الواعي هي انه ينتج لنفسه عملاً جديداً وقد تبنى (ايزر) في ظل هذا المنطلق اتجاهين لعملية القراءة فبقدر ما يقدم النص للقارئ رؤية أو متعة أو معلومة يضفي القارئ على النص أبعادا جديدة قد لا يكون لها وجود في النص(2)، انه ذلك النص الذي يتحرر في الأمكنة والأزمنة، تعدد مفاتيح اكتشاف مستوياته وأعماقه باستمرار، وتبقى مادته متجددة وتتنوع وهذا هو سر الإبداع كما أن الكاتب لم يعد وحده يمتلك الحق في إصدار الحكم على تجنيس النصوص فالقارئ الكفء يتميز بقدرات غير محدودة ولهذا كان اختبار النص وتجنيسه يعني بالدرجة الأولى

تشخيصاً للبواعث الأسلوبية فيه بهدف استثمارها في عمليتي التفسير والتأويل، ويبقى النص (الفخم) متوهجاً قابلاً للدخول في لعبة اختبارات من هذا النوع، فعملية الاختبار والتجنيس للنص تخضع لاجتهادات المتلقي ومستويات وعيه بالأدب والحياة ومع ذلك فأن النص المصوغ بعملية فكرية معمقة ومتأنية يبقى مشرعاً نوافذه ومطلاً على آفاق متعددة. ولا ينتهي إلى معنى بعينه ويتحول إلى مستودع للدلالات ومن هنا تعلن بعض النصوص عن سر خلودها بينما يبقى الآخر كالفقاعة.

رغوة السحاب...

أضحت الكتابة لدى القاص (محمود عبد الوهاب) شكلاً من أشكال مواجهة العزلة ومناكدة الزمن بأسلوب ينقل النص هيكلياً من نص تقليدي إلى نص يتناغم ومستوى الحدث بمعنى أن موضوعة الحرب فرضت نسيجاً من البناء يعكس هذا الهم المشترك لجميع الناس، الخوف –القلق– الترقب المضني– أزيز الطائرات –أصوات الانفجارات، الظلام، إذ يبدو أن جوهر (الرواية) هو هذا الإصرار المسبق على تداخل المشاهد مرة ثم قطع العلاقات العضوية بينها مرة أخرى والأسلوب المجزأ للمشاهد هو عمل منضد، مقصود لذاته.

وقد نوه القاص في متن الدليل إلى ذلك بالقول: لم يحتفظ عدد من القصص بخاصيته عبر الاتصال الهاتفي كما حصلت بالبدء، إنما اتخذ شكلاً سردياً في القص استدعته الضرورة الفنية والتنويع في طرائق السرد والخشية من رتابة الشكل الواحد المهيمن –ص 13 – ومع السطور الأولى من (رغوة السحاب) يحملنا السارد إلى عتمة خانقة بالمعايشة مع أرواح محاصرة بالفراغ القلق، العزلة الموحشة والشيخوخة وترقب الفاجعة، أن أمراً فاجعا سيقع – ص22، كما نقرأ "الجو راكد ورمادي وخانق" ص23، وكذلك: وأنا اتبعه دونما رغبة في العودة إلى البيت –ص24 وأيضاً (كنت المح أحزانك خلسة في بعض حركاتك وفي كلامك وفي نظراتك التي تبدو كابية مثل طائر مسن ص49)، كما نقرأ (وبهلع يجتاحني في كل مرة تبدو عودتنا الكئيبة الى البيت ص 23). وتتساءل الشخصية الرئيسة في نهاية المشهد بمرارة وجزع في أثناء العودة إلى البيت ماذا سأفعل هناك؟ – ص 24، وكأن البيت صار مجرد سرير لقضاء ساعات الليل الثقيلة إن لم يكن قد أضحى مقبرة ليس إلا وهكذا ينتهي المشهد (16). في المشهد (14) يذكرنا السارد إذ يغيب المقاتل عن الأسرة والبيت ما كثاً في جبهات القتال وربما لا يعود إلى الأبد ويذكرنا بروايات الكتاب الروس التي كتبت عن الحرب ومنها رواية (ليس بين الأسماء). الشابة تتطلع إلى شاشة التلفاز خائفة على أمل أن تجد خطيبها الجندي من خلال الشاشة الفضية وقطع على الشابة متابعتها شاشة التلفاز لتتطلع إلى جو الغرفة المعتم وتنتبه أول مرة إلى وجود أمها إلى جانبها –ص 33، وفي تلك الرواية الروسية، تبحث الأسرة عن ابنها الجندي الذي غاب طويلاً إذ لا أحد يعرف مصيره في أثناء الحرب التي خاضتها المدن السوفيتية آنذاك ضد القوات النازية: هل رأيته يا أمي؟ هل كان بينهم...؟ ص 34 .

وعلى الرغم من قساوة الحرب وضراوتها وتداعياتها على القيم الاجتماعية الأصيلة فأن الكاتب يحتفظ بوعيه المتفجر مشاهد إنسانية مفعمة بالشفافية والود فالحوار الذي جرى بين الجندي والرجل الذي يدير الفندق، ليلاً ابتدأ بعدم اهتمام جدي بالجندي إلا أن الرجل غير من لهجته وسلوكه عندما استحضر ابنه الذي يعمل سائق شاحنة في الجبهة، إذ تنحى الرجل للجندي عن مكانه في غرفة الإدارة ليرقد فيها ثم اخبره انه سينام في البيت هكذا نفعل عندما يأتي ابني في إجازته –ص 137، ولم يترك السارد الرجل ينهض متجهاً إلى البيت من دون أن يجعل وجهه يبدو ملائكياً إذ غمر وجهه بضوء ذهبي. تلك بعض فضاءات (الرواية) ولا أريد أن أتوغل في كل مفاصل المشاهد إذ أن الإشكالية الأساس في هذا الكتاب أن كان رواية حقاً، أم هو جنس أدبي آخر!!.

رغوة السحاب... هل هي رواية حقاً؟

هل هناك اشتراطات ثابتة ومحددة ومتفق عليها من النقاد والكتاب حول هيكل النص الروائي؟. لقد طرحت الناقدة الفرنسية (مارتا روبير) تساؤلاً حول الرواية: هل تشكل الرواية جنساً أدبياً منسجماً؟ هل يمكن افتراض وجود نظرية للرواية ترتكز على مجموعة قوانين ضرورية كافية وثابتة نسبياً تسمح بتصنيف عقلاني للرواية؟(3). وتجيب: انه افتراض من الصعب تحقيقه في الواقع التاريخي للرواية منذ ظهور النصوص الروائية الأولى –سرفانتس– وغير ذلك– لقد قام النقاد بمحاولات تصنيفية متعددة لكنها لا تتفق كلها حول تحديد مفهوم الجنس الذي يعني إمكانية وجود قوانين ثابتة نسبياً ومتواترة بانتظام في كل نصوص الجنس الروائي(4). إذن ما هو النص الذي ينتمي الى جنس الرواية وما هو نقيضه؟.

إن الرواية –كجنس أدبي باعتقادنا تستمد هويتها وقوتها من حريتها المطلقة في استثمار تقنيات الكتابة الأدبية الموجودة عبر التاريخ واحد الشروط الأساسية هنا وجود ما يمكن تسميته فخامة اللغة أو اللغة الخصبة على الرغم من أن اللغة على صمتها لا يمكنها أن تكون حية وتضج بالحيوية من دون أن تتمكن من استنطاق ما في النصوص من قيم تعبيرية وإشارات دلالية، بينما يبحث الناقد دائماً من التصنيف بوضع اشتراطات وقواعد مشتركة تتحكم في كل النصوص التي تنسب عدلاً أو بهتاناً إلى جنس الرواية وها نحن أمام انجاز روائي عالمي لكاتبين عالميين، الغواتيمالي استورباس ورواية (الهاخاديتو) (5) والمكسيكي خوان رولفر وروايته (بيدرو‌يارامو)– (6) إذ وجدنا أوجه شبه من حيث الهيكل الروائي بين هاتين الروايتين وبين (رغوة السحاب)، فقد استخدم (خوان رولفو) إطاراً خارجياً مرفقاً من جوانب متعددة ضمن نسيج متداخل من قصص لا تكتمل إلا بعد قراءة سياقاتها(7)، وعلى الرغم من أن المترجم قد اضطر إلى ترقيمها فيما بعد إلى (70) مشهداً فأن هذا الترقيم كان ضرورياً لكي يعيد المتلقي ترتيب هيكل الرواية كذلك فعل قبله، الغواتيمالي (استورباس) في روايته (الهاخاديتو) الصادرة عام 1961 إذ قسمها إلى ثلاثة

أجـزاء، ضـم الجـزء الأول (21) مـشهـداً والثاني مشهداً واحداً، أما الجزء الثالث فقد احتوى على ستة مشاهد، كان آخرها يتسم بلغة قلقة متوترة ساخنة مبتسرة شفافة ومن الصعوبة العثور على رابطة بين المشاهد في الأجزاء الثلاثة إلا أن القارئ الواعي يدرك بعد القراءة الثانية للرواية أن (استورباس) يحافظ على وحدة الموضوع تيه الإنسان في هذا العالم المضطرب وغربته، واهتزاز القيم. ولقد كتب (محمود عبد الوهاب) روايته، بأسلوب التجاور (Juxtaposition) الذي هو واحد من طرائق عدة للتحكم السردي، إذ تلجأ اغلب النصوص السردية المركبة إليه كالرواية ويعتمد هذا النظام على توالي القصص أو تجاورها مع مراعاة وجود رابطة بينها وقد يكون في الغالب شخصية مشتركة لأنها ستشكل الحجر الأساس للتماسك النصي(8) وقد يبنى السرد على مشاهد متداخلة أبهامياً من حيث الشكل يربطها فضاء واحد مشحون بطروحات متعددة في السرد وفي الأفكار (الحرب) وقد كان مفتاح الرواية هو الدليل الذي غيب العنوانات للمشاهدة، ولذلك تبدو المشاهد للقارئ أن لا رابط بينهما بل أن السارد نفسه أشار وفي مشهد (الصباح) وبعد أن تسلم حافظة جاره إلى انه (لم يلتزم بالتسلسل في القراءة....ص14) وهكذا تأتي المشاهد غير مرتبة إذ (يستثير السارد الغرابة لدى القارئ بمشهد العجوز ومظلتها الملونة في الدليل العاشر..(ص 59) وهي تقطع بساقيها غابة (فيلانوف)؟. انه فضاء ينتمي إلى فضاء (رغوة السحاب) ذلك هو حب الوطن الذي يتفجر ويصبح ساخناً في أثناء المحنة وبعدها، لقد عانى الشعب البولوني من حرب شنتها النازية بهدف استعماره قبل أكثر من خمسين عاماً مضت.

لقد تجذر حب الوطن في عروق هذه العجوز وهي تصارع الشيخوخة، (أخذت انتقل بنظراتي بين كف العجوز ناتئة العروق وجذور الشجرة المتصلبة الممسكة بالأرض، التحمت عروق الكف وجذور الشجرة في عيني حتى انبثقا معاً في زمن واحد وتربة واحدة..ص62)، فضاء مشترك بين ما عاناه الشعب البولوني من حرب ضروس وما عاناه العراقيون من حرب عدوانية استهدفت حضارتهم ووجودهم شاركت فيها أكثر من ثلاثين دولة ومن هنا وتأسيساً على ما سبق من الجدل، يمكن تبرير تقسيم الرواية إلى مجموعة من المشاهد يمكن أن تلغي بعضها من دون أن يؤثر ذلك في الحكايات الأخرى كما أن السرد ينهض بصوت سارد يتذكر ولهذا لم تنفرد بحضورها كما أن الكاتب يؤسس خطابه ممثلاً في فعل القص في حد ذاته ومن ثم لم يكن السرد مجرد تقنية ينقل أفعالاً بل تحول إلى غاية ولقد أقصى الكاتب الروائي من داخل النص إلى خارجه واستبدل وظيفته من الرواية والتلفظ والإحالة على ما يقوله المؤلف إلى الشهادة على ما يقوله النص وبذلك جعل الكاتب سلطة الكتابة تجسد هيبتها في الشهادة التي يمارسها الخطاب الأدبي، تاركاً وظيفة تأطير النص سردياً إلى رواة متماثلين سردياً مع ما يفعلونه رواة هم عينهم شخصيات النص الأساسية من أمثال، المرأة الخطيبة –التي تبحث عن معالم خطيبها على شاشة التلفاز.

والجندي البدين في الحافلة والجار الذي سلم حافظته إلى جاره الراوي. لقد حاول (محمود عبد الوهاب) الكشف عن الواقع من خلال بدائل فنية عبر الشكل الروائي الجديد متلافياً ما يسميه البعض: الشكلانية التلفيقية (9)، وربما كانت رغوة السحاب أقصوصة طويلة (Novelette) قام الكاتب بتحويلها (Novelette) إلى عمل روائي، وإذا ما سلمنا بأن ليس للرواية العربية نموذج عملي موروث يمكن أن يشكل سلسلة من التحولات عبر حقب متصلة إلا أن ذلك لا يعني إلغاء الابتكار في الشكل الروائي استجابة لمتغيرات حضارية وفنية واستنبات نموذج ينسجم مع متغيرات العصر في ثقافته من دون إهمال الوجدان العربي. أن الكاتب المبدع يبحث دائماً عن رؤية جديدة في الكتابة ورؤيا لموضوعاته تخترق الواقع نحو التكهن.

الهوامش

1- محمود عبد الوهاب، رغوة السحاب، رواية دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1 -2001 بغداد، ص 59 .

2- علي ملاحي: مفاتيح تلقي النص على الوجهة الأسلوبية، مجلة اللغة والأدب، العدد 14، ديسمبر 1999، معهد اللغة العربية –الجزائر، ص 19 .

3- محمد ساري النص وعلم النص، إشكالية التعريف، مجلة اللغة والأدب، العدد ١٢، ديسمبر 1977، الجزائر، ص 145.(والنص المترجم من كتاب الأصول الروائية واصل الرواية) للناقدة الفرنسية (مارتاروبير) الصادر عام 1972 عن دار برنارد غرامية:- الباحث).

4- المصدر السابق نفسه، ص145 .

5- استورباس: (الهاخاديتو) ورواية د. سامي الجندي دار الكلمة للنشر، بيروت – لبنان، ط 1، 1981 .

5- خوان رولفو: (بير وبارامو) رواية، ترجمة: مروان إبراهيم، دار المأمون / بغداد، 1990 .

7- المصدر السابق نفسه: ص ٢٢ / المترجم.

8- الطاهر روايتيه: النص: البنية والسياق، مجلة اللغة والأدب، العدد (8) 1996، جامعة الجزائر، ص 67 .

9- محمد برادة اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، مجلة فصول، المجلد (4) العدد (3)، ابريل / نيسان 1984، القاهرة.

جان دمّو . . . الشاعر الذي خرج للحياة من رحم النبيذ

نبيل عبدالأمير الربيعي

جان دمّو الشاعر الصعلوك المتشرد الذي فتح لجيله الطريق إلى الجُرأة الأخلاقية والغنى..لم يعجبه أسمه (دنخا) فغيره ليختار الاسم الموسيقي إسماً بَديلاً (جان دمّو) فحقق رغبته وحملَ جسَده وسافر إلى بغداد لينشُر روحه على أرصفتها وحاناتها وهياكل الأصدقاء. وهنالك رأي آخر إن الدكتور جليل العطية نشر اسم جان دمّو في جريدة (صوت العرب) في ظل خبر عن المستشرق الكندي المعروف (جان دمّو) وفي حينها كان يقوم بزيارة إلى بغداد، وقد اشتهر دمّو الشاعر منذ ذلك الحين.

ولد في مدينة كركوك منطقة عرفة عام 1943 لعائلة آشورية فقيرة كادحة تتكون من أُختين وأخوين، كانت تبني آمالاً عليه ليعيلها كحال كل العوائل العراقية الفقيرة الكادحة..يقرأ الأدب باللغتين العربية والانكليزية، عند مطالعته للشعر الأوروبي وجده مختلفاً عن الشعر العربي. تميز منذ صغره بالنباهة والميل إلى القراءة والكتابة، يترجم للعربية ويقول شعراً غرائبياً. درس في مدرسة الخالدية الابتدائية في كركوك وأكمل في متوسطة كركوك حتى وصل لمرحلة الإعدادية، ذكياً في درس الرياضيات. لم يمر في باله بأنه سيكتب شعراً يوماً، كانت عائلته تلقبه بـ (جيمس دين) لأناقته وجماله. كان قليل الكلام يكتب الشعر ويقرأ الكتب مع صديقه (جليل القيسي). أحب في مقتبل حياته مُعلمة ولم يصرح بحبه لها فتزوجت وتألم كثيراً، فتركت أثراً سلبياً على حياته فيما بعد.

لتأثره بالشاعر الفرنسي (رامبوّ) ومقولته (ليس من المجدي أن تبلي سراويلنا على مقاعد الدراسة) مما أدى إلى تركه لمقاعد الدراسة والتوجه إلى العاصمة بغداد بعد سوء علاقته مع والده، بسبب رغبة دمو

بالعيش في العاصمة. كان واثقاً من نفسه كشاعر مُبدع، وواثقاً من أدواته ثقة عميقة، لا يؤذي أحداً ولكنه طريد. لديه لغة لها طاقات ورؤى جيدة وحرارة قلب، كما له شاعرية حقيقية، و مظهره قد قرفه الشعراء المعتبرين، لكن ما أن يحضر يَهيّبه الشعراء للسانه السليط، بين الوجه الخشن وتردده على نادي إتحاد الأدباء يطلق جان العنان لشتائمه وسبابه. في وقت النظام السابق وماكِنته الدموية الذي استخدم أشباه الشعراء المداحين، لم يسر بهذا الركب جان دمّو كطبال ومداح، أو مروّج لأناشيد الحروب ومهرّج في بلاط الخليفة. كان يسير في شوارع بغداد وأزقتَها وحاناتها والمقاهي، مثل نهر يؤكد وجوده بالانتقال من موجة إلى موجة غاضاً طرفه غير مغمور بمدائح الشعراء للنظام و " بوابته الشرقية "، كانت حانات بغداد تستقبله إلا نادي إتحاد الأدباء، فقد مُنع الدخول إليه وطُردَ أكثر من مرة.

كتب رياض قاسم في عام 1993 في جريدة الجمهورية مقالة بعنوان" مساحة جان دمو" جاء فيها: (فإن جان دمّو أكثر نفعاً من الذين يسهبّون ويُفصلون شيئاً.. فهو لا يقول إلا القليل ولكنه يقول الكثير). كما نشرت جريدة الزمان لقاء مع دمّو بعددها 240 الثلاثاء 2-2-1999 للكاتب محمد العباسي بعنوان (أنا مخدر بقيلولة أزلية) كان دمّو "يصرخ بالأسى في هذا اللقاء المعهود عنه كناية عن منطقة اللاوعي التي يعيشها كفعل غيبوبة إستغراقية، حيث يبدو الصحو عدواً بالنسبة إليه، أو حالة لا شعورية بالمعنى الفني..فهو يحضر كخرافة شعرية خارج نصهِ، أكثر مما يفعل داخل أثره الشعري، إذ لا يشبه نصوصه حد التطابق بها وحسب، بل يعيشها بما يشبه كتابة الحياة بحراك الكائن البشري، ليكون جسده مكاناً للكتابة". كما أنه يستمد شعره من عالم مادي محسوس يعني الآخرين، وظاهرة شعرية هي مزيج من عناصر فنية وإنسانية متضادة، وخلطة سريالية فيها شيء من الصعلكة، كما أصبح اللاوعي عنده لغة ومنظومة لسانية، فهو في غيبوبة كبحر لا ينضب من اليقظة.

جان دمّو ذلك الوجه المتعب، المخّدد بالحفر، ولكن كانت روحه حافية وفمٌ بسن واحد فقط، له منظر يُقرف الشعراء المعتبرين، ولكن لكل هذا وله معجبين كعادة الصعاليك المتشردين الذين يلقونه بمحبة وتعاطف استثنائي. له شاعرية حقيقية مستمدة من طبائعه العبقرية المفرطة في الأنا، شفاف الخيال ذو عينين البراءة في نظراتهما. بلغ حالة الزهد والفقر في حياته وترحاله، ويعتبر المرأة ثمرة لا يمكن اقتطافُها في حياته بسبب تشرده. دمث الأخلاق لطيف المعشّر، مدمّن الكحول بانتظام لتدمير ذاتيته.

دور جان دمو في الحداثة الشعرية:

للحديث عن جان دمّو وقصائده التي تُعتَبر جزءاً من حركة الحداثة الشعرية، ومواقفه الشعرية الباهرة، مثلما كانت مع قصائد الشاعر الراحل حسين مردان الذي كان مزاجه وتصرفه وسلوكه اليومي ونثره المُركَز جزءاً من الحداثة وقصيدة النثر العراقية، فقد كشف لوحده إمكانية شعرية جديدة عبر استخدام النثر كوسيلة ولكن كان إهماله المتطرف ما أفقده الكثير من قصائده. رغُم غَزارة إنتاجه، إلا أنه لم يَنشُر إلا القليل من قصائده في الصُحُف والمجلات ومنها

مجلة شعر عام 1969 في العراق، إذ كان أحد أصوات (جماعة كركوك) التي ضمت إلى جانب جان دمو، الراحل سركون بولص وفاضل العزاوي وصلاح فائق وأنور الغساني ومؤيد الراوي، الذين اتصفت كتاباتهُم الشعرية بنمط خاص من الشعر، وقد كان جديداً في العراق بسبب إطلاعهُم على الأدب العالمي، فكانت تجربة مستقلة تعتمد على النثر وابتعادها عن البلاغة المتوارثة، وإدخال القاموس اليومي إلى نسيج القصيدة والتقاط الصورة الشعرية، إذ أنها اقتربت وتأثرت بالشعر المترجم. لكن هذه التجربة قد أخذت نصيبها من النقد والتنظير والدراسة، وطرحت الآراء حول عدم قناعة بعض الشعراء بهذا الأسلوب ومنهم شاعر العرب الكبير محمد مهدي الجواهري. يذكر الشاعر والكاتب فاضل العزاوي في (الروح الحية ص297): (إن دمو كان يكتُبُ الشعر، لم ألتق به كثيراً في كركوك فغاب عن ذهني حتى قرأت له قصيدة في جريدة الأنباء الجديدة في العام 1964 فذكرته ثانياً). لقد كانت ظاهرة دمّو في الحركة الشعرية أكثر من كونه مؤثراً فاعلاً فيها، فيتخذ من (سارتر) أباً روحياً ومن (بودلير) نديماً. لم يكتب قصائد كُثر ولو كتب مقدار ما تشرد لكانت أشعاره لها ركن في المكتبة العراقية. يؤكد الناقد عدنان حسين أحمد في مجلة عيون عدد١٥ أن دمو: (يشكل ظاهرة حياتية متميزة أكثر من كونه ظاهرة شعرية متفردة في الوسط الثقافي العراقي، بل أنه ببساطة كان يؤثث الأمكنة الثقافية العراقية، فلا معنى لمقهى (حسن عجمي) أو إتحاد الأدباء من دون جان دمّو، أو زملائه العبثيين).

و يصفه الشاعر سعدي يوسف بمقالة تحت عنوان (جان دمّو إلى أين؟) يقول: " في عمّان مطالع التسعينات، كان يزورني يومياً تقريباً، ومن يعرفون جان لهم دراية بما تعنيه زيارتهُ!، قال لي في زيارته الأولى: هذا البيت ليس بيتك. انه لنا!

ـ أنتَ تأمرني، يا جان

ـ أقول لكَ هذا البيت ليس بيتك!....

ـ أتعرف يا سعدي أنني كابتن فريق في كرة القدم؟ أخذوني إلى الجبهة، وألبسوني بدلة الجيش بدلة الجيش الشعبي و كأنني كابتن فريق في كرة القدم، وكانوا يطعمونني دجاجاً!، لكنني لا أحبُ الجبهة والخنادق، فأهرب، بلا إجازة، وأذهب لأشرب في إتحاد الأدباء، أسكرُ فأشتم سامي مهدي، أقول له إن سعدي يوسف هو الشاعر. يضحك سامي مهدي، لكني في اليوم التالي أستفيق، لأرى أنني في مستشفى للأمراض العصبية، قريب من إتحاد الأدباء. أقول مبتسماً لحالي: هذا المكان خير من خنادق الجبهة! لكنهم لا يبقوني في هذه النعمة طويلاً".

أما الكاتب عباس بيضون فيصف حال جان دمّو بمقالة (مجنون العراق وعدوّ المجتمع) يقول: " جان دمّو لم يكن يميز كثيراً بين الليل والنهار ولا بين الوعي الباطن ولا بين الحياة والموت، والأرجح أنه عاش معلقاً بين الحدين، بل عاش مفقوداً في كل مكان، مثله يجعل من بغداد متاهة ومن عمان شتاتاً ثم يكون أحلى ما يكون في سيدني"، لكنه رحل من سدني بعد أن توقف قلبه النابض بالشاعرية وحب التسكع، وبهذا تمكن من التخلص من النظام الشمولي الذي كان يقطع الآذان ويجدع الأنوف ويعدم الهاربين من الجندية ويمنع الضحك والشتيمة إلا جان

دمّو الذي كان يسمح له بذلك ويتفاداها الجميع.

في حوار مع الكاتب هادي الحسيني نشر في مجلة عيون العدد 15 عام 2003، سأل المحاور دمّو عن رأيه في الحركة الشعرية العراقية فكان رده: "الشعر وحده لا يكفي على الرغم من أنه الخبز اليومي للشاعر، أما فاعليته وحركته أين الآن! لقد إنثلمت، وهل من المعقول أن كبار شعراء العراق هم في النظام الذي يحاول أن يمسُخ كلَّ شيء وتحديداً الشعراء.. انه يخنق تنفسهم ويجعلهم في قطيعة دائمة فلماذا البياتي وسعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر وفؤاد التكرلي وآخرون من الكبار خارج العراق!الكُل يحاول أن يستنشق الأوكسجين بحرية".

كما حاوره الكاتب عدنان حسين أحمد التي نشرت في مجلة عيون الأدبية العدد 15 عام 2003 حين سأله عن وضع العراق أيام الدكتاتور وفيما بعد التغيير:

ـ "هل تعتقد بأن هذا الأمر يقع على عاتق السياسيين المحترفين بالدرجة الأولى، كان جواب دمّو: ـ أنا لا أثق بالسياسيين.. بل أثق بالمثقف.. أنا أعتقد إن العراق قد نزف نزيفاً غريباً منذ أقدم الأزمنة وحتى يومنا هذا.. في الماضي القريب قدم الحزب الشيوعي تضحيات كبيرة ولا تقدر بثمن.. حقاً لقد شلتني محنة العراق ولا أدري ماذا أفعل الآن".

ـ هل كان جان دمّو شيوعياً؟

ـ أنا شخصياً تعرضت لصدمة أسمها الشيوعية، صحيح إنني لم أنتمِ إلى الحزب تنظيمياً ولكنني روحياً كنت مع الشيوعيين، ولم تمر لحظة في حياتي دون أن يكونوا أمام ناظري. وبسبب ذلك تعرضت لإساءات كثيرة لأنني كنت مؤمناً بالفكر الماركسي حتى أن عبدالرزاق الصافي أهدى واحدة من قصائدي لصحيفة "طريق الشعب".

مواقف وطرائف جان دمّو:

كان يعيش دمّو خارج الأحداث والتأريخ بسبب دبيب الخَمرّة في رأسه وشغله الشاغل، إذ يذكر إنهُ عُيّنَ في جريدة الجمهورية مسؤولاً على الأرشيف وذات مرة طلب مدير الأرشيف من جان دمّو أن يجلب له بعض صور الحرب العراقية الإيرانية فما كان من جان إلا أن أجابه بطريقة تهكمية ومستفهماً: (أي حرب!!)، فالشاعر دمّو لا يهتم ولا تعنيه الحرب وجبهات الموت المجاني. وفي يوم انتمى إلى منظمة التحرير الفلسطينية وحين سأله الناقد عدنان حسين أحمد: لماذا انتميت إلى منظمة التحرير الفلسطينية يا جان؟ كان الجواب ببراءة طفل صغير: "لا شيء لكي أتخذ من سطحها مأوى لي". وفي يوم شتم وبصق بوجه وكيل الوزير في إتحاد الأدباء مستغلاً خجلهِ الاجتماعي لأنه كان بصحبة بعض الوجوه الاجتماعية والأدبية والسياسية، فغض الوكيل الطرف عن الإهانة لائذاً ببعض الشخصيات الشعرية المعروفة في العراق.

ومن الطرائف التي مرت به فترة الستينات، كان يتخطى عن الأعين نهاراً هروباً من تأدية الخدمة العسكرية ولكن تم إلقاء القبض عليه ووضعَ في السجن لبضعة أيام، فما كان منه إلا أن نادى ذاتَ ليلةَ على الحارس وقالَ لهُ:

هل لَنا أن نستنشق رائحةَ البحر وفي الليل نسامر نجوم السماَ... رمَقهُ الحارس مندهشاً ثمَ مضى بعيداً عن الكوة الضيقَة التي كان يقبع خلفها دمّو. كانَ يهتم

بدواوين الشعر ولكن الديوان الذي لَم يعجبه يرمي به من نافذة الباص حين لا يجد فيه ما يُثير اهتمامه.

الاحتفاء بجان دمّو في إتحاد الأُدباء:

كان من أصدقائه في بغداد نصيف الناصري وحسن النواب والراحل كزار حنتوش، فكان دمّو يصرح لهم إنه لا يقلد أحداً في الشعر لأن التقليد إهانة. وعندما جمعوا أصدقاءه قصائده المبعثرة لإصدار ديوانه (أسمال) لم يكن جان موافقاً على المجموعة الشعرية فقد قال إنه وقع العقد لطباعتها تحت ضغط الإفلاس ولا يريد أن تقام له أُمسية في إتحاد الأدباء الذي يتفنّن في طرده من حدائقه وكان القائمون عليه يعتبرون جان دمّو ظاهرة من الشتائم ليس أكثر لا يوجد لديه ما يقول شعراً.

في أحد الأيام أقام إتحاد الأدباء ندوة يحيها دمّو، كان لا يزال يشرب منذ منتصف النهار في الطابق الثاني من حانة روافد دجلة ويتأمل ساحة التحرير وجدارية فائق حسن. لم يكن أحد من الأصدقاء والأدباء لم يتوسلَه وهو يرفض عبر شتائمه الذهاب إلى الأُمسية. تم إغراؤه ببعض الدنانير لسد ديونه ودفع حساباته المتأخرة في الفندق في بغداد، ولكنه لم يُذعن لتلك الُمغريات التي يريدها فعلاً. وأخيراً سارع الشاعر عريان السيد خلف لإنقاذ الموقف وأحضَره في سيارته المتواضعة لإلقاء محاضرته، بعدَ أن رفضَ جان الركون في سيارة مرسيدس فارهه، كان أحدهم قد أحضرها ليزفه فيها كإشارة للتحدي والإهانة. حضرَ دمّو الأمسية وعنف الجمهور الحاضر ووبخهم، كانت القاعة تزدحم بالأُدباء الشباب فكانت آراؤه وذائقته الشعرية قد وجهت العَديد من الشباب، كان الشاعر حميد قاسم مرتبكاً لتقديم الضيف للأمسية، لخشيته أن يقوم جان دمّو بتدمير كُلَ شيْ على الطاولة. لكن دمّو بدأ الكلام برزانة ورصانة وبلُغة عربية سليمة مُنتقاة وفق رؤيته الحداثوية، وقَدمَ استعراضاً تاريخياً للحركة الشعرية في العراق وربطها في سياق الشعرية العربية والعالمية. كانَ حديثاً كناقد وشاعر يمسك الشعر من أسراره وعلاقته بجماعة كركوك وكيف تم التكتيم على دورها التأريخي في الحركة الشعرية العراقية في هذه الندوة، وبدأ حميد قاسم بقراءة قصائد دمّو بسبب عدم امتلاكه النظارات الطبية وقد خانته عيونهُ، وكان يُردد أثر إعجاب الجمهور بقصائده.. اللّه!! اللّه!!. صدق هذا شعر.

من شعر دمّو:

نحو العبور ميتاَ
أساهم في
تطوير الأسبوع
أسجن نفسي
أستطرف قدوم الرمل. ونواحه في جذور جبهتي
أجراس المطر تتراجع منذ ساعات
فوق غابات موطن طفولتي
(1982/4/23، جان دمّو

من قصائده (ساطع كصلاة صباحية):

النافذة مفتوحة
القلب مفتوح
السماء أيضاً مَفتوحَة
وهناك في مكان بعيداً تدور الحرب
حرب الكل ضد الكل
حرب اللاحرب
.....

إن تشرد دمّو وحياته القاسية وإدمانه وعبثه وشعوره بلا جدوى وحالته النفسية وضعف

قدرته على التركيز، للخمر الذي يتناوله أدت إلى تباين كبير في مستوى قصائدهُ:

بالسر يتركز النوم
في أشد المناطق ناء. أُقذف بفنائر
أنا أيضاً كُنت يوماً فريسة حاجة في عِضه
ولكنني كُنت على وفاق مع متطلبات الربيع
تَعلمت أن أكون أنا
وأن أترُك للواقع أن يتكفل..
المسافة تقصر، والحقيقة تتآكل

كان دمّو يردد قصائده عندما يسكُر وسط شارع الرشيد وفي ساحة التحرير وفي كل مكان يبصق ليبلل لسانه ويخرج أوراقه من جيوبه متسخة وينطلق:

أريدُ مأوى أريدُ حُرية
أريد الجهات كُلُّها تلتهب، وتبقى الثمرة
في الوسط طيور كاسرة ترفّ
فوق الأسلاك
.....
أين نحنُ من تكنولوجيا
الرُعب؟أنظل أسرى
الهواء؟ أدغال، أحراش
بريئة تصدُ البَصر
والمسامير صدئة صدئة
بفعل الأيون

سفره إلى بيروت:

سافر إلى بيروت للإقامة عام 1974 عندما كانت ملجأ للهاربين من السلطة إلى حيث الحرية، لكنه طُرد منها بسبب صعلكته وتشرده بعد سَنتين بقرّار دولة. يذكر الشاعر فاضل عباس هادي" جان دمّو: لماذا طُردتم هذا الشاعر):" كانت دورته اليومية تبدأ في (الأنكل سام) مروراً بشارعي (جان دارك و بلس) ثم ليعود منتهياً في بيت أحد أصدقائه الكثيرين، إذ لم يكن لجان دمّو المنقطع الجذور عن كل ما هو قائم والغائر بطريقة ما، لم يكن له مكان يبيت فيه. ذات مرة التجأ إلى النوم على سطح إحدى البنايات، وبالتالي كان مضطراً إلى الهبوط في الفجر قبل أن يستفيق البواب". كان يحلم بكتابة رواية هائلة بيد أنه في أحيان كثيرة، كان يستبدل الرواية بقصيدة.

تعرفَ إلى صديق لبناني مأخوذ بشاعريته، فكان الصديق يدفع وجبات طعام دمّو مقابل عدد من القصائد وقد دام هذا عدة أشهر، حتى جمع الصديق الكثير من شعر دمّو، بعث بعضها للكاتب عبد القادر الجنابي وقد نشرت في (الرغبة الإباحية) في نيسان 1974 مع تعريفة للقصيدة المذكورة. لكن يقول الجنابي (هذا الصديق اختفى كلياً واختفت معه ما أملاه دمّو من قصائد شهية.. آمل أن يقرأ صديقُنا اللبناني الذي لم أعُد أتذكر اسمهُ، وخبر موت صديقه فينشر قصائد دّمو). في يوم أعطاه يوسف الخال قصائد ليُترجمُها لكنه فقد القصائد والدفتر الذي يمتلكهُ.

ومن قصائد الوجبات الغذائية في بيروت يقول جان دمّو:

عاش بقلب منعّم بالألغام
طوال حياته
في صيف كله أسرار وطلاسم
اكتشفت
إن تحت مياه الجرح
كنارا

كما يذكر صديقه فاضل عباس هادي الذي سافر معه إلى بيروت في مقال على النَت:

(عندما ذهبتُ معه إلى الأمن بغية تجديد إقامتهُ، فوجئت بالسرعة التي خَتَموا فيها

جواز سفره، جان وضع الجواز في جيب بنطاله الخلفي من دون أن يتأكد من ماهية الخَتم وعندما وصلنا إلى مقهى (الأنكل سام) بدأت الشكوك تراودني حول طبيعة الخَتم السَريع، قلت لهُ: هل يُمكن أن أرى الجَواز؟ وما رَأيت " بلاغ بالمغادرة" مغادرة لَبنان خلال 24 ساعة.

ديوانه اليَتيم أَسمال:

صدرَت للشاعر الراحل جان دَموّ مجموعة شعرية يتيمة (أسمال) التي طبعها فاضل جواد في دار الأمد، وقد جُمعَت هذه القَصائد من قِبل أصدقائه. ولكن أسمال جاءَت متأخرة جداً أي إنها بُثت على حافَة السلوك الذي مَكَث طويلاً متخفياً حتى أرهق أناه الشعريَة. كما لم يمنح في هذه المجموعة دموّ مساحة للمرأة في عالمه المعاش لأنَ الأنا في ذلك المحور فاقت الموضوع المحبوب. والبعض يؤكد أن جان دموّ، لم يكن موافقاً على المجموعة الشعرية فقد قال: إنه وقعَ العقد لطباعتها تحت ضغط الإفلاس ولذلك كان يرفض إقامة أمسية في اتحاد الأدباء، إضافة إلى أن الإتحاد كان يتفَنن في طرده. وقد علقَ الكاتب سلام سرحان بمقالته: (اقذف بغنائك..سقوطي يمتع جوهر الروح)، إن استدراج الشاعر إلى النشر تم تحت إغراءات نفسية يعرفها هوَ وحده مع مجموعة الصعاليك المحيطين به، فوعدَ بزيارة الدار ودراسة أمر نشر مجموعته الشعرية... قصائد جلبها الشاعر نصيف الناصري وأُخرى جلبها الشاعر حسين علي وأخرى جلبها القاص علي السوداني وأخرى جلبها القاص يوسف الحَيدري، وأخرى منشورة في مجلة قديمة... حتى جمعت قصائد المجموعة... وحين عَلَم بالأمر طلب مراجعتها لتجنب الأخطاء.. وحين طالعها "زَمجّر" بالفاظه المعروفة، وقررَ إعادة كتابة بعض القصائد مع إعطائه فترة زمنية لإنجاز مشروعه الشعري الذي يلحُ عليه منذ زمن، هكذا جُمعت القصائد التي تضمنت 17 قصيدة قصيرة وقد صدرت عام 1993..

من أعماله التي لم تنشر وحتى بعدَ وفاته هي (حذاء في الجبهة) ورواية بعنوان (يوميات صعلوك إنطاكية) لحُبه اسم إنطاكية ولها وزن موسيقي مؤثر في نفسه، ورواية (مضادة لقوانين تجريم الأفواه الباصقة في كل لحظه على موائد الحرب) و(ثاني أوكسيد البيجاما). ترجم دموّ الكثير من الترجمات الشعرية والقصصية والنقدية كقصائد (تيد هيوز) نشرت في إحدى أعداد (الأديب المعاصر) ودراسة سلفادور دالي نشرت في مجلة الأقلام.... في عمان قدم دموّ أوراقه إلى الأمم المتحدة، فسافر على نفقة الأمم إلى استراليا حيث سيلتقي شقيقه.. وأخيراً أصبح لدموّ حقيبة واستقبله في منزله استقبالاً حاراً.

كان جان يحيا موتاً بطيئاً، لكنه أغمضَ عينيه وغفا كما لم يغف طيلَة حياته لهذا بقي خمسة أيام دونَ أن يحسّ أحدً بموته!! رحل الشاعر جان دموّ في الثامن من مايس 2003 في استراليا بالسكتة القلبية.

قصيدتان للشاعر سلمان

أين كنتَ؟

أمسِ حين مررتُ بحيٍّ قديم
بِرِ شهقتْ رئتي...
ونشقتُ الهواء
شممتُ روائحَ والدتي..
وحليبُ الأمومةِ فوق الشفاهِ
لم يزلْ عندما غادرتني
تقرَّبتُ جدرانَه:
لَكَمْ هَرِمتْ!
نبضتْ حين ثانيةً تقرّبُها
أجهشتْ:
أعرفُ هذهِ اليدَ..
أين كنتَ؟
فأغضيتُ من خجلي!
لمستُ بِرِ بعضَ أبوابِرِ
تأوّه منتشياً خشبٌ تآكلَ

أهسَّ
استعارَ فتوّتَرُ
فأحسستُ أنَّ رمادً سَرَتْ
بمساماتِرِ النخراتْ
صار يلهثُ من فرحٍ:
أين كنتَ؟
لمستُ بِرِ مطرقةً من نحاسٍ عتيق
أمسكتْ بأصابعي
قبلتْها..
تساقطَ عنها الصدأ
ذهباً عادَ يلهثُ منها النحاسُ:
أين كنتَ؟
مشيتُ بِرِ
تجاهلني ناسُرُ
فما عرفوني
غير أنَّ زقاقاً صغيراً درجتُ عليرِ
صاحَ: يا مرحباً..

يـاااااااهْ

وقهقَهَ:

لَكَمْ كنتَ وحدَكَ تلعبُ

ثم تتعبُ..

وتنامْ

وخدُّكَ.. سنابلُ شعركَ

بالقبر ملتصقانْ

ويأتي أبوكْ

حرقةً..

أبوّتُه تتساقط دمعاً عليك!

يشُمُّكَ.. يحضنُكَ

وهو يمُدُّ عليكَ جناحَ الحنانْ

فهلْ ستفكر بالـ.....

أين كنتْ؟

تسونامي

نبعٌ رقراقْ

وعوالمُ خضرٌ حالمةٌ

تتشكّل في رأسي

وسماواتٌ منخفضةٌ أحلمُ أن ألمسَها..

أقطفُ أنجمَها..

مثلَ فواكه طازجةٍ.

ومساقطُ ماءٍ يتطاير

شلالاتٍ تتأرجحُ

تنثر بهجتها

لكنَّ بمنتصف الليل

وكان الوقتُ شتاءْ

فاجأني طغيانُ صنوجٍ..

وطبولٍ من ماءْ

كل الأعماق انفجرتْ ناراً

وصواعقَ..

ورعوداً

فانهارتْ كلُّ سدودِ الوعي

تشبثتُ بأعصابي.. جالدتُ..؛

وكان الهَذَيان

يطفح من أعماقِ مغاراتٍ كانت تعصمُني

كلَ سنيِّ العمر

إمتلأتْ عشراتُ الأسطر

بحروفٍ لا أفقهُها

لا يربطها أدنى خيطٍ

كل خيول الكلماتْ

جُنَّتْ

قطّعت الأرسنَ

كانت تعدو فوق الصفحات

تلوكُ أعنّتها غضباً

زَبَدُ الكلماتْ..

يطّايرُ

فإذا أعيُنها جمرٌ

وسنابكُها تضرب فوق الأسطرِ

مثلَ مراوحَ..

لم أسمعْ همْحمةً وصهيلاً

يتلاحقُ من قبلُ

كزمجرة الرعد الآن

ورويداً

بدأتْ تهدأُ..

تهدأُ..

تهدأُ..

قمتُ ألملمُ عشراتِ الصفحاتِ..

كما جئتُ في ساحةِ حربٍ!

كنتُ أحاولُ أن أفهمَ منطقها

وتسلسلها

أن أمسكَ أرسانَ أعنّتها

فتزوغ

وأحاول ثانيةً..

فتزوغ

فإذا عرقٌ يغمرني.. ولهاثٌ محموم

وإذا بي أهمدُ..

أهمدُ

بفراشٍ من ريشِ نعامٍ

وأنام!!

الرواية الثالثة

عبد الستار نورعلي

عبد الستار نور علي، من مواليد بغداد / باب الشيخ، خريج كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ قسم اللغة العربية، عمل في سلك التدريس لمدة خمسة وعشرين عاماً. يكتب الشعر والمقالة النقدية والسياسية والترجمة في الصحف والمجلات العراقية والعربية منذ عام 1965، وعلى مواقع الانترنيت المختلفة حالياً. وهو مقيم في السويد منذ عام 1992 حيث أصدر: على أثير الجليد (مجموعة شعرية بالعربية والسويدية)، في جوف الليل (شعر)، باب الشيخ (مقالات)، شعراء سويديون (دراسات ونصوص)، جلجامش (ترجمة لمسرحية شعرية للشاعر السويدي أبه لينده).

أقِمِ اليومَ على الجُرْفِ
ولا تقفزْ إلى الموجِ
فتُسقَى منْ صديدِ الغورِ،
إيّاكَ!
فإنَّ الخازنَ الموقوتَ في البرجِ على البندولِ
قد أشرفَ أنْ يُشرعَ بابَ العرسِ
في وادي المنونْ
قد حملتَ الجرحَ أياماً... سنيناً

ولقد أحسنتَ في البحرِ الظنونْ
كانَ ريحاً صرصراً
مِنْ رَجْعِ زاكَ القارمِ الموعورِ
مِنْ خلفِ ضبابٍ في العيونْ
وسفينُ الرحلةِ الحاملُ
منْ كلِّ فجاجِ الفمِ
ألواناً من الأحرف
أسفاراً من الألواحِ
منْ غيرِ أسانيدِ رواةِ الدربِ

أو رَجْعِ السنينْ

فتمورُ

تحرثُ ناقتَها عند رمالِ البيدِ

والصالحُ في الواري غريبٌ

وأنا في يدهِ قنديلُه نارٌ ونورٌ

والسرابُ اجتاحَ وادينا

فأطفأتُ ثيابي عندَ رجليَّ

ارتديتُ الماءَ

علَّ الحرفَ فوقَ الجسدِ المكدورِ

يهديني سواءَ البحرِ

أو عصفَ الحنينْ

ولقد تهتُ

أقاموا حفلةَ الاطفاءِ في بابي

أنا المكدورُ يا ربِّي

أنا المقدورُ أنجدْني

فصوتُ الخَلْقِ قد أوقفَ بتَّ الصوتِ

عند السدرةِ الكبرى

فهلْ أيديكُمُ طالتْ!

ونافذتي على الواري انتظارٌ

سُحُبٌ تُسرعُ صوبَ الغرفةِ المنزوعةِ الجدرانِ

هذي عارٌ قد عارتْ

إلى سالفِ عهدِ الكتبِ المحروقةِ الأهدابِ

في السنةِ الباغينَ طالتْ

ها أنا طالَ غيابي

قدماي اعتصما عندَ مُرارِ العنكبوتْ

إنّه التالوتُ:

هذا الثلجُ

والغابةُ

والحرفُ الصموتْ

كلُّ نبضٍ منْ حواليكَ يموتْ

آهِ يا سيرةَ هذا الدربِ،

أحجمْنا نفكُّ الخطَّ نقفو

أثرَ الواري، وماءِ النهرِ، والأشجارِ،

والنورِ الخفوتْ

هل أنا الخائفُ

أم أسطرُ زالَ العنكبوتْ؟

اشتهي أنْ أضعَ الخدَّ على صدرك

كي تحمرَّ عيناي

ورجلايَ تفكُّ الرمزَ

في سِفْرِ الصليبْ

أنا منذورٌ لأشواكِ الصليبْ
سربلوا صدري دماءً

قد غرزْتُ القلبَ في أسنانها
وأداروني على ظهري

أدميْتُ شرياني، وريدي،
أناخوا فوق قلبي أثقلوه

جسدي، عيني،
وترابُ الأرضِ بينَ الجلدِ إشراقٌ

وروحي، ونذوري،
وسكينٌ من الظهرِ

وارتعاشاتِ الحبيبْ
ومرآةُ الوجوهِ الشوكُ والنارُ

وملأتُ الدنَّ منْ خمرةِ أحداقي
وسيفُ العرشِ مشحوذاً برأسِ السيِّدِ

وأشواقي وعشقي
المُغتالِ في الطفِّ

ثمَّ فتّحْتُ كنوزَ الصدرِ
أيا مَنْ وجهه قمرٌ *

صوتي، سفني، ريحي،
ويامَنْ سحرُه أثرٌ

ولكنَّ رفيقَ الدربِ صارَ الثلجَ
سيبقى في ضميرِ النهرِ جَمْعاً

مفرازَ اللهيبْ
حشدُهمْ رمعٌ وضربٌ

مالكمُ كأكأتُمُ فوق وساري وضحكتمْ:
وانحدارُ اللقمةِ المرغومةِ الوجهِ رماداً

هذهِ الرأسُ جدالٌ وسجالٌ
لا يباريهمْ

وصراعٌ وقتالٌ
يساقيهمْ

بينَ شرقِ البصرِ الماضي وغربِ القدرِ
حروفَ المعجمِ المطفيِّ في مكتبةِ التاريخِ

الآتي،
ما انفكَّ عُبيدُ اللهِ نسلاً شاهراً رايتَه

شمالِ الكرةِ العطشى، جنوبِ الكونِ،
يشحذُ سكينَ الأعزاءِ

والأوسطُ مجنونٌ ومذبوحٌ بسيفِ الأولينْ
زليخا تنتشي في حِجرِهِ

ولسانِ الآخرينْ
قارونُ في وَقْعِ الخديعةِ ساقطٌ عنْ عرشِهِ

والكنزُ عند القَدَمِ الزلزالِ وَقْفٌ
وأهالوه صراعاً

في بنوكِ الآخَرِينْ
منْ مقاماتِ اللهيبْ

آهِ يا سيرةَ هذا الحبِّ
أنا أقفلتُ عيوني

القلبُ انسطارٌ بينَ سُورِ الحَظِّ
ومددْتُ الرأسَ في الكهفِ

بينَ البيضِ تُخفي الوجهَ خلفَ الشاشةِ العمياءِ
على هذا الوصيدْ

والأقدامُ في مزرعةِ الشوكِ نباتٌ ومناجاةٌ:
فافتحوها!

تُرى هلْ منْ سميعْ!
ألديكمْ شفرةُ المفتاحِ

وشفيعي في مُرادي
أمْ ساعيْ البريدْ؟

أنَّ كفيَّ بياضٌ

ولساني منْ صداحِ العندليبْ
* (الروايةِ الأولى) نُشرتْ عام 1971،

سمعوا الصوتَ
و (الروايةِ الثانيةِ) 1972

فناموا فوق مهدي
الخميس 8 ديسمبر 2011

نشيد الفواخت ❖

جواد وادي

جواد وادي شاعر ومترجم وكاتب عراقي مقيم في المغرب منذ العام 1978 يعمل في تدريس اللغة الإنجليزية. صدر له: ديوان تراتيل بابلية، ديوان رهبة المدارك. اما في الترجمة فله الاعمال التالية: خطابات حالمة (رسائل حب عاطفية لمشاهير العالم) لبربارا كارتلاند، الأشذاب (ديوان الشاعر المغربي إسماعيل زويريق)، أغنية الغبار (ديوان الشاعر العراقي وديع العبيدي)، عانقت برجا خلته مئذنة (ديوان الشاعر باسم فرات). وللشاعر جواد وادي العديد من المخطوطات المقالات التي تنتظر الإصدار.

يحتبس الغمام
منذ وقت طويل
كان بقليل من الرزاز
يفك عقدة لسان الفواخت
فتترنم لأختها البعيدة
أو حبيبها القصي
.يا قوقتي...
وين أختي...
إلام يظل هذا الانتظار
حبيساً في جبروت الجدب
اللسان أعقدته النوايا

يلتامى عشق الفواخت
كلما مر هواء رطيب
إلام يظل الابتهال لطلعة الضوء
باهتاً بتلك الربوع البعيدة
قد يشق الهتاف عتمة الليل
إلى أين يسير هذا السرب
وخيام البدو رتبت أوتادها
ضداً على رغبات الفواخت
في زاوية المرابع الخازنة للأسرار
سبيلاً لها...
فينتشر الأعراب

في فيافي الهزيع
تزحف العتمات نحو الأقاصي هناك
القسوة ظالمة هكذا دائما
بيسير من اللغط وكثير من الفطنة
تسع على طراوتهم
فتغزو أبدانهم صواعق الحتوف
تلك التي خشّبتها الدعابات
وأهرقتها الأقاويل
ونعيق الغربان
وحدها الفواخت تظل عافية
لأجسادنا المعروقة بالفتن
والمكتظة بالأسئلة.
يا قوقتي...
ويا أختي...
هل ما زالت بابل تلتقط شتاتها
منذ ان زرتها يافعا وأنت تظللين خطوي
فواختا تلون صباحاتي
أم انك تركتها
لمناحاتها في الخراب
وهل حومت يوما
على ميسان وهي تمسد أوجاعها
وهل تذكرت مسقط رأسي
ملاذي ومرتعي المرصوف بالأمنيات
والأهاجي وسنابك جياد مرت من هناك
على قارعة الفراغات الموحشة
مدينتي وهي تنوء بأحزانها
وتنوح على خزائنها
من الفواخت والياسمين وناسها الطيبين
أرى أن البهلوانيين
أنهوا عروضهم
وتركوا القهقهات وراءهم
على طبل هادر
وميسان ما زالت تقبع
تحت عباءاتها الرمداء
بين الجسر والماء
إيه أيتها الفواخت...
أنت تسافرين بحسراتك
أما أنا فآوي إلى سريري مثقلا بالأسى
بين الدروب الحزينة في رأسي الصغير
أنت تسامرين عشاقك
وأنا أبح من صراخي وخيبتي
لعلي أجد جانحين مثلي
متاعا لطريقي رفاقا وربعين...
من يقيني من رياحها الصفراء

سيوفا تهجد في أغمارها
منذ أمد بعيد
كلانا أيتها الفواخت اليانعة
أنا وأنت يسعى لمبتغاه
أنت تزقين رضابك شبقا طريا
وأنا أبحث عن رصدات
تقيني لفحة قيضي
ما زلت أدور من البدء إلى البدء
لكن مداراتك ألذ ألفة من ضياعي
أتذكرين ونحن صغارا
كيف كان الهديل يهدهد أسرتنا
كنا يومها نتابع جمال البدو
وهي تدك بحوافرها
جوعنا وتغرينا لارتشاف
ما تتركه من سراب
كلما تذكرت صباحاتك
أيتها الفواخت
يغزوني الحنين لأمي
تركتها هناك بأوجاعها
ولا من ينصت لنواحها
فقضت منكوبة مثل أبي الطيب
قدسي روحها
بنشيدك وأضليني
عتمة قبرها لتعيدني
إلى ركام البدايات
فأغرق في نشيجي
لا كما نشوة الصبايا
تلك التي كم حلمت بها
إنها سلوتي لتبقى روحي
طرية هكذا
أترك المتاهات خلفي
أعود أخف مما تتصورين
بجسد عنيد يراقص
رعواتك بالوجد وسفر الحنين
أنقر بغنج على سهوي
فيسعفني هديل الفواخت
إلى الحانات كلها
واحتسي تعبي
تسامرني تعتعات السكارى
وأقضي ليلي على لغط الغانيات
بنات الليل الآسر
وحدهن من يرفع عني حيف
الفرسان الآبقين
لم يعد رأسي كما دائما

بصلابة الحجر
لكنه يظل كطراوة تنهداتك
وخفق أجنحتك الرشيقة
فأصنع وأنا أعب الكؤوس
نوارسا في رأسي وبهلوانيين
وفواخت تسامرني
فيغزوني البكاء
دائما أنا هكذا
أظل أنزف حيرتي
كلما راهمتني رغبتي
في تبضع أشلائي الحائرة
وطرائدي ما اشبعها بعد
شبق اللحظات
فترهفين في هدأتي
لنشدُ معا:
يا قوقتي....
وين أختي
بالحلة....
هل ما زالت ميسان تلتقط شتاتها
كما تركتها في سديمها الممتد
من أول السوق
حتى أخمص الآلام؟

أنا الذي أيقظتها من سباتها
قبل أفواج الفواخت الجائعة
أم أنها هجرت مناحاتها
وتركت حيرتها للباحثين
عن سباتها البعيد...
ليست بابل من تترك الفواخت
هائمة في فيافي الضياع
بأوجاع تمتد من أول الليل
الى آخر الضياء
أنا من ترك البهلوانيين
لآخر عرض لهم
غادرتهم على طبل هادر
شاركتهم فرحة الرقص
بحشرجات الغناء الدامع
كانت الفواخت تسامرني
كلما مدت يدي
وأنا غارق في التيه
نحو عتمات لا أعرف
كيف لي أن أضيئها
فتحط الفواخت على جسدي
تنقطع أنفاسي
على نغم هارب

أو نسوة قارمة

لعل هائمين مثل الفواخت

يحملونني متاعا لهم

أشتهي أن تزفي رضابك

رذاذا رافئا

وأنا أبحث عن رصدات

تقيئنا أنا وأنت...

قسوة الريح العاتية

أتركي طوافنا يعرج من البدء إلى البدء

تذكري حين كنا صغارا

كان الهديل يهدهد أجفاننا

فتنفط بغدار في صمتها

كلما تذكرت صباحاتك

أمسك بجدائل أمي

سلوتي أن تدر علينا حنوها

يخفف رغبتي في البكاء

انتصب خلف متاريسي

فيوقظني العشق

أترك المتاهات خلفي

وأوقظ نسياني من خوفه

ويدني كلما هدني ضنك الذكرى

ينتفض بداخلي ذلك النشيد الطفولي

فنشدو معا:

يا قوقتي.....

وين أختي.....؟

بالحلة.....

إستاكل.....؟

كول الله.....

واستشرب.....؟

ماي الله.....

*عنوان القصيدة هو عنوان الديوان الثالث للشاعر تحت الطبع

Jawady49@hotmail.com

زهرة الخشخاش

سلام حربه

القاص سلام حربه من مواليد محافظة بابل، يكتب القصة القصيرة منذ تسعينيات القرن الماضي..صدرت له مجموعتان قصصيتان (ساعات وعقارب وشيزوفرينيا) عن دار الشؤون الثقافية العامة..كما صدرت له مسرحيتان (أبواب) عن دار الشؤون الثقافية و(كسارة الحجر) عن دار الصادق لديه رواية بعنوان (ألوان مائية) صدرت عن المركز الثقافي..كما انه كاتب درامي لديه مسلسلان تلفزيونيان وهما: (شارع أربعين) و (ألوان الرماد) والعملان من إخراج الفنان كارلو هارتيون.. يكتب في الصحافة العراقية والعربية.

لن انس اليوم الذي سكن فيه ذلك الرجل الطويل القامة بيت مراد أفندي في مدخل محلتنا القديمة..كان شعره فضيا منسدلا على كتفيه ولحيته كثة تأكل معظم ملامح وجهه وشاربه الأبيض الغليظ يطمر فتحة فمه فقد صُدمنا نحن الأطفال حين رأيناه، قلنا كيف يتناول هذا الرجل طعامه..؟ أسميناه الدرويش نحن أبناء محلة الخسروية، كانت بصحبته امرأة منقبة يستر هزالها عباءة رمادية اللون اتفقنا أن ندعوها الخالة أو وردة النرجس الذابلة حين يستدرجنا قبحها ولونها الداكن اللذان لا يمتان بصلة الى الورد للتندر عليها.. بيت مراد أفندي كبير مشيد على مقربة من نهر مدينة الحلة، حجارته صفراء وقد رسم البناؤون في جدرانه وفوق شبابيكه وعلى سقوفه لوحات فنية بارزة تلتوي عندها، دون وعي، رقاب العابرين..أما شناشيله التي كانت تستحم بنسائم النهر الندية فقد كانت تضمد التهابات الرصيف المزمنة بالا فياء وترتكز على أعمدة حجرية تنغرس قريبا من كتف الشارع.. البيت تحفة معمارية كنا نحن أطفال المحلة نلهو في وشم طابوقه بأسمائنا ورسومنا وعبثنا ونعيد، بعد أن يهدّنا التعب،

قص الحكايات التي نسمعها من آبائنا وأمهاتنا عن الجن الذي يسرح ويمرح في البيت المغلق منذ سنين تُسمع أصواتهم في ساعات الليل المتأخرة مختلطة مع بكاء الأطفال الجائعين أو بين فواصل غناء الرجال المخمورين وهم يشكون وجْدهم الى النساء المحتجبات المتمنعات وراء الأبواب الموصدة.. يقول آباؤنا أن البيت بناه مراد أفندي حين كان يوما وزيرا للداخلية وبقي البيت مقفلا منذ اختفاءه بعد تقاعده من وزارته ولم تفتح بابه الخشبية الكبيرة إلا حين قدم الرجل الدرويش بنظراته التائهة وملابسه المتسخة مع المرأة الخالة والتي لم تكن تمشي بل تنغرس عظام قدميها اليابستين كوتدين أسودين في الأرض، كان عمري حينها يقرب من التسعة أعوام، اخرج الدرويش مفتاح البيت الكبير من صرة ملابس صغيرة وأمام أنظار أبناء المحلة ورجالها قام بفتح الباب والذي أصدر صريرا قويا فقد تخثر الصدأ في مفاصله سنين عدة ودخل البيت مع المرأة المكسوة بالسواد والتي لم نر منها سوى عينين وقحتين حادتين تنفران من النقاب الذي يغطي وجهها البني المحروق، وراء الباب المغلق لم يُسمع لهما صوت ولم يخلفا وراءهما أية نأمة. كان شيخ المحلة يكرر على أسماعنا أن أصوات الجن بلا أصداء فتنتصب شعور رؤوسنا فزعا وهلعا، تسابقت آذان الصبية الملتصقة بالباب الكبيرة لالتقاط أي همس ضال قد يرشح إليها من الشقوق الضيقة أو من الخشب المنخور.. لم يخرجا إلا بعد عدة أيام كانا خلالها مثار لغط أهل المحلة ونفاذا لصبرهم تورمت له ريّبهم وشكوكهم.. أيعقل أن يكون هذا الرجل الغريب بهيئته القذرة قريبا الى مراد أفندي الوزير الأنيق والوسيم والذي كان محط إعجاب رجال ونساء البلد على السواء..؟ لم يمض أسبوع إلا والرجل الدرويش والمرأة الخالة يجلسان عند عتبة البيت وينظران باتجاه الأفق بنخيله وإسراره وزرقة سمائه التي يشربها سراب الأرض منذ شروق الشمس وحتى مغيبها، لا ينبسان بكلمة مع أي من رجال الحي أو نسائه حتى اضطررنا نحن أطفال المحلة، والذي كنا نتخذ من ظلال البيت الباردة ملعبا نبعثر فيه أوقاتنا بعد المدرسة، الابتعاد مكرهين عن مرمى بصريهما فقد كانت نظراتهم المعلقة في الفراغ مخيفة توخز ذاكراتنا وتوقظ الجن وحكاياتهم المخيفة التي يرددها آباؤنا على الدوام.. لم يطق أبناء المحلة تسمر العيون في المجهول منذ شهور، وابتدأت الأسئلة والظنون ترفس الأخيلة وتدير الألسن الزلقة في الأفواه.. من يكن هذا الرجل وهذه المرأة وما علاقتهما بمراد أفندي ومن أين حصلا على مفتاح البيت..؟ قد يكون فألهما على المحلة أو المدينة أو البلد سيئا ويزيد من بلّة طين مِحَنهم التي يتقلبون في أتون ضيمها دهورا طويلة، فقد تفشى الجهل والفقر بينهم منذ قرون وأصبحوا أرضا خصبة للخرافات وواحة دائمة الخضرة للقيل والقال. لم يهدأ لنا بال إلا أن اتفق أبي مع عدد من رجال المحلة بالتنقيب عن سرهما وتلمس معدن حقيقتيهما عن قرب..وقفوا أمامهما والصدور تعلو وتهبط من القلق..تكلم أبي وهو يصر على أسنانه..

– عفوا..هل تنتظران أحدا ما..؟ بإمكاننا

مساعدتكما..

نظر الدرويش الى أبي بعينين باردتين.. تكلم بلا مبالاة..

– إننا جالسون بانتظاره، سيأتي.. نحن نعلم بأنه سيأتي وسيجعل من كل أيامنا أعيادا..

مسح أبي وجوه المحيطين به وطيف ابتسامة ساخرة حطت بغتة على شفتيه..قال وهو يكتم ضحكة تتكسر في صدره..

– من هو الذي سيأتي..؟

أطلقت المرأة تنهدة عميقة، قالت ونظراتها تنقب في حضنها الذي تتكور فيه عباءتها الرمادية وترسم تفاصيل بطن ضامرة..

– لقد حملت به سنينا طويلة.. حين أتى الى الدنيا كان وجهه كالنور، كان يملأ بيتنا وروحينا بالسعادة.. لكنه..

ابتدأت بالتلفت حولها بخوف، كانت تحس بأنفاسه قريبة منها وتلتصق بين طيات جلدها المتغضن.. أضافت وقد امتلأت عيناها بالدموع..

– لقد سافر منذ سنين بعيدة، لا نعلم أين ذهب حين خرج من باب الدار ولكنه قريب منا، أنا اسمع دقات قلبه الحانية وضحكاته البريئة أنها تعزف في أذني ليل نهار..

– كانت عيون الشرطة تلاحق ابننا، كان أكثر ذكاءً من أن يقع بمصائدهم، لقد توارى عن الأنظار، الرسائل تصلنا منه باستمرار، أنها لنا ولكم، انه يعدنا، نحن أبوه وأمه والجميع، بسعادة منقطعة النظير يعوضنا فيها عن كل ما فاتنا من أيام تعبنا وشقائنا..

اخرج الدرويش عددا من الرسائل من جيب سترته الحائلة اللون، تلقفها أبي ورجال المحلة الواقفون وعيونهم مفتوحة على اتساعها.. كنا نحن الأطفال نرقب انفعالات الوجوه وهي تمسح ما في الرسائل من كلام ووعود وشفرات.. العين مرآة الروح هكذا كان يقول أبي، تطاير الفرح فراشات حمر حطت على جميع الوجوه وانفرجت الأشداق عن ضحكات جذلى وتراقص في حدقات العيون وميض أمل كانت تطمره الخيبات والحرمان.. أنيرت البيوت المظلمة بهلاهل النسوة المكبوتة في الحناجر وضجت النفوس بتراتيل الرسائل كتهدجات صوفية حفظها المثقفون والطلبة والمتعلمون والمتخرجون من مدارس الأمية وحتى الأميون عن ظهر قلب، وبعد مرور سنين كان أبناء محلة الخسروية وكل أحياء مدينة الحلة بصوبيها الصغير والكبير رجالا ونساءا وأطفالا جالسين قرب الرجل الدرويش والمرأة الخالة المنقبة، عيونهم لا ترمش ومصممون على أن يثقبوا رحم الأفق بجمر نظراتهم كي ينسل إليهم الابن وهو يحمل البشارة.. لم يعد احد يمارس عملا ما وأبواب البيوت مشرعة للصوص الذين وجدوها فرصة لا تفوت كي يفرغوا البيوت من أثاثها، كما تفرغ البطون من أحشائها.. اتسخ وجه المدينة وتجعد بالخراب وظهرت جبال من القمامة تسور جلستهم وتطوق إبصارهم وانشغل الحاكم ومساعدوه بإفراغ الخزائن والهروب بها الى جزر الخرائط المنسية وتبييض الأيادي السود في مغاسل البورصات المعقمة بعد أن سقط العقاب من لائحة القضاء، فالكل أدمن أفيون عودة الابن وتعطلت الحواس وتخدرت وفاحت في الفضاء روائح تزكم الأنوف وتسمم الأبدان، وتعرقت جلود الناظرين بالعفونة ولزوجة

الصديد.. تمحّن الأطباء في تشخيص المرض الجديد وعقدوا حوله الندوات والمؤتمرات وتوصلوا أخيرا الى أن أرواح هؤلاء الجالسين قد تعفنت.. لقد ماتت أرواحهم لان أقفاصها انغلقت على عصفور للوهم وأي موت وان كان في كلام فأن يد الغنغرينيا تمتد إليه، لم يقنط الجالسون وقد كلّت عيونهم في تملي الأفق بأشباحه وسرابه ونوادر أكاذيبه على الرغم من علمهم بان ما يرتكزون عليه في هذا المستنقع الذي يترجرج تحتهم ببهتان القناعات يسحبهم نحو هاوية العدم والضياع، ويوما بعد يوم يزداد إصرارهم وما يعصف بهم من أطياف مستحيل في أخيلتهم تتجسد رؤى وأحلام أمام أعينهم وحتى حين حضرت مفرزة للشرطة وألقت القبض على الدرويش والمرأة الخالة لم يحرك الناظرون والمحيطون بهم ساكنا.. وقف الجميع حول الشرطة دون أن ترمش أعينهم عما قد يفاجئهم به، على حين غفلة، الأفق الساكن..سألهم أبي وقد تحجرت ملامحه من الحيرة..

– ما الذي اقترفه هذا السيد وهذه السيدة..؟

ضحك الضابط وانشطرت ضحكته في وجوه أتباعه.. هز رأسه بألم..

– السيد والسيدة..! هذان مجرمان..لقد قتل هذا الرجل وهذه المرأة الوزير مراد أفندي..

صرخ الرجل الدرويش بألم..

– هو الذي قتلنا.. كان ظالما.. لقد لاحق أحلامنا وقذف بنا في السجن والذي لم نخرج منه إلا الى مستشفى المجانين..

أزاحت المرأة النقاب عن وجهها.. وجهها المتقعر الطاعن السمرة فيه بقايا جمال غابر..اقتربت من الرجل الدرويش أمسكت وجهه بكلتا يديها..

– كان حلمنا أن نتزوج لكن الجنون الذي زرعه مراد أفندي في رأسينا افسد حياتنا والى الأبد..

– وابنكما كيف أنجبتماه..؟

سأل أبي وقد اندلق لسانه وتخشّب بين فكيه.. الضابط أطلق ضحكة مجلجلة داعرة..

– ابنهما.. إنهما لم يتزوجا ولم ينجبا ابنا.. كان هذا مرضا في رأسيهما وهو الذي دفعهما الى الهرب من مستشفى المجانين وقتل مراد أفندي والاستيلاء على مفتاح بيته..

أجهش الدرويش بالبكاء..قال وهو ينشغ دمعه..

– كم تمنينا أن يكون لنا ابنا، نرعاه وننتظره حين يخرج من البيت ونفرش نحن والآخرون أرضه بالورود في زمن القحط حين يكون محملا بالهدايا.. مراد أفندي قتل أفكارنا حين لاحقنا بسجونه ومات معها حلمنا الكبير..

– في مستشفى المجانين ستزدهر هناك أحلامكما ثانية..

عقب الضابط وأشار الى الشرطة الذين امسكوا بالدرويش والمرأة الخالة واصعدوهما في سيارة الشرطة..لم يعر الذاهلون التفاتة إليهما ولم يفكروا بوداعهما حين انطلقت السيارة بهما فقد كان الجميع منهمكا هناك حيث تطوق اذرع السماء جسد الأرض ويلتحمان في عناق ابدي عذري، قد يولد من سريرهما الدافئ ابن قد لا نراه متوارياً وراء حجب من العدم يحمل رسائل خلاص لهم جميعا طال انتظارها..

قصص قصيرة جداً

قاسم العزاوي

1 - القمر

هطل القمر على صفحة الماء.... لبست مويجاته أردية من فضة، وراحت تزفه بحفل بهيج...لم يرق هذا للحوت المنزلق تحت الماء... دار دورتين وابتلع القمر والمويجات، وراح يتثاءب باحثا عن نجيمات لامعة إ

اغتسلت هي الأخرى بماء النهر المنساب بهدوء..... بهدوء.....!!

2 - طيور

لم يبق إلا هو في سوق الطيور، كلهم غادروا، وطيوره تمد الأعناق في أقفاصها، تساءل بحيرة:

ما الذي يجبرني على البقاء.....!!

حينها أطلقها من أقفاصها، دارت عدة دورات في كبد السماء، لكنها مالبثت أن عادت الى أقفاصها خافقة بأجنحتها المعبقة برائحة البارود.....

3- ملل

من ساعة انبلاج القمر وحتى عمود الشمس المحرقة،لم يلق أي سمكة عالقة في شباكه، لذا،قرر أن يعود لشاطيء النهر..... وفي لحظة قراره هذا، نطت سمكة كبيرة وسط مركبه الساكن بهدوء، معلنة انتحارها، لأنها بكل بساطة: قد ملت جنسها أولا، وبقاءها بالمياه، وحرمت من أشياء كثير ة واحدة منها –بكل تأكيد – حياة اليابسة وصحراؤها المحرقة.....!!

4 - تناسل

الرمان المتدلي،أثارتني استدارته الماجنة، حين قطفت واحدة، انفرطت حباتها واستحالت الى حقل من الاستدارات الماجنة.....!!

5 - فرشاة دالي

لما لم يستطع أن يطوقها بذراعيه، وتلك كانت أمنيته الوحيدة، والتي طالما دغدغت أحلامه المتشظية، لذا، طارد طيفها من مكان لآخر..... استطال الطيف على جدار

غرفته النابضة بالشوق، هرع جذلا واحتضن الطيف، راقصه حتى استحالا الى ظل واحد، وهناك على الجدار المقابل استطال ظل دخيل يلّوح بما يشبه الخنجر المعقوف، طعن ظل العاشق الحالم، واختطف ظلها ولاذ بالفرار.....!!

6 - مضخات الذاكرة

جفت خزائن القلب من أيما نبضة عشق،وهو الذي يحبو نحو الستين من نزيف العمر..... حوّمت فراشة قربه، نبض القلب بالحنين، وراح ينبض بالتي افتقدها من زمان بعيد..... بعيد، هجم سرب الفراشات وحلقت حوله..... حلّق القلب بجناحين من شوق وأحاط بذراعيه التي ضخت إليه دفقات العشق، بعد أن كاد يتهشم من فرط الجفاف.....!!

7 - الزائر

قال الشاب للضيف العجوز:

غريب أمرك يا رجل، الضيف لا يسال ثلاثة أيام، وها أن الشهر على وشك أن يمضي ولم تقل حاجتك بعد.....!!

– قال الضيف العجوز:

– انظر في عينيّ وتأمل، أوَلَمْ تفتقد والدك منذ ثلاثين عاماً.....!!

8 - ومن الحب ماقتل

في هدأة الليل ووحشته، سرى طيفها الجميل،لمسه بحنو،فتحول الى فراشة يدور وتخفق حول مشكاة قلبه النابض بشموع الشوق..... اقتربت الفراشة أكثر وحطت على جدار قلبه، وقبل أن تخفق بجناحيها المطرزتين بقوس قزح، تحولت الى ورقة خريفية متفحمة.....!!

– فضاء الشهيد

قبل أن يخر صريعا، تلمس جراحه العميقة، تأمل الأرض الممتدة بوسع الحلم الذي رأى، وبكى ترى ما يبكي الشهداء....؟! رأى طيوراً بيضاً وأطفالاً بأجنحة تدور وعروساً تزف.... دارت الأرض في عينيه ولمح قربه زهرة بيضاء، نهضت من مكانها وصار لها جناحان صفقتهما وغابت في كبد السماء.... حينها سقط على الارض وعيناه ما زالتا تحدقان في الفضاء..... وحين أفلت اخر نجمة بعيدة كانت الوردة البيضاء قد احتلت مكان النجمة الآفلة، حينها اغمض عينيه وراح يواصل حلمه الجميل.

9 - مزاحمة

من عديد الجثث التي تستقبلها حفر المقابر. ما عادت ديدان تفسخ الموتى أن تعمل ليل نهار، لذا. عزمت الأمر جميعا أن تنظم إضرابا عاما وشاملا عن العمل – وهذا من حقها على ما اعتقد –وبعد اقل من أسبوع طفحت الأرض بجمع غفير من الموتى، لدرجة أن الأحياء ومن هم على حافة الموت لم يحض أي منهم على شبر من مكان فارغ ليتجول عليه... فمن أين لهم هذا المكان، والشوارع والأسواق والفنادق والحارات والساحات العامة قد عجّت بالموتى الأصحاء.....!!

10- محنة ماندل

تزوج رجل عقيم من إمرأة عاقر.....يالتعاستي

لقد أنجباني.....، ومن حينها لم يفكر بالزواج

قصة مترجمة

الاســـم

تشيزارى بافيزى
ترجمة - هلال حميد

القصة مترجمة عن الايطالية للكاتب الكبير الايطالي تشيزارى بافيزى. وهى من إحدى القصص التي يتحدث فيها عن أيام الطفولة والصبا في فترة إقامته في احدى البلدات الواقعة في أرياف شمال ايطاليا، حيث قضى فترات جميلة من طفولته، تلك الطفولة نجدها حاضرة دائما في قصصه وبشكل خاص علاقته الصعبة مع والديه.ومن المحتمل أن تكون شخصية باسكوالة في بعض مناحيها هي شخصيته ذاتها لاسيما علاقة باسكوالة بالبيت وبابيه الذي يضربه دائما لأنه فتى متمردا، لا يرضخ، وفى الحقيقة أن ألاعيبه الشيطانية المذكورة في القصة هي شكل من إشكال التعبير عن حالة التمرد والسخط، على الرغم من ان بافيزى يفصل بين الشخصيتين في القصة حينما يقول أن باسكوالة يختلف عنى من حيث الطباع ويؤكد على سدادة العقل والانتباه دائما لمناداة الوالدين له وتحاشى المحاسبة وعقاب الوالدين عند العودة الى البيت في المساء. ومن اجل ذلك يرتدى الحذاء كيلا يصاب بأذى. في حين أن (بالة) كان لا يأبه بشيء. ويبقى وحيدا على الجسر، يبصق في ماء النهر. و(بالة) هو اختصار لأسم باسكوالة في الايطالية.

تــرى من كـانـوا هـم أصحـابـي في تلك الأيام؟.. لاتذكر..

كان يعيش في أحد بيوت البلدة، على مايبدو لي، مقابل بيتنا، بعض الفتيان –اثنان– الأشقياء، ربما أخوان. وكان أحدهما يدعى (بالة)، من اسم (باسكوالة)، ومن المحتمل أن يكون هذا قد أعزى لنفسه اسم – أخيه – الآخر. كما وكنت اعرف الكثير غيرهم من الفتيان هنا أو هناك في البلدة.

إن (بالة) هذا –طويل القامة جدا، له فم أشبه بفم الحصان –حينما كان أبوه يضربه ضربا مبرحا، كان يفر هاربا من البيت ولا يعود إليه إلا بعد يومين أو ثلاثة أيام. ولما كان يظهر ثانية، كان أبوه واقفا متربصا له وبيده الحزام فيعاود في سلخ جلده من جديد، أما هو فكان يهرب مرة أخرى وكانت أمه تناديه بصوت

عال، لاعنة إياه، من تلك النافذة الحائلة اللون المطلة على المروج وعلى غابات النهر، نحو منفذ الوادي.

في بعض الصباحات كنت أصحو على ذلك الصوت المتفجع، والمتكرر على نفس النغمة، لتلك المرأة ومن تلك النافذة.

كان الكثير من العجائز يستخدمن هذه الطريقة في استدعاء أبنائهن، غير أن الاسم الذي كان يبكم الجميع في بعض الساعات بصداه المثير للأعصاب كأنه دوى اطلاقات بنادق الصيادين، هو اسم (بالة).

وفي بعض الأحيان كنا نحن كذلك نصيح بصوت عال ذلك الاسم من جانب السخرية أو التهكم. وأظن أن (بالة) نفسه كان يطرب كثيرا لسماع اسمه بهذه الطريقة.

وهكذا، في اليوم الذي صعدنا فيه معا سفح الرابية الأجرد –قبل ذلك، في ساعات القيظ، كنا قد سلكنا طريق النهر وأشجار القصب –لا أذكر جيدا فيما إذا كنا بمفردنا، أنا و(بالة) فقط. لكن الشيء الأكيد هو أن صاحبي كانت له أسنان ناتئة ورأس أحمر، وأذكر ذلك لأنني كنت أحدثه بأن الأسد، الذي يعيش في البراري، له أسنان تشبه أسنانه، وله شعر كثيف ذهبي ضارب الى الحمرة. وفى ذلك اليوم كنا نشعر باضطراب شديد لأننا قضينا معظم الوقت في البحث الدقيق عن الثعبان. فكانت أجسادنا مبللة حتى البطن من الرطوبة والعرق، وأعناقنا محمصة من الشمس، وبعض الضفادع كانت تنط من تحت الأحجار المتحركة، وكعبي قدمي قد امتقع لونهما، أما (بالة) فقد كان ينسال من بين أسنانه عصير أخضر لإحدى الأعشاب التي أراد مضغها. وفى وسط السكينة وصمت الأشجار والماء، سمعنا شيئا، صوتا واهنا، نائيا، لكنه جليا، أشبه بصرخة مناداة حملتها إلينا الريح.

وأتذكر أنني في تلك اللحظة كنت مصيخا بسمعي، خشية أن يكون النداء موجها لي.

لكن الصياح لم يتكرر. وبعد ذلك بقليل، خلفنا وراءنا طريق النهر فصعدنا سفح الرابية، وكنا نقول لنفسينا إننا ذاهبان لقطف الأجاص، غير أننا كنا نعلم جيدا –أنا، على الأقل، وكان قلبي يخفق بشدة –

إن الهدف هذه المرة هو الأفعى. ولم أتفوه بكلمة طوال المدة إلا بعد أن صعدنا الطريق الضيق الوعر بين أشجار الصفصاف حيث بدأت أتكلم متشجعا بجرأة وإقدام الأسد. فارتديت حذائي، كما لو أنى بهذا الفعل الذي يليق بأي فتى سديد العقل كنت أريد إبعاد الشر وتجنب محاسبات الوالدين عند المساء.

كنت ارتدى الحذاء وأرسل من فمي صفيرا.

– كف عن الصفير. ليس بهذه الطريقة تستدعى الأفعى، – قال ذلك صاحبي متذمرا، وهو يتوقف عن السير.

كنا مزودين بعصوين على شكل مذراة، لاستخدامهما في إلقاء القبض على الأفعى وقتلها. وإذ

كان الكثير من الفتيان قد ذهب للاستحمام سالكين طريق النهر، فانا واثق من أن ذلك الطريق الوعر، إنما صعدناه نحن الاثنان لوحدنا.

كان (بالة) –له طبع يختلف عنى –يمشى عاري القدمين فوق الحصى والأشواك، دون أن يبالي بشيء. كنت أريد أن أقول له، لكنه توقف فجأة أمام بقعة كثيفة من الأحراش والعوسج وبدأ يصفر بصوت هامس، كان منحنيا للأمام مادا عنقه ويهز رأسه. كانت بقعة الأحراش الكثيفة تخرج من منحدر صخري عميق، حيث كانت ترى صفحة السماء الزرقاء.

– كان من المستحسن لو أننا كنا قد القينا

القبض على الأفعى، – قلت ذلك بهمس.

لكن صاحبي لم يجب، واستمر في البسبسة بصوت خفيض، كصوت خيط الماء النازل من الحنفية. أما الأفعى فكانت تأبى على الخروج.

أجفلتنا جلبة مباغتة أتت مع الريح، شيء ما أشبه بالصراخ أو العويل. ومن جديد كانوا ينادون من البلدة: انه نفس الصوت، المتفجع والمغتاظ: – (بالة).(بالة)...!.

في نفس اللحظة فكرت بوالدي في البيت. أما (بالة) فقد توقف، مادا رأسه الى الإمام، ومنتصبا على ساق واحدة، وبدا لي وكأنه يقوم بإحدى ألاعيبه الشيطانية. وما أن عاد السكون لفترة وجيزة، حتى انفجر من جديد ذلك الصوت المتوحش ليصل الى ذلك المكان المرتفع –كان يصيح: – (بالة)..!

(بالة)..!– في هذه الأثناء القى صاحبي العصا من يده بغضب فقال:– يا أبناء الحرام. لو أن الافعى تسمع الاسم بينما نحن نبحث عنها، فإنها ستعرفني.

– اخرج من هنا إذن، – قلت بصوت هامس.

كانت العجوز الشمطاء مستمرة في الصياح والمناداة. كنت ألمحها عند الشباك، ومن حين لآخر كانت تطل برأسها وبين ذراعيها طفل رضيع فتطلق ذلك العياط كما لو كانت تغنى أغنية حزينة.

أمسك (بالة) بشدة على معصمي لبعض الوقت ثم صرخ بقوة: أهرب! اهرب!– وبقفزة واحدة

وصلنا حتى سفح الهضبة. كنا نتصايح:

– أفعى! –أفعى –لنزيد من سرعة جرينا، لكن خوفنا –خوفي أنا، على الأقل –كان شيئاً ما، لا يمكن وصفه والتعبير عنه، إحساسا غريبا، كما لو أنى انتهكت حرمة الأشياء، لا أعرف ماذا، الطبيعة أو الهواء أو الصخور.

عند حلول المساء جلسنا فوق العوارض الخشبية للجسر. وكان (بالة) معتكفا بالصمت ومن حين لآخر كان يبصق في الماء.

لم لا نأخذ شيئا من البرودة على الشرفة،– قلت لـ(بالة). ففي تلك الساعة تبدأ فيه كل نساء البلدة في الصياح لاستدعاء هذا أو ذاك، غير أن الصمت في هذه اللحظة كان رائعا، ولم يسمع غير صوت الجداجد هنا وهناك.

" لم يستدعوني من البيت بعد "، كنت أفكر، فقلت: – لم لا ترد حينما ينادونك أهلك؟ ففي هذا

المساء ستنال منهم.

رفع (بالة) كتفيه فقال باشمئزاز وتذمر:

– ماذا تريد أن تفهم النساء.

– هل صحيح أن الأفعى إذا سمعت اسما ما، فإنها تروح تبحث عنه؟

(بالة) لم يحر جوابا. فهو من جراء فراره المستمر من البيت أصبح صموتا كما يفعل الرجال.

– إذن أن اسمك أصبح معروفا لدى جميع الافاعى في هذه الروابي.

– وكذلك يعرفن اسمك.

– لكنني سأرد في الحال.

– ليست هذه هي المسألة –قال (بالة) – أتعتقد إن الأفعى يهمها كثيرا إذا كنت مؤدبا حلوقا؟..

إن ماتريده الأفعى هو قتل كل من يبحث عنها...

ولكن في تلك اللحظة عاد الصياح من جديد. حيث ظهرت العجوز من النافذة. وفى هذه الأثناء

كان يسمع قعقعة عجلات عربة مارة وغطسة دلو في البئر.

عندئذ سرت متوجها نحو البيت، أما (بالة) فظل واقفا على الجسر.

قصة قصيرة

أمْغَـدَر

وحيد غانم

التقيت ابن نـويران في مطلع الـربيع بعد أن فـارقني عـاماً وسـلوته. كـان يحيـط نفسه بمـظاهـر التـرف وقد لاحـظ اهتمـامي بحـاله فقـال" غرّبت للأنبار وكلفنـي شيوخها بمرابط خـيلهم فغنمت!" ولم أصـدق كلامه تماماً؛ في زماننا ضاعت كرامة الحـرّ.

لا شيء يردع ابن نويـران عن الكذب وهو يزيد حينما يتعلق الأمر بالنسب والفخر! لكنه نطقَ بـالسحـر نافخـا نارَ شغفي ومـصائبي. كلمـا نأيت بـنفسي عـن قصصه وهـدأ فكري زارني فجـأة وحركَ نوازعي. كـان يسرّ إلي " بحجاوى حبه للخيل!" فلا يدانيه إلا الـشاعر النبطي ابن لعبون في هيامه بمحبوبته مي!

كـانت مـرابط عـابـر الجبـر في سبيله ويطلبها مـا دام حياً. ومتى رآنـي تذكّر غرام صباه الفـرس "زهوة " التي لـبثت طوع عـابر من قـديم العمـر، وقـد رافق خيـالهـا نفـوس سرّاق الخيـل حتى مشيب راعيها.

قال ابن نويران:

مـا من بشـر سـألـته الـرأي إلا وتعـوّذ بـالرحمـن من شرّ عـابر العَوْد، وقد دار بين الـنـاس أنه مـا غفل يـومـا عن الفـرس فلازم مربطها ولم يفـارقها إلا بحضـور ابنه رشيد عـندمـا ينـاوبه المنـام ليـاليَ غير معلـومة في السنـة، وكم من حيّـاف(١) هجره النـوم وهو يتـدبّـر الفكـر لـسلبه الفـرس ثـم تخـونه الشجاعة. لكن دار الخـوف فيها أباطيل، وما أحد تحـرّى الصـدق، فأنـا أدري بعابـر يهيم في الـربيع، وهـذه علـومي؛ مهـما شـؤمت في نظره وكره دنـوي من فـرسه فهـو في تلك الأيام يسلى.

كان لمع الـسماكين في السمـاء بارحـا لما الـتقيت ابنه عنيّـد على مرمـى نهار من أرض المغدر فكلفنـي سراً بـشراء حصـان كـديش وحـزرت غـايـته للتـو؛ كـان يبـغي الثـأر، وقـد رددتـه وناشدته اللّه لكنه رجـاني حتى أطعته، فـالغلام أليفي، بـزر عـابـر الجبـر في كبـره بـرحم الغـر فزعـة بنت كريّم التي مـاتت يوم ولدته.

أقنعني عنيّـد بالنـقمـة من أبيه، وهذا ليس بـطبعـي، فـمـا أحلّ اللّه الـثـأر إلا جـزاءً محسوباً، لكن في قلب عنيّد شعور المستعبد.

منذ حولين آذاه العَوْد ببيع مهرته الشقراء بطن زهوة من الفحل "هدبان شبوة" لمالك خيل في بغداد بيع النصف، ولم ينفع وعده له ببطنها الأول، ولهذا السبب ابتغى إذلاله، وبيّت النيّة أن يشبي زهوة بحصان كديش فيضمحل نسلها وفي ظني أن غدرنا سيذبح عابر، فالفرس هدية أمير خليجي، نسلها من جواهر مرابطه لعابر جزاء خدماته. وقد مر دهر منذ جلا عابر من العرب مطلوباً بدم وتبرأت منه الناس، وكان يردد " حماني الميمر فاتح العبد اللّه".

وفي يوم ما حنّ لمضاربه فحرر الأمير ذمته وأهداه مسدساً مقبضه ذهب وفرس لم تطفّر حتى يكون له فيها رسن(٢)، وما عاد حتى أردى حيّاف ليل أراد نهب الفرس، وشكّ بخلق اللّه فآذاهم، لكنه فطر على مداواة الخيل والإبل فقصدته الناس على ذلّ.

وطفّر "عبيّة(٣) الميمر" كما رسّن فرسه، من فحل يعود لآل حمدان في بادية السماوة وأرسل بطنها الأول فلواً لمرابط الأمير وهذا دعاه "عبيّان عابر" فبارى وهو في سن الثلاث لم يبدل أضراسه وفاز بمضامير مصر، ولم تكن أشواط سبق في الخليج حينذاك، وطفّر خيول باشوات مصر وعرف هناك بالغريب واشتراه الانكليز لإسطبلاتهم، ومهما صدقت أو كذبت هذه العلوم فصيت المهر وأرسانه بلغا بغداد، يومها أراد الملوك شراء الفرس إلا أن عابراً مانع.

كان مندوب الملك وفد إليه في بريته، وعندما يئس منه نزل هو وحاشيته على ابن عمه سالم الجبر في بستانه بالبصرة يرجوه الوساطة، وكان نسّابة رافق في صغره مرابط ابن مهلهل وكسبه أبن عبد اللّه العتيق خلال غزواته وخدمه في حائل فشبّ على معرفة بمرابط العرب، وظلت الناس تثق بأحكامه وتفده من نواحي الجزيرة بعدما سكن البصرة.

أما الضيف المبجل فابتغى العلم بأنساب خيل العرب، فعدد له من بطون وادي النجومية حتى السماوة، لكنه لم يقطع بنسل فرس عابر، ولا أحد درى غايته فودّه لأبن عمه كان خالصاً، وضرب لضيفه مثلا بالحصن الشركسية القويّة في مصر التي بلا أنساب، فتبدّل حكمه وغادر، ولما علم عابر نقم منه وشبّت في نفسه عداوة وآذاه.

لم يكن شرّ عابر هيناً يمحوه المطر، فتوعده وغدر به ليلا فأصابه بساقه وعابت، ولاحقه حتى يمحَوه من على صفحة اللوح، وخاف سالم على بناته وكنّ في المدارس، وتلك السنين رحل وسكن كربلاء وتدنى حاله فاشتغل بخياطة سروج الخيل.

عندما نزلت البصرة رافقني حسن الكاصد، وهو راع أهوج لكنه صادق القلب. كنت راغباً بلقاء سالم الجبر، وقد بلغت الثلاثين ولم أوفق فطمعت ببخته وعلومه في أرسان الخيل، لكن ابنه داود لم يسمح لنا برؤيته وأعتذر قائلا" الرجل سقيم ويَهَذي بأمور" فارتبت بمنطوقه، لكني أن عهدت بشرا باحترامي فهو داود فله دماغ كالرحى!

استطردَ وهو يسبقنا للزريبة" لا أظلمه لكني في الليل أعقره للسرير بسلسة! سيغافلنا ويهيم!"

وصاح حسن الكاصد" يا ويلي! وكيف هي الظلايم؟ " وكان تعقبنا كالجمل العسوف، رامياً بساقيه الطويلتين أمامه فخدشَ خفه ساق داود الذي أستدار وزجره. وقد وضحَ لي حذر داود الذي قسا طبعه،

فعرفت أن أباه قد بلغ ساعته؛ علمي بسالم عجوزاً هيّناً وفي ليلة ما سيخلف البراح ووجه إلى بنات نعش.

رآنا الحصان فجفل مدبراً ورطم خص القصب ففزّت الزنابير بينما حذرنا نحن غدره. كان كديشاً أسحم ساطه الكدّ. شبكّ داود فمه بالحديد مخافة أن يعضّنا، وكانت الديوك تتصايح ونسائم صبح المدينة تهبّ بكريه الليالي. قال "أمهلوني حتى أورده" وحسّ صهوته وقد بانت له عاطفة فالحصان كسبه لقاء دين واستهوى أباه فأبقاه. أبطأ للتأكد من نعله حتى علت الشمس، وبعدما فرغ ربطنا الكديش إلى سيارة حمل فجاراها حتى الزبير ومن هناك امتطاه الكاصد بلا سرج.

ثم حانت لي مرّة بالبصرة واللمع يشطر الفضاء، وقد نزلت على أبناء عمومة لي من بيت سالم الجبر بعدما خلّصت دين داود. ليلتها شدّتني جبلة أحد أبنائهم فبتّ إلى جنبه ولّلمت نفسي بعباءتي فتضوّع وبرها برائحة البر. رأيت في نور منامي غربان الإبل تحطّ على كتف الغلام ابن الحادية عشرة، ورأيته يمسّ المرضى ويشفيهم.

عند الفجر نهبته من منامه وغويته بنشدان نسبه.

ما أن خلّفنا المدينة بسيارة أجرة حتى أكتشف الغلام علة أصابتني فقلت" هذا أثر الجدري..لا قدرة لك على شفائي" أخبرته أني أصبت بالمرض ونجاني اللّه، لكن الجدري شيطان يدوم مادامت النفس، فتأملني بنظرة خالية، تأمل سحنتي البثرة وخصلات شعري التي ومضتها الشمس بلون ناري.

ترجلنا عند عقدة الطرق البريّة وتحدّرنا أسفل جسر أسمنتي شيّد لتفادي السيول. ولا علم للغلام كيف بلغنا البرّ، كانت عيناه تشعّان وأطرافه يقرصها الهبوب البارد، وعندما انقطعت آثار البشر حديت فنهز صوتي ضعون الكثبان، مفزعاً اليمام والقبّرات.

قال متسائلا": ما بك؟ نحن لم نذهب بعيداً فهذه الطيور ترافق الأحياء!"

لم ترحني معرفته وما وجدتها صائبة فالبريّة ملك يميني. ذكّرته بانفصاله عن نسبه ظاناً أن منطوقي سيخضعه لي، لكني أثرت فكره فقال" أراك محقاً.. أنا لم أتعرف أحداً من نسبي. ما زلت أعمى. لا أدري هل رأيت عمي الكبير أم أني سمعت بوصفه؟ أكان جباراً تهابه الخلق كما يقال؟ "

قلت" ستراه. العَوْد بعتق القمر. أحمد باريك أن لا يكون حليل عمرك"

أضحينا في مسيرنا فأبطأت عندما مررنا بعرب المزارع. تزودنا بالماء وشفى الغلام مريضاً من تلك الأنحاء حتى أندت الحمى جلدته وهذي فخافه الناس وأحَجَمتْ عن ضيافتهم.

علت الشمس فطلبت رضمة حجر وساقت سبابتي نظره لأثر ملتو طبع الرمل، لكنه غفل حتى سابت حيّة ولحقتها صلاّت أخر فأنس لرؤيتها وأرادها لكنها غارت. قلت " الدابة تطلب جحورها؛ تبّخر ندى الصبح واحترت الأرض".

ما برحت هضبات تحجب النظر، ثم بان لنا في البعيد وادي الغريب الذي يفصلنا عن أرض المغدر ويظلله خيال المطر. لم أزر المحل منذ حول. طويت يديّ عاوياً، صحت مراراً حتى انتفخت عروق رقبتي ثم وجمت محدّقا إلى الحوم يضري في السماء. كانت الريح

تصفر في الحسك. أجابني عواء تلاه آخر. أصغيت برهة حتى أفرزت عواءً متنائيا استبشرت به.

أشرت بأصبعي قائلا "مرابع عمك عابر بمرمى النظر"

حلّلت كوفيتي وخصرت سبلة شعري ثم تنقبت معاوداً حثه على المسير.

لكنني ضللته، فالمسافة بيننا ودار عمه ما هي بالهينة كما صورتها له وتقبّلها خاطره، وزدت فطفت به في البر وعبرنا وادي الغريب. عبرنا وظلينا تلال صوان مشّطتها الريح. أزلفنا عن مرابع الرعاة وحسيان الماء والطريق التي تسلكها العربات بمحاذاة أنابيب النفط، حتى جفّت البريّة وخسّفت واضمحلت. تفتت الصوان وغاب لمعانه وراحت عدام الرمل ترافقنا، عروق متلويّة تصبّ في طوامير مظلمة وتضرب بنواصي الحجر ثم تعاود التفرع والانتشار وقد أمحلت الأرض.

أوقفته وتقصّيت أثرا.

مدّدت عنقي صائحاً " هيا عنيّد اكشف عن عمرك! "

ندّت شهقة من ثنية الحجر تبعها ظهور أبن عمه، لم يكن يكبره أو يصغره لكن غيافة جلده وشقرته صَعّبَتا تقدير عمره، وكان يلفّ رأسه بكوفية بيضاء يسدل حافتها على عينيه، ومن توه وثب يعانقني قبل أن يتوقف ويرمي حلّه بنظرة فقلت " لا ادري لما جلبته.. لكنه يشفي السقيم! "

حملق إلي فرحاً ثم مدّ يده ولمسه.

سبقنا عنود الظبيان ممهداً السبيل برفس الحجر فلحقت به وتهامسنا. طوانا البر كما يطوي القمر نوره في المغيب، ثم سألته عن الحصان الكديش فقال ونظره للأرض " نزل به حسن الكاصد شمال المغَدَر.. مسيرة نهار.. آذانا حسن قليل الصبر"

" والعَوْد؟"

" جفّل الفرس! "

بلغنا المغدر ومثلي لا يجلب فأل خير لأحد، ما أن وطأنا محل عابر حتى تنابحتنا الكلاب، وكانت عينا الغلام ابيضتا وخرّ على وجهه فأخذته النساء ببشواتهن مشققات ونلت منهن مرّ الدعاء. انتظرت حتى وعى، أما عنيّد فهجرنا قبل وصولنا. كانت الذلال في المراح تحرك أعناقها في الهبوب وتمضغ نوّار الحوذان. لكنها أبل عابر فمع دنو الربيع تطلب الرعيان مرابع أخرى فالمغدر من نصيبه وحده والطير الحر في السماء.

"ما جلبت يا غراب الشؤم؟"

رمى أخوة عنيّد بالسؤال. كان الثلاثة طوالا نحافاً وجوههم مستطيلة بذقون شقر. ولم يدرِ الغلام أنهم أشباه صورة عابر الأولى حتى رآه، وقد حلّوا على المغدر وسيرحلون فيغيبون أشهراً. كان أكبرهم غنّام يركب سيارة شفر حلأ لونها ويطلع حتى الحدود منتفعاً بالتهريب. ولعابر غير بنيه هؤلاء بزرٌ بين العرب ملامحهم معقودة له بالمر. صحت مازحاً "هلا بالفرسان الشجعان!" وأردفت "لكني ما أرى مجاهيم (٤) العرب؟" فقالوا "كأنما لا تعلم. الناس رحلت عن مضارب العَوْد" فقلت "ألا حررهم اللّه من ضهدكم!" وسألوني عن الغلام فقلت "هذا من نسبكم ويبري الناس" فطلبه غنّام ورفع ثوبه ساحباً ردن سرواله فبانت ساقه سوداء مقرّحة وقال "لدغتني حيّة.. ما هلكت لكني ما شفيت. في الليل أطمر رجلي بالرمل لكنها تصلّ".

ولمس الفتى ساقه فشهق واخضرت سحنته ثم قاء واستراح. صاح غنّام "باللّه شفيت!"

بلغنا خباء عابر. الخيمة المخومسة الرمادية العتيقة التي وتّدت وحجّر رواقها وكان المربط بمرماها، ممتدا طولا، من الجلمود والرمل والتنك والخشب، يواري الفرس فما أمكننا رؤيتها لكني استروحت عرقها.

سبقنا عنيّد وأعدّ القهوة خافضاً بصره مكتفيا بردّ السلام، بينما سفّت الريح حول أطناب الخباء كجنيّة لاهية، ولما حيّينا العَوْد رفع رأسه وترقب هاماتنا صامتاً. كان عجوزاً نحيفاً تهدل شارباه ولمعت عيناه المستديرتان كعيني أبن آوى وقد تكوّر في قعوده وانحنى كتفاه وكأنهما من عمد الخباء.

همهم" أين وليت يا بن نويران وما علوم الدنيا؟ " فقلت " علام أهيم على وجهي عندما يورّق الورد والرمان؟ لأني ما أطيق طلوع نجم السعود ووجهي بوجهك! فقال "سوّد اللّه وجهك! ما تبعك إلا إبليس.!" وترقب الغلام "الورع(٥) راشد كيف غويته؟" فأجبته "الغلام من بيت سالم الجبر ويشفي الناس" فقال "أراه خانساً. به جن؟ فقلت "سله!" فسأله دون أن يلتفت إليه " هل سويلم حي وأنت من نسله الذليل؟" وكان الغلام ينظر إليه ذاهلا حتى ناوله عنيّد طاس ماء فبلل شفتيه وخفض بصره ثم قال " لم أشك يوما أني من جنسكم العاتي! طال عمرك حتى تلدني أمي فأراك. أراك طعنت بالسنين وما كلّ بصرك. ما رواك سم الأفاعي والبشر. ساقاك سوداوان فمازلت تفر من ساعة الحشر!" فقال العَوْد "يا ورع فينا عتيق ودارس. في علمي أن من يبري البشر تكون أمه من صلب أبيه فما عزك؟" قلت وأنا أدفع كعبي بالأرض "لا تبخس قدره فهو يدري بآخرتك!" "ولّ يا عقر البلاء!" صاح ورماني بعصاه فأخطأني وطفرت بينما حجر هو على الغلام.

كان ابناء عابر غرّبوا يوم حللنا وفي ظلهم سقت آمالي، ولم يخب ظني، فبعد يومين تفتق جراب سعدي. كانت ناس البر مصابة أغلب أيامها بالسل والجرب والزحار، وقد حطّ بأرض المغدر أعرابي قصير جفّال، عقر قعوده وسقط على قدمي العود مستجيرا "بالغليّم المبري" أن يشفيه من العين فلمسه الغلام وقال "ستهبني روحك!" فرضى وتبعه خادماً له "حتى يهلكه اللّه!" عندها تبجّح العَوْد وتعصى بأثر الغلام الذي هام على وجهه، وأدركت نظرة عنيّد فعرفت مغزاها.

جلب صيت الفتى المبرئ كل عديم وضارٍ من الأنحاء، فحاموا حول المغدر وآذوا العَوْد بالنواح فاشتعل غضبه وتمنطق سلاحه، وكنت ألمح ظلالهم تمتد من وراء التلول صبحاً وظهراً ثم تذوب مع الزوال، وكان عنيّد يظهّر الفرس من مربطها الضحى فتدرب خلفه، وكالذئب الحبيس زاده شعوره بالعيون التي ترقبه كدراً. وكان يسألني "متى نطفّر الفرس؟" فأبشّره بالكديش! لكني كنت مسلوباً بالفرس ولم أكن رأيتها منذ عامين فلما دربت بهتّ من حسنها وصحت من حرقة؛ فكأنما غطى عيني الندى في مطلع الصبح، فعلى كبرها ما حالت صفرتها وما دَنيَ حاركها وما خبت نظرتها.

في تلك الأيام تبعهما الغلام، وكلما دنا من الفرس خصرت أذنيها وجفلت. كان يهيم

في البرية ويتبعه خادمه. نصحته أن لا يلتفت لتوسل الناس الخربة، لكني لم اقدر أن أبعده عنهم، فما أن أغفل عنه حتى يرموا بأنفسهم تحت قدميه، وكان يشم رائحة المرض والموت فتصفر سحنته ويجفو عنهم، واحياناً يلمس أجسامهم، وهو يتثاقل بمشيته، فإذا أحاطوه دفعهم خادمه بمنكبه وضربهم بعصاه والغلام يجرّ خطاه قائلا "عضّوا على اللجام يا مساكين..! السماء ملك العقبان والأرض لنا!"

كان العَوْد يجفّل العبيّة الصبح، فيمتطيها بلا سرج ويطرد بها شوطاً وكنا نسمع صرير عظامه، فأهتف به "مال بك السرج ياعَوْد!" فيرد "مال حظك يا منحوس!" وعندما يمر بالغلام الشافي يصيح "ححح! بك فائدة يا قسمة الشر..!"

أما عنيّد فيخبّ في أثره والسرج على متنه، كما الرفو للثوب شيّال، وفي نفسه حذر فمسّ الفرس بأذى يدني الحر من الفناء؛ مرة كاد عابر أن يهلكه برصاصة لما شاط بالفرس دون علمه وعرّقها في برد الإكليل، يوم تهيج الفحول، ولا أحد شكّ بنيشان عابر لكن رصاصته خدشت هامة أليفي لأنه كالبرق التف لصق الفرس ويده تشدّ عرفها.

تمحى الصور والأصل يجود، ففي البال سحابة تمر لونها أصفري ورجمها له دوي يهز النفوس.

مرت أيام وليال وصورة الغلام المبري لا تفارق عيني العَوْد حتى كلّفه بحمل سرج الفرس، فحرر عنيّد وغنمت الفرصة فكلفته بالسير للاطمئنان على ساكن البرّ، وقد شدّ على جمل بكر وغرّب، وبعد نهار عوّد مستبشرا وقال "الحصان في ربيع أما الكاصد فتحوم على رأسه الحدادي!"

ثم سقط النجم فهاج القلق في نفسي؛ كلما شفى الغلام عرباً طار صيته وكثر طلابه وآذاه الناس بالرجاء، وكلما شفى أحداً مدّ يديه نحو السماء وهذى قائلا "ما شفيت نفوسكم إلا بعز نسبي!" وكان أنين العدمان وعواء الذئبة يغويانه فيهبّ في الليل و يهيم في الظلمة بينما تفر الوحوش من سبيله.

في تلك الليالي لازمني صوت الندم، فالفرس هوى صباي ومرام كل حيّاف باسل. ورأيت أن أطيع فؤادي، لهذا بتّ لياليّ وعنيّد رأساً لرأس حتى أكون على علم بنواياه، وكان ينام كالعقرب، يلمّ نفسه وتلمع أطرافه صفرةً. ثم فززت في ليلة وقلت أسْر يا ابن نويران أنظر الكاصد، فمهما قدّر الجبار لا تغمض الجفن على رأي أبن الندى.

وضعت الجدي إلى يميني وكانت زوادتي التمر والخثري ثم استأذنت العَوْد فقال "لا يسري مع الذئبة إلا عيّال؟"

فقلت "لي حاجة بوادي النواصب".

سرت في ليلتي يتبعني حفيف الجن حتى أدركت محل الكاصد مع طلوع الوقت، وقد صدق عنيّد فالرجل كان فاقد الحس يهيم في البراري، بينما شعثت ذقنه ووسخ بدنه وكانت الضبعة ترغي في الأنحاء تبغي جيفته. ورأيت الحصان يطرد في البريّة ولسحمته لمعة فما عرفته. مرّت الأيام والكاصد ساكن البر حتى أصابه الخبل وبحلقت عيناه، ومن يسكن البر فأنه يقتات الجرابيع والحيّات والجراد يقنصها ليلا وصبحاً ويشويها. أما الحصان فيعلف نبت البر، وكانت الريح تسفّ بين الرمثات وتذري. ولما لمحني الكاصد سلّ خنجره

وطفر على ظهر الحصان وقد نوى على هلاكي فحللت لثامي وصحت به "..أوي.. فارس قلبه حديد! ما دهاك؟"

فلوى عنق حصانه ثم ترجل وقال " لا تلمني يا ابن نويران! ليت أمي ما أعرست! تركتني للهلاك. بغت العربان حصاني والضبع رأسي!"

فقلت "عساك للموت!"

وتبعته حتى بلغنا مغارة سدها بحجر كان يلوذ بها ليلا في حين علتها جيفة ضبع نهشته الحوم فقال "مرت ليال والضبع يصك بأسنانه، يغيب ويعاود، وفي الليل ما أدري بأمر الحصان فهو بذمة الجن، ما أراه لكني اسمع طراده وصهيله تحت النجم! ثم نبش الضبع الحجر من فوق رأسي، وحين مدّ يده أخذتها ومزقتها بالخنجر ومررت بها عصا فما قدر أن يسحبها ونمت والصبح كان في محله فرميته بالحجر حتى هلك!"

سألته أن يعطيني سبلة الضبع لجلب الحظ!

عندما حللت كيسي تهلل وجهه بالزوادة فأطعم نفسه وعلف الكديش، واستغربت يا خفي اللطف تبدل حال الحصان إذ لمع جلده وعظم منخراه ومدّ عنقه فكان لصهيله رعد.

ولما أدرك الكاصد مغزى نظرتي قفز وضرب الأرض وصاح " كبّ ولا تدن من حلالي! غويتني وأطعتك. ناحت على رأسي البوم وما فارقت المحل فاليوم الحصان لي!"

وقلت "أراك مهتوياً بالكديش يا مخبول! لك ما تبغي؛ قسمة اللّه بيننا سهمك النصف بشرط أن لا تدوس محل العَوْد!"

حلا الحصان بنظري ورغبت أن اركبه فقال الكاصد "ليتك قدرت!" فترددت وقد عزّت نفسي عليّ. قلت "لا. أتركه لخيّاله!" وجفل الكديش فجرى ووقف على أثنتيه وصهل وكأنه يغويني، لكني غرّبت وصاح الكاصد بأثري "عساك على ندم!"

صادفت عند عودتي رشيد بن عابر، وما كتب لي اللقاء به منذ حين، ولم يكن بصورة عابر، فسحنته رمادية وعيناه حادتان وقد جثم على كتفه حر فارسي، وكان ينجع مرة في السنة ويسبقه الرعيان بحلاله ويلحقهم في سيارة بيكب، وفي رأيي أن انشغاله بالخيل كان لصيتها والجاه، وكانت علوم الغلام الشافي قد بلغته فقدم ولما رآه مانع أن يلمسه وتجنبه قائلا "أنا أدرى بالصحيح!"

يوم وصوله طلبه عابر للقنص فتفقد الفرس في شعاع نجم الصبح وأسرجها وكنت أعينه فألتفت إليّ وبادرني بالكلام على غير عادته قائلا "حشاشة عَوْد!" ثم سألني عن سبب موافاتي لهم في غير مواقيتي فأجبته "أدركني حال وأنا بدرب المعاودة للبصرة" وقال "والغلوم؟ " وفطنت له كأنه يسأل عن أحد الغلامين فلا يعلّمه وكانت عيناه تلمعان لذلك قلت مبتسماً" عساها حشاشة طير! " فازدادت ريبته وقال "أنت بوجه أبي وهو حاميك لكن مالك حسنة عندي. أنطق ما علومك؟" وأنبأته بنيّة عنيّد فسخط ولم يصدق وقال "واللّه لك مواضٍ سود!" فقلت "الحي يطيع سلطان ضميره" فرمقني وقال "ذبحتك واللّه لو كذبت!" ثم وضع الشداد على ظهر ذلول مخزوم أحمر وقطع البر للقنص، وكنا تبعناه على النوق والعَوْد على ظهر فرسه، وتركنا الغلام محموماً بخباء النساء وعنيّد بظهرنا فأصابه الحزن.

سرنا ثلاثة أيام وأمضينا اوقاتنا في

قنص الجرابيع، وكان رشيد يطلق صقره "لافي" فيحوم ساعة حتى يناديه باسمه فينزل على كتفه بلا قنص، أما الجرابيع فكنا نختلها في جحورها ونفطفط بشفاهنا حتى يغريها الصوت فتخرج ونقنصها، وكنت أمسك الجربوع وأنفضه فتطق عظمة عنقة ثم أسيّل دمه وأشويه بجلده في الرمل ولا شيء أطعم من لحمه في تلك الساعة.

كنا نتذارى من الريح بظلال الجمال والطرفاء وسألت العَوْد عن زهوة هل أعقرت أم فيها تالي؟ فردني قائلا "وهل الأصيلة تعقر يا منحوس؟ من يومين وافتني كتب الشيوخ ترجوني أطفر عليها" وتجنّبنا محال الأعراب فلعابر ثارات، وقصدنا حدوث المسيل وما تركه شحيح داعوبه فسقينا البهائم وشربنا الوحل، وبغى رشيد أرنب البر فلم ينله، حتى لزمنا خدّ البرية فقنصه الضحى. جحر الحيوان بين غصون الرمثات فلم تحمه إذ هوى عليه الحرّ وضربه بصياده فشق ظهره، وتراكضنا ومن توه نحر رشيد الأرنب فأخذه أبوه ووضع فمه على نحره ومصّ دمه فأطال وهو في سكرة وكان على ظهر الفرس وساقاه تشدان على خاصرتها حتى تململت ثم رمى الأرنب ومسح شاربيه فأخذه رشيد وشواه. ولما عدنا سرنا جراً ليلتين ونهارين حتى بلغنا المغدر. وأخبرنا الرعيان أن سرب فرسان نزلوا بالمغدر أثاروا الغبار ووسموا كتف الغلام الشافي ثم مضوا.

ونظرنا الوسم فما خبرناه وسالنا عن خادم الغلام المبري فقال الرعيان أن المجنون تصدى للفرسان فمسخوه كلباً!

في تلك الأيام بغى عابر عريسة بكراً، وأعطى رشيد مهرها حجولا فضة وقطعتي حرير. وهدأت خواطري إذ لم يقبل الكاصد بعدما لمعت الثريا فقلت عساه غرّب! والصدق أني كنت أفكر بالحصان، كان يظهر لي في المنام عظيماً عاتياً فاستعذت باللّه. وآذاني عنيّد فطول ما أنا أرمي بالأعذار جنّ وأرتاب بي وطالبني أن أحلف ألا أخونه، وقد توجست أن ينهب الفرس، بينما زاد رشيد فلم يسأله لأنه لم يثق بزعمي، بل ترك الذئب يرعى بالشاة، واكتفى بمراقبته عندما كان يجفّل الفرس ساعة العصر التي لا تنسى، فالنور يطوي الفرس بلونه لما تخبّ وتنثر ذيلها وكأنها في ربيعها، بينما أليفي يلكزها بكعبه لكزاً خفيفاً فتسرع مثيرة الغبار، ولم أكن أرتوي من النظر إليها.

لكن القدر مانع ورسم لي مسراه. بعد أيام أقبل علي رشيد وقال "أظنك صدقت!" ثم تلاه عنيّد وكان في هياج فأعلمني بنزول الكاصد مع حصانه جنب المسيل، ففزعت وقلت سيأسره رشيد ويغنم الحصان، وفكرت أن اسبق السيف وأبعد المهبول، وليته ما هلّ، فالحصان الذي مسّه الجنّ كان يغويني، وكم ليلة سألتني نفسي فيها أن أطفره العبيّة، ثم ينازعني فكري، وقد سلمت أمري للباري وقلت لرشيد "أنت أقضِ" فقضى أن يجلّي عنيّد فمتى أدرك العود غايته ذبحه، وطالبني بكتمان السر، وكنت أبغي وداع أليفي لكنه أحجم عني وقال "مالك وجه عندي!" فقلت "لا تلمني عنيّد تراها مشيئة اللّه!" واستغفرت الباري من كل هوان.

أعلم أني ذبحت أليفي لكنه بعمر الندى وسينسى. وقد حزنت لحاله وكان للثريا لمع وغبرة. بدّلت رؤية الفرس فكري وملكني حسنها. لكني عرفت أن عنيّد سيفرّ من بين

يدي رشيد يوم ربط شداد بعيره، واستغربت نفسي إذ استهواني الحصان فتركت الفتى لحاله وسرت حتى ابلغ الكاصد واحذره وإلا هاجمه أعوان رشيد. وعندما تسللت حتى المغدر طار الحوم من ثنايا الحجر وما تقصيت له أثرا. لبثت ساعة حتى سرت رعدة في الأرض فلازمت محلي في خبوب منحدر، وصحّ ظنّي إذ لمحت رشيد يطرد على العبيّة ملازماً هدب المسيل، ثم بانت الهجن بأثره، ثلاثة أو أربعة في الغبرة، ولم تطل حيرتي، إذ لمحت الكاصد على حصانه وهو يردف عنيّد ملازماً الهدب الثاني للمسيل، ولا أظنني سأرى ما رأيت طول ما حييت، فالحصان رمى العبيّة شوطاً، وآلمني فؤادي، ودعوت أن يكف رشيد من طراده وقد كفّ ولبث يرقبه.

نأى الحصان كالنو العاصف فلم أكن أرى حوافره تلمس الأرض. صار كالشهاب وله زفير إبليس، وتلظّى الكاصد والغلام على ظهره، ثم صار الحصان ظلا ودخانا أسودَ، وقد جنّح ومال وحملته الريح حتى غاب.

حزم رشيد رحاله وقد دعاني ونظر إلي بقسوة وسألني مستفسراً عن الخيّال وحصانه فأجبته " أما هذه الحجاوى فمن علوم الغيب!"

علم عابر بفرار عنيّد فشاط دمه. لازم البرّ وهو على فرسه. خبّ وعاود حتى هدأ. كان حضور الغلام الشافي يحميني. قال عابر وهو يتعصى بين الرمثات "أبق! لك سحر عليّ يا منحوس وإلا كنت ذبحتك على مساوئك!" قلت "بصيرتك كضو الثريا يا عَوْد لكنها بلا درّ!"

راحت الثريا وقطرات الندى ومحا ملهاب القيظ أخبار عنيّد وأشواقي له حتى توسلت درب القوافل فما أطفأ أحد حرّ دمي.

قال أبن نويران:

عقب فرار عنيّد ظلّت الفرس معقودة جنب الخباء تصليها الشمس ويندبها الليل، ما عُنيَ بها أحد وما سمح عابر إلا لراع أن يعلفها.

وفي ليلة جاوبت الكلاب عواء الذئبة ففزعنا وإذا هو ركب مار. أناخ أعرابي ناقته وطرح بشراً وقال "أمانة اللّه!" فعرفته في الحال العجوز سالم الجبر. كان بالنزع الأخير وعرفه العَوْد فقال "هذا خوي الضبعة!" وتركه لحاله وما سأله وما ضافه فأعنته حتى وسدتّه الرمل وظهره لرواق الخيمة.

كانت جيفة الموت تهبّ في الأنحاء. فتّ الحر في الناس لكنهم لازموا الهضبات فهلك ضعافهم ونهشتهم الوحوش. عربان يأتون ومثلهم يرحلون، يثقلون معضدي الغلام الشافي بأساور الفضة، ومهما أفزعتهم سحنته فأنهم يستسلمون له فيلمسهم هاذياً "ما حييت كأسلافي وما بلغت عتوهم لكني أنوء بآلامكم وذلتكم!" وكلما وهن حنّت المرضعات عليه حتى يقوى، وكان يبغى السير وراء بطون نسبه فيرده العَوْد قائلا "أنت اليوم سبيّي، والسبي لا يجوز له السؤال ولا أن يحلّ ويحرّم!"

ولما رأى الغلام سالم الجبر مسّه بظاهر يده وقال" عمرك خلا وعَفَتْ رسومه!"

لم يخطر لي يوماً أن يطلب سالم الجبر

الموت في محل غريمه لكنه فعل فكأنه بلغ رواق مطافه ومسعاه، وتذكرت داود الذي ذاق كأس الملامة.

أمضى العجوز ساعة نزعه عند خباء العَوْد، تناوبت عليه سموم النهار والليل، ودنت منه الضواري فلم يردها إلا صهيل الفرس ورطم حوافرها بالأرض. كنت أبلل شفتيه فيفطن لي لحظة ثم يغيب، وأسفت لحالي إذ سيطوي علومه معه، وكنت أعذّبه بالسؤال عن أنساب الخيل فيتنبه وكأنه يسمع سفّ الريح فيحدثني هذياً ثم يغيب مردداً "غرر سود ما لها أنساب!"

أما العَوْد فكان يحاذيه بمروره وهو يثير الغبار، فتتبعه نظرات العجوز وكأنه يبصره في آخرته. لقد شعرت برغبته في أن يدنو منه ويلمسه؛ ولم أدرك مقدار الهوى في نفسه، لكن عابر تجاهله وما أشفق عليه، وليته ذبحه، لأنه هجره وباعد عن المحل ممتطياً الفرس فتبعناه.

كان ينشر نقمته في غبار المغدر، فيهفّ بنا ساعة النهار والحر يصلي كنار الغضا، حتى وهن الغلام وصار يرى الحجارة كوجه الذئبة تطرد في الصحراء، فيحثه العَوْد، وهو يضع خنجراً في يده وبعدما يقنص ضباً يأمره بنحره، فيطعنه الغلام وترتد يده فيصيح به" أراك تدمع قبلما يدمع الضب يا ورع! نوح ذبح الحيّة التي أعانته وما خبرناه ندم"

وكان يردفه ويطرد به ساعة العصر حتى نواحي المغدر. وأرقبهما إذ يلفّان بالفرس حول رضمتي حجر ضربتا في العراء، كتفان ملساوان يضيقان على مسيل يتحدّر ويبلغ محل الغدير بينما تسفّ فيه الريح وتصفر. كانت المياه تقطن هناك موسما وتزهر الأرض فمازال يطلبها الضاري والعابر حتى تصهد، فأن شحّ الحول صار المسيل مسفّا جبارا ينفخ نارا تصلي فيصفح عنه القاطن والعابر. ويطلب العَوْد المسيل وينزل بفرسه مردفاً الغلام حتى يطويهما اللاهوب ويغيبان فلا أراهما لكني أسمع صهيل الفرس.

مات سالم الجبر. لما عدنا وجدته متيبساً كاللوح. كان عابر يريح العبيّة وهو يحلّ سرجها ويمسح حروق ظهرها وكانت تزفر اللظى، ولما أعلمته بالأمر لم يجب بل واصل حسّ الفرس، وبعد حين أقبل متعصّياً وكنا في صفرة الليل فوقف على جثمان العجوز صامتاً كالحجر. مرّ الليل ومال النجم وعوى الذئب ثم نادى على الغلام وأمره قائلا" أحيه!"

1- حيّاف ـ حوّاف ـ سارق وتتضمن الكلمة معنى البسالة
2- الرسن ـ النسب
3- العبيّة ـ بطن من سلالات الخيل
4- المجاهيم ـ الأبل تسمى بألوانها ـ
5- الورع ـ الصبي

waheedghanim@yahoo.com

البصرة ـ 2011